

کے امیر الامام علیؑ علیہ السلام
مقام پر تدارک و تدارک

بطاقة فهرسة

BP193.13 .J38 2022	مصدر الفهرسة:
جاسم، عماد طالب موسى - مؤلف.	المؤلف الشخصي:
كلام الامام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية.	العنوان:
تأليف: عماد طالب موسى جاسم.	بيان المسؤولية:
الطبعة الأولى.	بيانات الطبعة:
النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ٢٠٢٢م ١٤٤٣ للهجرة.	بيانات النشر:
٣٢٦ صفحة، ٢٤ سم.	الوصف المادي:
العتبة الحسينية المقدسة؛ (١٠٣٠).	سلسلة النشر:
يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (٣٩١-٣١٤).	تبصرة بليوجرافية:
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.	سلسلة النشر:
الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة .	موضوع شخصي:
الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - كلمات.	موضوع شخصي:
الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - فضائل.	موضوع شخصي:
اللغة العربية - تحليل النص .	موضوع شخصي:
الخطباء المسلمون (الشيعة الإمامية) - تراجم .	موضوع شخصي:
أ. العتبة الحسينية المقدسة (النجف - العراق). مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية - جهة مصدرة. ب. العنوان.	اسم هيئة اضافي:

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

بطاقة إيداع

٢٣٩/٨

ج ٢٥٨/ جاسم، عماد طالب موسى.

كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية. تأليف: عماد طالب موسى جاسم. - ط ١، إيران - قم، دار المؤمن، ٢٠٢٢.

(٣٢٦ ص)، ٢٤ سم.

١ - الحسين بن علي عليه السلام - الإمام الثالث ٢ - أهل بيت النبي ﷺ. أ - العنوان.

و. م.

٢٠٢٢/١٦٩٢

المكتبة الوطنية/ الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٩٢) لسنة ٢٠٢٢

كتاب الامام علي بن الحسين
مقارنة تارة وتارة

تأليف
عماد طالب موجاسم

الإشراف العلمي
مؤسسة دار الأندلس
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية



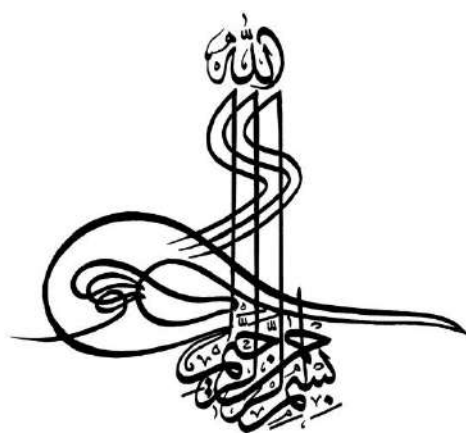
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

إصدار

مؤسسة إراث الأئمة
للدراسات والبحوث الحسينية



تنويه: أصل هذا الكتاب رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

وهي بعنوان: كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية

تقدّم بها الطالب عماد طالب موسى جاسم

تحت إشراف د. عادل نذير بيري

قدّمت إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

مراجعة وتدقيق

اللجنة العلمية في قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

د. الشيخ عبد الرحمن الربيعي، د. السيد محمد المدني، الشيخ فضيل الجزائري

هوية الكتاب

كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية

عماد طالب موسى جاسم

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

حسين المالكي

الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

١٠٠٠

• عنوان الكتاب

• المؤلف

• الإشراف العلمي

• الإخراج الفني

• الطبعة

• سنة الطبع

• عدد النسخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً

مَرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة الفجر: الآيات ٢٧-٣٠).

الإهداء

إلى...

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ولكن عيني لأجلك باكية

سيدي يا حسين

إلى من كانا سبباً في وجودي

أمي وأبي معنى الحياة

إلى الدم الذي يجري في عروقي

أخوتي وأخواتي

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

يا من يعزّ علينا أن نفارقكم

وفاءً لشيء من فضلك

زوجتي

إلى ريحانتي في الدنيا

أولادي

أهدي هذا الجهد المتواضع لكم أيها الأحبة

الباحث

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنّ العلم والمعرفة مصدر الإشعاع الذي يهدي الإنسان إلى الطريق القويم، ومن خلاهما يمكنه أن يصل إلى غايته الحقيقية وسعادته الأبدية المنشودة، فبهما يتميز الحق من الباطل، وبهما تُحدّد خيارات الإنسان الصحيحة، وفي ضوءهما يسير في سبل الهداية وطريق الرشاد الذي خلّق من أجله، بل على أساس العلم والمعرفة فضّله الله ﷻ على سائر المخلوقات، واحتجّ عليهم بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، فبالعلم يرتقي المرء وبالجهد يتسافل، كما بالعلم والمعرفة تتفاوت مقامات البشر، ويتفوق بعضهم على بعض عند الله ﷻ، إذ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، وبهما تُسعد المجتمعات، وبهما الإعمار والازدهار، وبهما الخير كلّ الخير. ومن أجل العلم والمعرفة كانت التضحيات الكبيرة التي قدّمها الأنبياء والأئمة

(١) البقرة: آية ٣١.

(٢) المجادلة: آية ١١.

والأولياء عليه السلام، توضحيات جسام كان هدفها منع الجهل والظلام والانحراف، توضحيات كانت غايتها إيصال المجتمع الإنساني إلى مبتغاه وهدفه، إلى كماله، إلى حيث يجب أن يصل ويكون، فكان العلم والمعرفة هدف الأنبياء المنشود لمجتمعاتهم، وتوسّلوا إلى الله عز وجل بغية إرسال الرسل التي تعلّم المجتمعات فقالوا: ﴿وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فكانت الإجابة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، ما يعني أن دون العلم والمعرفة هو الضلال المبين والخسران العظيم.

بل هو دعاء الأئمة عليه السلام ومبتغاهم من الله عز وجل لأنفسهم أيضاً، إذ طلبوا منه تعالى بقولهم: «وَأَمَلْنَا قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ»^(٣).

وبالعلم والمعرفة لا بدّ أن تُثَمَّن تلك التوضيحات، وتُقَدَّس تلك الشخصيات التي ضحّت بكلّ شيء من أجل الحقّ والحقيقة، من أجل أن نكون على علم وبصيرة، من أجل أن يصل إلينا النور الإلهي، من أجل أن لا يسود الجهل والظلام. فهذه سيرة الأنبياء والأئمة عليه السلام سيرة الجهاد والنضال والتضحية والإيثار؛ لأجل نشر العلم والمعرفة في مجتمعاتهم، تلك السيرة الحافلة بالعلم والمعرفة في كلّ جانب من جوانبها، والتي ينهل منها علماءنا في التصديّ لحلّ مشاكل مجتمعاتهم على مرّ العصور والأزمنة والأمكنة، وفي كافّة المجالات وشؤون البشر.

(١) البقرة: آية ١٢٩.

(٢) آل عمران: آية ١٦٤.

(٣) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٢٨٠.

وهذه القاعدة التي أسسنا لها لا يُستثنى منها أيّ نبيّ أو وصيّ، فلكلّ منهم ﷺ سيرته العطرة التي ينهل منها البشر للهداية والصلاح، إلّا أنّه يتفاوت الأمر بين أفرادهم من حيث الشدّة والضعف، وهو أمر عائد إلى المهام التي أنيطت بهم ﷺ، كما أخبر ﷺ بذلك في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، فسيرة النبي الأكرم ﷺ ليست كبقية سائر الأنبياء ﷺ، كما أنّ سيرة الأئمة ﷺ ليست كبقية سائر الأوصياء السابقين ﷺ، كما أنّ التفاوت في سيرة الأئمة ﷺ فيما بينهم ممّا لا شكّ فيه، كما في تفضيل أصحاب الكساء على بقية الأئمة ﷺ.

والإمام الحسين ﷺ تلك الشخصية القمّة في العلم والمعرفة والجهاد والتضحية والإيثار، أحد أصحاب الكساء الخمسة الذين دلّت النصوص على فضلهم ومنزلتهم على سائر المخلوقات، الإمام الحسين ﷺ الذي قدّم كلّ شيء من أجل بقاء النور الربّاني، الذي يأبى الله أن ينطفئ، الإمام الحسين ﷺ الذي بتضحّيته تعلّمنا وعرفنا، فبقينا.

فمن سيرة هذه الشخصية العظيمة التي ملأت أركان الوجود، تعلّم الإنسان القيم المثلّي التي بها حياته الكريمة، كالإباء والتحمّل والصبر في سبيل الوقوف بوجه الظلم، وغيرها من القيم المعرفيّة والعمليّة، التي كرّس علماؤنا الأعلام جهودهم وأفنوا أعمارهم من أجل إيصالها إلى مجتمعات كانت ولا زالت بأمسّ الحاجة إلى هذه القيم، وتلك الجهود التي بذلت من قِبَل الأعلام جديرة بالثناء والتقدير؛ إذ بذلوا ما بوسعهم، وأفنوا أعلى أوقاتهم، وزهرة أعمارهم؛ لأجل هذا الهدف النبيل.

(١) البقرة: آية ٢٥٣.

إلا أن هذا لا يعني سدّ أبواب البحث والتنقيب في الكنوز المعرفية التي تركها عليه السلام للأجيال اللاحقة - فضلاً عن الجوانب المعرفية في حياة سائر المعصومين عليهم السلام - إذ بقي منها من الجوانب ما لم يُسلط الضوء عليه بالمقدار المطلوب، وهي ليست بالقليل، بل لا نجانب الحقيقة فيما لو قلنا: هي أكثر مما تناولته أقلام علمائنا بكثير، فلا بدّ لها أن تُعرّف لتُعرّف، بل لا بدّ من العمل على البحث فيها ودراستها من زوايا متعدّدة، لتكون منهجاً للحياة، وهذا ما يزيد من مسؤوليّة المهتمّين بالشأن الديني، ويحتّم عليهم تحمّل أعباء التصديّ لهذه المهمّة الجسيمة؛ استكمالاً للجهود المباركة التي قدّمها علماء الدين ومراجع الطائفة الحقة.

ومن هذا المنطلق بادرت الأمانة العامة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لتخصيص سهم وافر من جهودها ومشاريعها الفكرية والعلمية حول شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة؛ إذ إنّها المعنية بالدرجة الأولى وبالأساس بمسك هذا الملف التخصّصي، فعمدت إلى زرع بذرة ضمن أروقتها القدسيّة، فكانت نتيجة هذه البذرة المباركة إنشاء مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينيّة، التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، حيث أخذت على عاتقها مهمّة تسليط الضوء - بالبحث والتحقيق العلميّين - على شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، ونهضته المباركة، وسيرته العطرة، وكلماته الهادية، وفق خطة مبرمجة، وآليّة متقنة، تمّت دراستها وعرضها على المختصّين في هذا الشأن؛ ليتّم اعتمادها والعمل عليها ضمن مجموعة من المشاريع العلميّة التخصّصية، فكان كلّ مشروع من تلك المشاريع متكفلاً بجانب من الجوانب المهمّة في النهضة الحسينيّة المقدّسة.

كما ليس لنا أن ندّعي - ولم يدّع غيرنا من قبل - الإمام والإحاطة بتمام جوانب شخصيّة الإمام العظيم ونهضته المباركة، إلّا أنّنا قد أخذنا على أنفسنا بذل قصارى

جهدنا، وتقديم ما بوسعنا من إمكانيات في سبيل خدمة سيّد الشهداء عليه السلام، وإيصال أهدافه السامية إلى الأجيال اللاحقة.

المشاريع العلميّة في المؤسسة

بعد الدراسة المتواصلة التي قامت بها مؤسسة وارث الأنبياء حول المشاريع العلميّة في المجال الحسيني، تمّ تحديد مجموعة كبيرة من المشاريع التي لم يُسلّط الضوء عليها كما يُراد لها، وهي مشاريع كثيرة وكبيرة في نفس الوقت، ولكلّ منها أهمّيّته القصوى، ووفقاً لجدول الأولويّات المعتمد في المؤسسة تمّ اختيار المشاريع العلميّة الأكثر أهميّة، والتي يُعتبر العمل عليها إسهاماً في تحقيق نقلة نوعيّة للتراث والفكر الحسيني، وهذه المشاريع هي:

الأوّل: قسم التأليف والتحقيق

إنّ العمل في هذا القسم على مستويين:

أ- التأليف

ويُعنى هذا القسم بالكتابة في العناوين الحسينيّة التي لم يتمّ تناولها بالبحث والتنقيب، أو التي لم تُعطَ حقّها من ذلك. كما يتمّ استقبال التّجاذبات القيّمة التي ألّفَت من قبل العلماء والباحثين في هذا القسم؛ ليتمّ إخضاعها للتحكيم العلمي، وبعد إبداء الملاحظات العلميّة وإجراء التعديلات اللازمة بالتوافق مع مؤلّفيها، يتمّ طباعتها ونشرها.

ب- التحقيق

والعمل فيه قائم على جمع وتحقيق وتنظيم التراث الحسيني، وقد تمّ العمل على نحوين:

الأوّل: التحقيق في المقاتل الحسينيّة، ويشمل جميع الكتب في هذا المجال، سواء

التي كانت بكتابٍ مستقلٍّ أو ضمن كتاب، وذلك تحت عنوان: (موسوعة المقاتل الحسينية). وكذا العمل جارٍ في هذا القسم على رصد المخطوطات الحسينية التي لم تُطبع إلى الآن؛ وقد قمنا بجمع عدد كبير من المخطوطات القيمة، التي لم يطبع كثير منها، ولم يصل إلى أيدي القراء إلى الآن.

الثاني: استقبال الكتب التي تمّ تحقيقها خارج المؤسسة، لغرض طباعتها ونشرها بعد إخضاعها للتقويم العلمي من قبل اللجنة العلمية في المؤسسة، وبعد إدخال التعديلات اللازمة عليها، وتأييد صلاحيتها للنشر، تقوم المؤسسة بطباعتها.

الثاني: قسم مجلة الإصلاح الحسيني

وهي مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية، تهتمّ بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسلبّ الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذلك إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة، وقد قطعت شوطاً كبيراً في مجالها، واحتلت الصدارة بين المجلات العلمية الرصينة في مجالها، وأسهمت في إثراء واقعنا الفكري بالبحوث العلمية الرصينة.

الثالث: قسم ردّ الشُّبُهات عن النهضة الحسينية

إنّ العمل في هذا القسم قائم على جمع الشُّبُهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، وذلك من خلال تتبّع مظانّ تلك الشُّبُهات من كتب قديمة أو حديثة، ومقالات وبحوث وندوات وبرامج تلفزيونية، وما إلى ذلك، ثمّ يتمّ فرزها وتبويبها وعنوانتها ضمن جدول موضوعي، ثمّ يتمّ الردُّ عليها بأسلوب علمي تحقيقي في عدّة مستويات.

الرابع: قسم الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام

وهي موسوعة علمية تخصصية مستخرجة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام في

مختلف العلوم وفروع المعرفة، ويكون العمل فيها من خلال جمع كلمات الإمام الحسين عليه السلام من المصادر المعتمدة، ثم تبويبها حسب التخصصات العلمية، والعمل على دراسة هذه الكلمات المباركة؛ لاستخراج نظريات علمية تمازج بين كلمات الإمام عليه السلام والواقع العلمي. وقد تمّ العمل فيه على تأليف موسوعتين في آن واحد باللغتين العربية والفارسية.

الخامس: قسم دائرة المعارف الحسينية الألفبائية

وهي موسوعة تشتمل على كلّ ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة من أحداث، ووقائع، ومفاهيم، ورؤى، وأعلام، وبلدان، وأماكن، وكتب، وغير ذلك، مرتبة حسب الحروف الألفبائية، كما هو معمول به في دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علمية رصينة، تُراعى فيها كلّ شروط المقالة العلمية، مكتوبة بلغةٍ عصريّة وأسلوبٍ حديث، وقد أُحصي آلاف المداخل، يقوم الكادر العلمي في هذا القسم بالكتابة عنها، أو وضعها بين يدي الكتّاب والباحثين حسب تخصصاتهم؛ ليقوموا بالكتابة عنها وإدراجها في الموسوعة بعد تقييمها وإجراء التعديلات اللازمة عليها من قبل اللجنة العلمية.

السادس: قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

يتمّ العمل في هذا القسم على مستويين: الأول: إحصاء الرسائل والأطاريح الجامعية التي كُتبت حول النهضة الحسينية، ومتابعتها من قبل لجنة علمية متخصصة؛ لرفع النواقص العلمية وإدخال التعديلات أو الإضافات المناسبة، وتهيئتها للطباعة والنشر. الثاني: إعداد موضوعات حسينية - يضمّ العنوان وخطّة بحث تفصيلية - من قبل اللجنة العلمية في هذا القسم، تصلح لكتابة رسائل وأطاريح جامعية، وتوضع في متناول طلاب الدراسات العليا.

السابع: قسم الترجمة

الهدف من إنشاء هذا القسم إثراء الساحة العلمية بالتراث الحسيني عبر ترجمة ما كتب منه بلغات أخرى إلى اللغة العربية، ونقل ما كتب باللغة العربية إلى اللغات الأخرى، ويكون ذلك من خلال إقرار صلاحية النتاجات للترجمة، ثم ترجمته أو الإشراف على ذلك إذا كانت الترجمة خارج القسم.

الثامن: قسم الرصد والإحصاء

يتم في هذا القسم رصد جميع القضايا الحسينية المطروحة في جميع الوسائل المتبعة في نشر العلم والثقافة، كالفصائات، والمواقع الإلكترونية، والكتب، والمجلات والنشريات، وغيرها؛ مما يعطي رؤية واضحة حول أهم الأمور المرتبطة بالقضية الحسينية بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثراً جداً في رسم السياسات العامة للمؤسسة، ورصد بقية الأقسام فيها، وكذا بقية المؤسسات والمراكز العلمية في شتى المجالات. ويقوم هذا القسم بإصدار مجلة شهرية إخبارية تسلط الضوء على أبرز النشاطات والأحداث الحسينية محلياً وعالمياً في كل شهر، بعنوان: مجلة الراصد الحسيني.

التاسع: قسم المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية

يعمل هذا القسم على إقامة مؤتمرات وملتقيات وندوات علمية فكرية متخصصة في النهضة الحسينية، لغرض الإفادة من الأعلام الرائدة والإمكانات الواعدة، ليطمّ طرحها في جو علمي بمحضر الأساتذة والباحثين والمحققين من ذوي الاختصاص، وتتم دعوة العلماء والمفكرين؛ لطرح أفكارهم ورؤاهم القيمة على الكوادر العلمية في المؤسسة، وكذا سائر الباحثين والمحققين، وكل من لديه اهتمام بالشأن الحسيني، للاستفادة من طرق قراءتهم للنصوص الحسينية وفق الأدوات الاستنباطية المعتمدة لديهم.

العاشر: قسم المكتبة الحسينية التخصصية

يضمّ هذا القسم مكتبة حسينية تخصصية تعمل على رفد القراء والباحثين في المجال الحسيني على مستويين:

أ - المكتبة الحسينية التخصصية، والتي تجمع التراث الحسيني المخطوط والمطبوع، أنشأتها مؤسسة وارث الأنبياء، وهي تجمع آلاف الكتب المهمة في مجال تخصصها.

ب - المجال الإلكتروني، إذ قامت المؤسسة بإعداد مكتبة إلكترونية حسينية يصل العدد فيها إلى أكثر من ثمانية آلاف عنوان بين كتب ومجلات وبحوث.

الحادي عشر: قسم الإعلام الحسيني

يتوزّع العمل في هذا القسم على عدّة جهات:

الأولى: إطلاع العلماء والباحثين والقراء الكرام على نتائج المؤسسة وإصداراتها، ونشر أخبار نشاطات المؤسسة وفعالياتها بمختلف القنوات الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي وعلى نطاق واسع.

الثانية: إنشاء القنوات الإعلامية، والصفحات والمجموعات الإلكترونية في وسائل التواصل الاجتماعي كافة.

الثالثة: العمل على إنتاج مقاطع مرئية في الموضوعات الحسينية المختلفة، مختصرة ومطوّلة، وبصورة حلقات مفردة ومتسلسلة، فردية وحوارية.

الرابعة: إعداد وطباعة نصوص حسينية وملصقات إعلانية، ومنشورات حسينية علمية وثقافية.

الخامسة: التواصل مع أكبر عدد ممكن من القنوات الإعلامية والصفحات والمجموعات الإلكترونية في وسائل التواصل الاجتماعي؛ لتزويدها بأنواع المعلومات من مقاطع مرئية ومنشورات وملصقات في الموضوعات الحسينية

المختلفة الشاملة للتاريخ، والسيرة، والفقه، والأخلاق، وردّ الشبهات، والمفاهيم، والشخصيات.

الثاني عشر: قسم الموقع الإلكتروني

وهو موقع إلكتروني متخصص، يقوم بنشر إصدارات وفعاليات مؤسسة وارث الأنبياء، وعرض كتبها ومجلّاتها، والترويج لتنتاجات أقسامها ونشاطاتها، وعرض الندوات والمؤتمرات والمقتنيات التي تقيمها، وكذا يسلّط الضوء على أخبار المؤسسة، ومجمل فعاليّاتها العلميّة والإعلاميّة. بالإضافة إلى ترويج المعلومة الحسينيّة والثقافة العاشوريّة عبر نشر المقالات المختلفة، وإنشاء المسابقات الحسينيّة، والإجابة عن التساؤلات والشبهات.

الثالث عشر: قسم إقامة الدورات وإعداد المناهج

يتكفل هذا القسم بإعداد الدورات الحسينيّة في المباحث العقديّة والتاريخيّة والأخلاقيّة، ولمختلف شرائح والمستويات العلميّة، وكذلك إقامة دورات تعليميّة ومنهجية في الخطابة الحسينيّة، كما يضطلع هذا القسم بمهمّة كبيرة، وهي إعداد مناهج حسينيّة تعليميّة وثقفيّة لمختلف الفئات وعلى عدّة مستويات:

الأول: إعداد مناهج تعليميّة للدراسات الجامعيّة الأولى والدراسات العليا.

الثاني: إعداد مناهج تعليميّة في الخطابة الحسينيّة.

الثالث: إعداد مناهج تعليميّة عامّة لمختلف شرائح المجتمع.

الرابع: إعداد مناهج ثقفيّة عامّة.

الرابع عشر: القسم النسوي

يعمل هذا القسم من خلال كادر علمي متخصص وبأقلام علميّة نسويّة في الجانب الديني والأكاديمي على تفعيل دور المرأة المسلمة في الفكر الحسيني، ورفد

أقسام المؤسسة بالتتجات النسويّة، كما يقوم بتأهيل الباحثات والكاتبات ضمن ورشات عمل تدريبيّة، وفق الأساليب المعاصرة في التأليف والكتابة.

الخامس عشر: القسم الفنيّ

إنّ العمل في هذا القسم قائم على طباعة وإخراج التتجات الحسينيّة التي تصدر عن المؤسسة، من خلال برامج إلكترونيّة متطوّرة، يُشرف عليها كادر فنيّ متخصص، يعمل على تصميم أغلفة الكتب والإصدارات، والملصقات الإعلانيّة، والمطويّات العلميّة والثقافيّة، وعمل واجهات الصفحات الإلكترونيّة، وبرمجة الإعلانات المرئيّة والمسموعة وغيرهما، وسائر الأمور الفنيّة الأخرى التي تحتاجها أقسام المؤسسة كافّة.

وهناك مشاريع أخرى سيتمّ العمل عليها إن شاء الله تعالى.

قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

يتكفّل قسم الرسائل والأطاريح الجامعية بمهمّة نشر الفكر الحسيني المبارك، من خلال تفعيل الدراسات والأبحاث العلميّة الحسينية في الأوساط الجامعية والأكاديمية بمستوياتها الثلاثة: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، مضافاً إلى الرُقّي بالمستوى العلمي والتحقيقي للكفاءات الواعدة المهتمّة بالنهضة الحسينية في جميع مجالاتها. وقد تصدّى لهذه المسؤولية نخبة من الأساتذة المحقّقين في المجال الحوزوي والأكاديمي.

أهداف القسم

الغاية من وراء إنشاء هذا القسم جملة من الأهداف المهمّة، منها:

١- إخضاع الدراسات والأبحاث الحسينية لمناهج البحث المعتمّدة لدى المعاهد والجامعات.

٢- إبراز الجوانب المهمّة وفتح آفاق جديدة أمام الدراسات والأبحاث المتعلقة

بالنهضة الحسينية، من خلال اختيار عناوين ومواضيع حيوية مواكبة للواقع المعاصر.

٣- الارتقاء بالمستوى العلمي للكوادر الجامعية، والعمل على تربية جيل يُعنى بالبحث والتحقيق في مجال النهضة الحسينية الخالدة.

٤- إضفاء صبغة علمية منهجية متميزة على صعيد الدراسات الأكاديمية، المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

٥- تشجيع الطاقات الواعدة في المعاهد والجامعات؛ للولوج في الأبحاث والدراسات العلمية في مختلف مجالات البحث المرتبطة بالنهضة الحسينية، ومن ثم الاستعانة بأكفائها في نشر ثقافة النهضة، وإقامة دعائم المشاريع المستقبلية للقسم.

٦- معرفة مدى انتشار الفكر الحسيني في الوسط الجامعي؛ لغرض تشخيص آلية التعاطي معه علمياً.

٧- نشر الفكر الحسيني في الأوساط الجامعية والأكاديمية.

٨ - تشخيص الأبعاد التي لم تتناولها الدراسات الأكاديمية فيما يتعلق بالنهضة الحسينية، ومحاولة العمل على إبرازها في الدراسات الجديدة المقترحة.

٩- التعريف بالرسائل الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة؛ والتي تمت كتابتها ومناقشتها في الجامعات.

آليات عمل القسم

إن طبيعة العمل في قسم الرسائل والأطاريح الجامعية تكون على مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: العناوين والمواضيع الحسينية

يسير العمل فيه طبقاً للخطوات التالية:

١- إعداد العناوين والموضوعات التخصصية، التي تُعنى بالفكر الحسيني طبقاً

للمعايير والضوابط العلمية، مع الأخذ بنظر الاعتبار جانب الإبداع والأهمية لتلك العناوين.

٢- وضع الخطة الإجمالية لتلك العناوين والتي تشتمل على البحوث التمهيدية والفصول ومباحثها الفرعية، مع مقدّمة موجزة عن طبيعة البحث وأهميته والغاية منه.

٣- تزويد الجامعات المتعاقد معها بتلك العناوين المقترحة مع فصولها ومباحثها.

المستوى الثاني: الرسائل قيد التدوين

يسير العمل فيه على النحو التالي:

- ١- مساعدة الباحث في كتابة رسالته من خلال إبداء الرأي والنصيحة.
- ٢- استعداد القسم للإشراف على الرسائل والأطروحات فيما لو رغب الطالب أو الجامعة في ذلك.

٣- إنشاء مكتبة متخصصة بالرسائل الجامعية؛ لمساعدة الباحثين على إنجاز دراساتهم ورسائلهم، فضلاً عن إتاحة الفرصة أمامهم للاستفادة من مكتبة المؤسسة المتخصصة بالنهضة الحسينية.

المستوى الثالث: الرسائل المناقشة

يتمّ التعامل مع الرسائل التي تمّت مناقشتها على النحو التالي:

- ١- وضع الضوابط العلمية التي ينبغي أن تخضع لها الرسائل الجامعية، تمهيداً لطبعتها ونشرها وفقاً لقواعد ومقررات المؤسسة.
- ٢- رصد وإحصاء الرسائل الأكاديمية التي تمّ تدوينها حول النهضة الحسينية المباركة.

٣- استحصال متون ونصوص تلك الرسائل من الجامعات المتعاقد معها، والاحتفاظ بها في مكتبة المؤسسة.

٤- قيام اللجنة العلمية في القسم بتقييم الرسائل المذكورة، والبتّ في مدى صلاحيتها للطباعة والنشر من خلال جلسات علمية يحضرها أعضاء اللجنة المذكورة.

٥- تحصيل موافقة صاحب الرسالة لإجراء التعديلات اللازمة، سواء أكان ذلك من قبل الطالب نفسه أم من قبل اللجنة العلمية في القسم.

٦- إجراء الترتيبات القانونية اللازمة لتحصيل الموافقة من الجامعة المعنية وصاحب الرسالة على طباعة ونشر رسالته التي تمت الموافقة عليها بعد إجراء التعديلات اللازمة.

٧- فسح المجال أمام الباحث؛ لنشر مقال عن رسالته في مجلة (الإصلاح الحسيني) الفصلية المتخصصة في النهضة الحسينية التي تصدرها المؤسسة.

٨ - العمل على تلخيص الرسائل الجامعية، ورغد الموقع الإلكتروني التابع للمؤسسة بها، ومن ثمّ طباعتها تحت عنوان: دليل الرسائل والأطاريح الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

هذه الرسالة: كلام الامام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية

يحتلّ كلام الإمام الحسين عليه السلام بأهمّية بالغة، وذلك لعدّة أسباب، من أهمّها أنّه إمام معصوم، لا ينطق عن الهوى، ما يعني أنّ كلامه يمثّل إرادة السماء، وموصل رسالتها إلى عموم المجتمع، فيهديهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، ويحذّرهم مما فيه شقاوتهم وتعاستهم، كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام وبمعزل عن كونه إماماً معصوماً فإنّه شخصيّة إسلاميّة، قياديّة، عالمة، واعية، متفهمّة، قد عاش عليه السلام في فترة زمنيّة حسّاسة من تاريخ الإسلام وتاريخ البشريّة، فهو الذي قاد أهمّ انعطافة في تاريخ الإسلام، والتي ما زالت آثارها مستمرة إلى اليوم. فهكذا شخصيّة حريّ بأن يدقّق كلامها بشكل مفصّل

ومستفيض؛ لمعرفة أهدافه وأسبابه وغاياته وأعدائه، والنتائج التي تحققت من تحرّكه ونهضته وتعاليمه.

كما أنّ تطبيق بعض العلوم اللغويّة الحديثة على كلام الإمام عليه السلام، بل وعلى سائر النصوص التاريخية، له أهميّة بالغة؛ لأنّه يمثّل استنطاق النصوص بأساليب جديدة ومتنوّعة، وهو ما يثمر نتائج مهمّة ومؤثّرة يمكن أن تستفيد منها الأجيال في الأزمان المختلفة.

إنّ المنهج التداولي أو ما يسمّى بعلم التخاطب، قد ذُكرت له تعريفات عديدة، ويمكن تقريبها بما حاصله: دراسة الألفاظ والعلامات في النصّ ودلالاتها على المعاني، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف والشرائط المحيطة بها، وكذا مقاصد المتكلّم وما يحمله المخاطب في ذهنه وثقافته. فهذه جميعها أمور مؤثّرة في تحديد المعنى المقصود من الكلام. فكانت هذه الرسالة تطبيقاً لهذه النظريّة على كلمات الإمام الحسين عليه السلام، وقد اختار الباحث مجموعة كبيرة من النصوص المروية عن الإمام عليه السلام، وقد توصّل إلى نتائج جيّدة ومهمّة في بابها.

وفي الختام نسأل الله تعالى للمؤلّف دوام السّداد والتوفيق لخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنّّه سميعٌ مجيبٌ.

اللجنة العلمية في

مؤسسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية

مقدمة قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وأشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يمتاز القرن العشرون من بدايته إلى نهايته بمنعطفات معرفية عديدة، غيرت مسار حقول معرفية تغييراً ملموساً، ما أثر في المجتمع الإنساني على مستويات كثيرة. وقد سرت تلك المنعطفات إلى اللسانيات باعتبارها إحدى تلك الحقول المعرفية، حيث ظهرت مدارس لسانية حديثة تناولت اللغة من زوايا متعددة، نشير إليها بما يناسب هذه المقدمة.

المدرسة الأولى تتمثل بالدلالية (Semantic) التي اعتنت بالمعنى الذي تحمله الجملة، وقد بدأ العمل العلمي على ذلك في نهاية القرن التاسع عشر في فرنسا، وتطور الآن بحيث أمسى علماً مستقلاً. وتتلو الدلالية المدرسة الثانية المعروفة بالسمياء أو علم العلامات أو الدالية، الحقل الذي تأسس في القارة (المدرسة الأوروبية) بزعامة اللساني دوسوسير، وفي أمريكا بزعامة الفيلسوف الذرائعي بورس، تهتم الدالية بالعلامات اللفظية الموصلة إلى المعاني. والفارق بين الاتجاه القاري وبين الاتجاه الأمريكي أن الاتجاه الأول قارب العلامات لسانياً، فيما قاربها الاتجاه الثاني فلسفياً. والمدرسة الثالثة هي التداولية التي أسسها آستين، ووسّعها تلميذه سيرل في كتابه المشهور (الأفعال الكلامية: Speech acts)، ويتناول هذا الحقل المعنى في السياق والمراد الجدّي بمعناه الأصولي، فنقل المعنى من المتحدث

(فاعل الكلام) إلى بيئة الخطاب والشروط الموضوعية التي تحقق فيها. والمدرسة الرابعة هي اللسانيات العرفانية التي تأسست في نهاية القرن العشرين في كاليفورنيا بأمريكا. وانطلقت المدرسة من مبنى مفاده أن اللغة لا تحكي. في الأغلب. الواقع، بل تحكي فكر المتحدث وفاعل الكلام، وأُسست مجموعة قواعد مهمة شرحت المبنى وبسطته في جميع أبعاده، وقد فاق هذا الحقل الحقول اللسانية الأخرى بما أنجزه من رؤى لسانية راقية ومهمة.

المؤسسة الدينية لم تغفل عن هذا الانتاج اللساني المهم والكبير، فقد دخلت في هذا السياق المعرفي الحديث بكل قوة، وشاركت بأعمال معرفية مفيدة ودراسات علمية راقية، نشير إلى بعضها:

١. بيولوجية النصّ الذي يمثل دراسة دالية تؤسس لنظرية في التفسير.
 ٢. الوحي والفعل الكلامي الذي يمثل دراسة تداولية لحقيقة الوحي.
 ٣. القرآن والاستعارة المفاهيمية الذي يمثل تطبيقاً للسانية العرفانية على الصياغات القرآنية. والدراسة هي دراسة متميزة من نوعها في العالم الإسلامي - في نظرنا - وقد وافقت هاته الدراسات كثيراً في مقاربتها للموضوعات التي تناولتها.
- المدرسة الأصولية قد شاركت هاته الحقول اللسانية الأربعة في مجموعة من المسائل خاصة التداولية التي وظفتها الرسالة، إذ ركّز الحقل الأصولي على البعدين: الدلالي والتداولي لفهم النصّ الشرعي للوصول إلى مراد المشرّع وتبيين الأحكام الشرعية، فقد أبدع الحقل في مقارنة مسائل كثيرة تتقاطع مع ما أثارته المدرستان الدلالية والتداولية.

الرسالة تمثّل عملية تطبيقية لقواعد التداولية على كلمات الإمام الحسين عليه السلام، وقد تناول الباحث المحترم قبل عملية التطبيق الإطار المفاهيمي (المبادئ التصورية) في الفصل الأول من الرسالة، يبين خلاله مجموعة مفاهيم أسستها التداولية، نشير إلى بعضها فيما يأتي.

الاستلزام الحوارى الذى أسسه غرايس أحد أقطاب الحقل اللسانى. والمفهوم يعنى أن التأويل الدلالى للعبارة أو النصّ يركّز على وظيفتين: وظيفة أصلية مستقرّة فى القواعد المضبوطة، ووظيفة سيّالة متغيرة تبعاً لتغيّر ظروف الاستعمال تقنّن حسب بيئة الخطاب. وقد ضمّ البحث الاستلزام العام الذى تنطوي عليه مجموعة من الألفاظ نظير "كلّ" و"جميع" و"أكثر" و"النكرة"، حيث طبّقها الباحث على كلمات الإمام عليه السلام، ووفق كثيراً فى عملية التطبيق كما يظهر فى مطاوي الفصل الأول. والاستلزام الخاصّ الذى يمثّل فى حقيقته دلالة سياقية تنتمى إلى المخفى والمسكوت عنه فى النصّ، فيّن الباحث الطُرق التى يجرى بها الاستلزام الحوارى، وطبّقها على بعض النصوص تطبيقاً موفقاً.

تناول فى الفصل الثانى الخلفيات التى يتضمّنهما القول أو النصّ، نظير الافتراض المسبق والأقوال المضمرة. وتعدّ هاته المفاهيم التداولية ذات أهمية فائقة وخطيرة فى تأويل النصوص، وتمثّل خلفيات تواصلية ضرورية لتتمّ عملية التواصل، وقد أفلح الباحث فى استخراج هاته الخلفيات من كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

وعالج فى الفصل الثالث الأفعال الكلامية مقسّماً إيّاها إلى أفعال كلامية مباشرة وإلى أفعال كلامية غير مباشرة كما قرّرت فى التداولية، مشيراً إلى سياقها التاريخى والبيئة التى نشأت فيها، مروراً بمؤسّس الحقل سيرل الذى قسّم الفعل الكلامى إلى ثلاثة أقسام هي:

١. فعل الكلام (صوت + تركيب + معنى).
٢. فعل ضمن الكلام أو الفعل الإنجازى الذى يعادل المراد التفهيمى فى المجال التداولى الأصولى.
٣. الفعل ما بعد الكلام أو الفعل التأثيرى الذى يعادل النسبة الإرسالية

أو الإمساكية عند الأصوليين. وقد وُفّق الباحث في تطبيق هاته الأفعال على كلمات الإمام الحسين عليه السلام، واستطاع أن يبرز القواعد بجلاء في نصوص الإمام عليه السلام. وفي الخاتمة فإنّ الرسالة تمثّل عملاً علمياً موفّقاً يعكس استعدادات الباحث المحترم في مقارنته لمسائل التداولية، وفي تطبيق مفاهيم هذا الحقل على نصوص الإمام الحسين عليه السلام وكلماته.

اللجنة العلمية في
فسر الرسائل والأطاريح الجامعية
مؤسسة وارث الأنبياء

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، والصلاة والسلام على خير الأنام، أبي القاسم محمد، وآله الطيّبين الطاهرين.

أمّا بعد:

يتّخذ المتكلّم لتبليغ رسالته أساليب وطرائق تعبير متباينة، تتأرجح بين المباشرة والتلميح، ولعلّ ذلك منوط بالموقف الخطابي، ونوع الرسالة المراد تبليغها، وطبيعة المتلقّي، وهذه النزعة في التعبير نجدها في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) لما اتصف به من شأن رسالي، يهدف إلى بناء المجتمع والنهضة الشاملة لإصلاحه، فتجلّى سفرًا خالداً، شكّل ثورة عارمة، أتت على عروش الظلم، فجعلتها دكاً دكاً.

وإذ ذاك كان سبب اختيارنا لهذه الدراسة هو محاولة للكشف عن الكيفيّة التي استعملت بها اللغة لتحمل تلك الأهداف السامية والحوارات المعبرة، والحجج الدامغة على خصومه، فضلاً عن الأهميّة التي يضطلع بها كلامه (عليه السلام)، فهو متن لغوي ينتمي إلى عصر الاستشهاد، وكلام الإمام الحسين (عليه السلام) بما يكتنزه من مقوّمات إصلاحيّة، مكّنته من التحرك عبر الأجيال، لتغذي منه مقوّمات الحرّية التي جسّدها فيه، فتطلّع البحث لرصد نتاج الإمام (عليه السلام) اللغوي في مختلف محطّات حياته، واستنطاق أهدافه ومضامينه وغاياته، واستلهاها عبرة؛ لنشارك - وإن قليلاً - في نشر أهداف الإمام (عليه السلام).

فيمّمت وجهتي شطره، مستعيناً بمنهج حديث على ساحة الدراسات العربية، يعدّ وسيلة لفكّ شفرات اللغة في حيّز الاستعمال، بما يقوم عليه من مبادئ تشرك أقطاب الحوار ومقامه، موظّفة الجوانب اللغويّة وغير اللغويّة للوصول إلى مقاصد المتكلّم، أو الاقتراب منها، فالمنهج التداولي بوصف منظّريه: هو المنهج الذي يدرس اللغة حال استعمالها، أي: ضمن إطار التواصل، مستحضراً المقام الذي أنتج فيه الخطاب، عن طريق الربط بين الملفوظات وظروف إنجازها، ليبين مكانة المتكلّم، وماذا تكلم، ومن يتلقّى، وماذا يفهم، كما يفسّر الأسباب التي حملت الخطاب على وجهة من دون أخرى.

قد ركّز هذا العمل الموسوم بـ (كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية)، على دراسة كلام الإمام عليه السلام في الاستعمال، على وفق آليات المنهج التداولي، وقد اتّجهت الدراسة إلى شقّ طريق مغاير للدراسات السابقة من وجوه: منها ما يتعلّق بطبيعة المتن (موضع الدراسة)، إذ ذهبت متتبعة كلام الإمام عليه السلام في مختلف محطّات حياته، والتكثيف في عرض الأمثلة التطبيقية، وعدم الاكتفاء بالنموذج الواحد، والربط بينها وبين الأحداث التي تفسّرها خارج بنية اللغة، محاولة لتتبّع الحقيقة، والوصول إلى مقاصد الخطاب أو الاقتراب منها، وبيان مظلوميّة أهل البيت عليه السلام، فغطّت الدراسة كلّ مراحل حياة الإمام عليه السلام ونتاجه اللغوي، وبيّنت أهدافه وغاياته، ومسوّغات خطابه، وكان المنهج التداولي الأداة للوصول إلى الهدف المنشود، وهو منهج حديث لم يُدرس بالنسبة إلى كلام الإمام عليه السلام، وهو بحسب محاوره يغطّي الدراسات السابقة مجتمعة وزيادة، بما يتّصف به من سمة تكاملية نسبياً، فتناول خطاب الإمام عليه السلام من زوايا مختلفة، محلّلاً السياقات اللغويّة والمقامات التخاطبيّة، مقارناً مقاصدها وأغراضها في إجراء تطبيقي مشبع بالأمثلة، حتّى رسم صورة واضحة - بحسب قناعة البحث - لتحركات الإمام عليه السلام وأهدافه وتأثيرات خطابه،

عن طريق محاور تعدّ أهمّ ما في الدرس التداولي، وهي: الاستلزام الحواري، ومتضمّنات القول، والأفعال الكلاميّة، ضمن منهجيّة تطبيقيّة قامت على ثلاثة فصول، مسبوقة بتمهيد، ومشفوعة بخاتمة، تضمّنت أهمّ ما وصلت إليه الدراسة، ثمّ ثبت المصادر والمراجع.

أمّا التمهيد فتضمّن تأصيلاً علمياً لمصطلحات العنوان، يتقاسمه مطلبان: الأول، دار الحديث فيه حول مصطلح (الكلام) وتعايقه مع الخطاب؛ لنجني ارتشاف كلّ نتاج الإمام عليه السلام اللغوي ومنحه السمة الخطابيّة، لما استهدف من مخاطبين، سواء متخيّلين كانوا أم مباشرين، والآخر: تطرّقت الدراسة فيه لمفهوم (المقاربة) ثمّ (التداوليّة) من حيث النشأة والتكوين، وآلية تطبيقها على المتن التراثي.

وشكّل الاستلزام الحواري مادّة الفصل الأوّل، يتشاطره مبحثان، يقدمهما توطئة بيّنت مفهوم الاستلزام الحواري ونشأته، وتضمّن المبحث الأول: الاستلزام العام، الذي يجلي التركيز المعنوي في المفردات، والآخر: الاستلزام الخاص، الذي وضّح خرق القواعد الخطابيّة المتفرّعة عن مبدأ التعاون.

أمّا الفصل الثاني فنهض بمحور متضمّنات القول، لينقسم على مبحثين، تسبقهما توطئة وضّحت ماهية متضمّنات القول، وشكّل الافتراض المسبق مادّة المبحث الأوّل، بينما جاء المبحث الثاني متضمّناً الأقوال المضمرة.

ومثّل الفصل الثالث الأفعال الكلاميّة في كلام الإمام الحسين عليه السلام، ليتفرّع إلى مبحثين بعد التوطئة لماهية الأفعال الكلاميّة بصورة عامّة، فقدّم المبحث الأوّل: الأفعال الكلاميّة المباشرة، بينما عرض المبحث الثاني الأفعال الكلاميّة غير المباشرة. وعرضت الخاتمة أوضح نتائج البحث، وهي لا تدّعي الجزم فيما توصّلت إليه، وإنّما بحسب ما انبجس من جهودها.

واعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة وغنيّة، تمثّلت كُتُب التراث أساساً، واتّجهت للكتب الحديثة موصلة القديم بالحديث، فأُتت على كتب التاريخ، والتراجم، والكتب اللغويّة، وكتب الحديث، والفقه، واللسانيات، حتّى استوت مادّة غنية للدراسة.

وكان من أهمّ الصعوبات التي واجهت البحث، حساسيّة المتن (موضع الدراسة) بوصفه نتاج إمام معصوم، الأمر الذي يتطلّب حذراً شديداً في التحليل، على وفق آليات المنهج التداولي الذي شكّل هو الآخر عقبة ثانية؛ إذ يعدّ من المناهج الحديثة، مما يتطلّب قراءة واعية لفهم محاوره والتمييز بينها، فكان لزاماً على البحث تتبّع الكتب التي وضّحت هذا المنهج وشرحت مصطلحاته، ورصد أكثرها شهرة بين الباحثين، وتحديد المصطلحات التي تعتمد عليها الدراسة في مقارباتها، والحذر من بعض المصطلحات وتعويضها بالمناسب وطبيعة المتن المدروس، ومن الصعوبات كذلك تفحص كتب التاريخ، وتدوين كلام الإمام عليه السلام منها، واتّباع آلية التوثيق المكثّف في بيان مصادر الأمثلة.

وختاماً نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تحصى؛ إذ وفّقني لأرتشف من معين سيّد الشهداء عليه السلام حروفاً نديّة، تهب الهداية وعزّة النفس.

وأخيراً أقول: هذه بضاعتي، فإن أصبت بها فبتوفيق من الله، وإن لم أصب فبتقصير منّي، وحسبي أنّي حاولت، ولم أذخر من جهدي جهداً، وما توفّقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث

التمهيد

تروم الدراسة إلى أن تفتتح عملها بتمهيد، تحدّد فيه دلالة المصطلحات الواردة في العنوان؛ لتتجلّى للقارئ الأسس التي يقوم عليها العمل ومضامينه قبل الولوج في مادّته، ومقاربتها مقارنة لغويّة لسانیّة تتوخّى أهدافها وغاياتها، ويكون ذلك على وفق مطلبين يتقاسمان تركيبة العنوان: يتضمّن الأوّل: كلام الإمام الحسين عليه السلام؛ ليبيّن دلالة مصطلح (الكلام) بصورة عامّة، ثمّ يبيّن ما يضيفه التعانق الإضافي بين مصطلح الكلام، والسلطة التي يتمتع بها الإمام عليه السلام، ليضيفي عليه تطوّراً دلاليّاً في هذا الاستعمال، ثمّ يعرض المطلب الآخر: شقّ العنوان الثاني (مقاربة تداوليّة) مفصّلاً القول في مفهوم المقاربة أولاً، ثمّ التداوليّة من حيث المصطلح والنشأة والمفهوم، والتداوليّة والنصّ التراثي.

المطلب الأول: كلام الإمام الحسين عليه السلام

أولاً: مفهوم الكلام

يعدّ الكلام من أكثر المصطلحات اللغويّة - باتفاق علماء اللغة - شيوعاً، وبه يوصف أول إنجاز لفظي مفيد يمكن أن ينطق به اللسان، قلّ أو كثر، وتفصيل هذا المذهب نجده في المعاجم التي رقت دلالاته، فهو «اسم جنس يقع على القليل والكثير»^(١)، من قولهم: «كَلَّمْتُهُ أَكَلَّمْتُهُ تَكَلِّمًا، وَهُوَ كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَوْ كَلَّمْتَهُ. ثُمَّ يَتَسَعُّونَ فَيَسْمُونَ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً، وَالْقَصِيدَةَ بِطَوْلِهَا كَلِمَةً»^(٢)، وألح صاحب اللسان لبعض الفروق بين الكلام والقول، فذهب إلى أنّ: الكلام ما يكتفي بنفسه، والقول ما لم يكن مكثفياً بنفسه^(٣).

أمّا الكلام في الاصطلاح فنجد من يجعل له حدّاً أدنى بعض الشيء، فيصفه: «المركب من حرفين فصاعداً»^(٤)، لكن المرجع في تحديده هذا لا ينبع من اللفظ بوصفه متكوّناً من أصوات تلفظ كيفما اتفق، بل من حيث ضابطة الإسناد والإفادة، فيكون «كلّ لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسمّيه النحويّون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه،

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٥، ص ٢٠٢٣، مادة (كلم).

(٢) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ١٣، مادة (كلم).

(٣) يُنظر: ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٥٢٣، مادة (كلم).

(٤) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون: ج ٣، ص ١٢٦٨.

ورويد، وحاء وعاء في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»^(١)، ومتى «ما أطلق الكلام ينصرف عرفاً للمفيد، فيكون مقابله ما ليس كذلك»^(٢)، فعني النحاة بتمييز الكلام على أساس تركيبى إعرابى، ويميّزوا من أجل ذلك بينه وبين القول من حيث الاستقلال وتام الإفادة، فيتبين مما تقدم أنّ مصطلح الكلام قد استعمل:

١. في معناه اللغوي، ليطلق على كلّ ما يتكلّم به، مهما كان حجمه وجنسه، ومنه جاء استعمال (كلام العرب) للإشارة إلى كلّ ما تكلموا به من دون تحديد، وكان تعويض (الكلام) بجنس مخصوص منه كالقصيدة أو الخطبة أو غيرها، كما في قول الجاحظ: «لو أنّ رجلين خطبا أو تحدّثا أو احتجّا أو وصفا...، ثمّ كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة...»^(٣).

٢. في معناه النحوي الدقيق، ليطلق على التركيب المفيد التام، ويميّز بذلك عن التركيب الناقص.

وقد حرص البلاغيّون على الوقوف عند مفهوم الكلام في عرف النحاة؛ وذلك لارتباط مفهوم البلاغة به؛ إذ أنّ رعاية مقتضى الحال - وهي شرط البلاغة - لا تتحقّق إلّا بالكلام المفيد التام وتطبيقه على ما يقتضي الحال ذكره^(٤)، وما يؤكّد ذلك أنّ ثنائية الخبر والإنشاء بوصفهما مدار علم المعاني، قائمة على خواصّ التركيب، لذا ذكره

(١) أبو الفتح، عثمان بن جني، الخصائص: ج ١، ص ١٨.

(٢) الخطيب القزويني، شروح التلخيص: ج ١، ص ٧٢.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٩٢.

(٤) يُنظر: السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم: ص ١٦١.

السكّائي في تعريف علم المعاني، بقوله: «هو تتبّع خواصّ تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»^(١)، غير أنّ هذا لا يعني اقتصارهم على تصوّر النحوي للكلام بقدر ما يعني التزامهم بمقاييس النحاة في تعريفه، وفي ضبط الحد الأدنى الذي إذا نزل اللفظ دونه خرج عن أن يكون كلاماً، ومع ذلك أدلوا بتصوّر خاصّ بهم للكلام يميّزهم عن النحاة، يظهر عند حديثهم عن جنس الكلام^(٢).

وقد جاء في تعريف التهانوي علم العربية: «هو علم يُحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة»^(٣)، فهو يميّز بين الصوت والحرف، ويتّخذ منهما وسيلة للمتكلّم لإنتاج الكلام.

وعليه، قد تأرجحت الآراء بين الجمع بين المسموع والمكتوب من جهة، واعتبار أحدهما دون الآخر من جهة أخرى، وهذا لا يمنع القول: إنّ المتكلّم - ناطقاً كان أو كاتباً - هو متكلّم واقعي، والكلام بهذا الاعتبار هو المنجز في المقامات الحقيقيّة، أمّا قيمة التمييز بين الشفوي والمكتوب فتكمن في اختصاص كلّ ضرب بشروط تميّزه عن الآخر، وهما أداة للإفهام والإبانة والتوجيه، ولما كان الإفهام يستوجب طرفين: «المفهم وهو المتكلّم، والمفهم وهو المتقبل، فإنّ اشتراط الصوت أو الخط (الكتابة) هو في الحقيقة تأكيد على الخاصيّة التخاطبيّة في الكلام»^(٤). وقد ذكر أبو هلال العسكري هذه الخاصيّة حين قال: «التكليم تعلّيق الكلام بالمخاطب، فهو أخصّ من الكلام

(١) المصدر نفسه: ١٦١.

(٢) يُنظر: صمّود، حمادي، مقالات في تحليل الخطاب: ص ١٩.

(٣) التهانوي، محمد بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون: ج ١، ص ١٣.

(٤) صمّود، حمادي، مقالات في تحليل الخطاب: ص ١٩.

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ خَطَابًا لِلْغَيْرِ، فَإِذَا جَعَلْتَ الْكَلَامَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّكْلِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَكَ: كَلَّمْتَهُ كَلَامًا وَكَلَّمْتَهُ تَكْلِيمًا سَوَاءٌ، وَأَمَّا قَوْلُنَا فَلَانَ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ وَيَكَلِّمُ نَفْسَهُ فَمَجَازٌ^(١)، فَإِذَا انْطَلَقْنَا مِنْ خَاتِمَةِ قَوْلِ الْعَسْكَرِيِّ نَدْرِكُ أَنَّ الْأَسْمِينَ يَشْتَرِكَانِ فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْفِعْلُ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّ (التَّكْلِيمَ) حَافِظٌ عَلَى دَلَالَةِ الْفِعْلِ عَلَى التَّوْجِيهِ، الَّذِي يَسْتَلْزِمُ وَجُودَ مُقَابِلٍ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ، فِي حِينَ غَابَتْ بَعْضُ الشَّيْءِ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي (الْكَلَامِ) بِوصفه اسماً يُطْلَقُ عَلَى مَا يَنْتَجِهُ مِنَ التَّكَلُّمِ عَامَّةً، غَيْرَ أَنَّ الْعَسْكَرِيَّ يَسْتَأْنِفُ تَحْلِيلَهُ لِيَفْتَتَ هَذَا الْفَرْقَ مُؤَكِّدًا أَنَّ لَفْظَ (الْكَلَامِ) يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَاهِ الْمَصْدَرِيِّ؛ لِيَدُلَّ عَلَى عَمَلِ التَّكَلُّمِ، لَا عَلَى نَتِيجَةِ عَمَلِهِ، فَيُتَرَشَّحُ اسْتِعْمَالُ (الْكَلَامِ) لِيَدُلَّ عَلَى الْذَاتِ تَارَةً، وَعَلَى الْحَدَثِ تَارَةً أُخْرَى، أَمَّا التَّكْلِيمُ فَلَمْ يَعُدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْوَسْطِ اللَّغَوِيِّ إِلَّا لِتَأْكِيدِ الْفِعْلِ^(٢)، وَبِذَلِكَ يَعُدُّ «الْكَلَامُ» نَشَاطًا مَرْكَزِيًّا فِي الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَتَرَكَّزُ تَحْلِيلُهُ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَنْتَظِمُ بِهَا فِي الْمُبَادَلَاتِ الْيَوْمِيَّةِ، وَالْمَسْأَلَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ هِيَ مَسْأَلَةُ التَّرْتِيبِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِي بِنَائِهِ الْمَشَارِكُونَ فِي لِقَاءٍ لِإِنْجَازِ أَعْمَالٍ^(٣)، وَمِنْ هُنَا كَانَ مَوْضِعًا لِلتَّدَاوُلِيَّةِ بِوصفها تَدْرُسُ مَا يَنْجِزُ مِنْ أَعْمَالٍ بِوَسَاطَةِ اللُّغَةِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

وَقَدْ تَوَاتَرَ اسْتِعْمَالُ مُصْطَلَحِ (الْكَلَامِ) مُرْتَبِطًا بِمُصْطَلَحِ (الْخُطَابِ) فَقِيلَ: الْخُطَابُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ هُوَ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ إِلَى آخَرٍ، وَالْخُطَابُ مَا يَدُورُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا^(٤).

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية: ص ٣٥.

(٢) يُنْظَرُ: صَمُود، حمادي، مقالات في تحليل الخطاب: ص ٢٠.

(٣) مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٤١.

(٤) يُنْظَرُ: الْأَزْدِي، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ج ١، ص ٢٩٠، والجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ١، ص ١٢١.

ثانياً: الإمام الحسين عليه السلام

هذا هو الوصف - المنصرم - للكلام بصورة عامة، أما إذا ارتبط بشخصية الإمام الحسين عليه السلام بما يمتلكه من سلطة مادية ومعنوية - شكّلت عظمته التي تجلّت في كلّ ميدان، حتّى غدا أمة بين العظماء، ومن ثمّ كان حريّاً بالدارسين أن يستوحوه على الدوام، مصدراً إلهامياً، انبثق وهاجاً قوياً، وقد كشف الإمام عليه السلام عن مشروعه وخطّته التي دفعته إلى الثورة والخروج، وهو يسجّل على الباطل باطله، وبذلك تميّزت شخصية الإمام الحسين عليه السلام بروافدها: الاجتماعية، والثقافية، والقيادية - ثمّ بما أنيط بها من دور رسالي، لا شكّ في أنّه سيأخذ مصطلح (الكلام) عنده بعداً أوسع، يستقطب مصطلح (الخطاب) وغيره؛ لينجز به أهدافه الإصلاحية، المتمثلة بالثورة ضدّ الظلم، وتنقية المجتمع الإسلامي من أدران الاستبداد والذلّ والخذلان، فنجني من مصطلح (الكلام) استثمار كلّ التّاج اللغوي الذي صدر عن الإمام الحسين عليه السلام وتوجيهه - بحسب طبيعته - وجهة بنائية، الغاية منها تربية الأمة الإسلامية على مختلف العصور، وتنوّع الأمكنة، ولا أجدى من هذا المصطلح شموليّة لذلك، وعليه يأخذ طابعاً خطابياً موجّهاً، لا كلاماً همّه التواصل الآني؛ لأنّ لفظ الخطاب من حيث معناه اللغوي يدلّ على كلّ ملفوظ أكبر من الجملة، منظوراً إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي، ومن وجهة نظر اللسانيّات مرادفاً للملفوظ^(١)، ويستعمل لفظ الخطاب «بكيفية أجناسيّة، مشيراً إلى كلّ إنتاج يحصل عن تفاعل تغلب عليه اللغة، سواء أكان حوارياً أم أحاديّاً، شفويّاً أم مكتوباً، تلقائياً أم

(١) يُنظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة: ص ١٤.

بالصنعة، في أبعاده اللسانية والنصية والمقامية»^(١)، ويقتضي لقيامه - الخطاب - شروطاً، أهمّها المخاطب والخطاب والمخاطب، فلا بدّ إذاً من أن تكون هناك رسالة يبيّنها المتكلّم ليتلقّاها المستمع الذي يكون شخصاً حقيقياً، أو متخيلاً من قبل المتكلّم^(٢).

(١) مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٤١.

(٢) يُنظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجمية: ص ١٤.

المطلب الثاني: المقاربة التداولية

أولاً: المقاربة

يمتاز متن البحث بأهميته الخاصة؛ بلحاظ منتجه، وهو الإمام الحسين عليه السلام، الأمر الذي يجعل الجزم بنتائج أي تحليل أمراً مستحيلاً؛ لأنه نصّ مكتنز مكثف، يرتشف منه الدارسون على اختلاف تخصصاتهم، ولا يحيطون به مهما اجتهدوا، ومهما كثرت عليه الدراسات يبقى معيناً لا ينضب، يتفجّر درراً في كلّ عصر، أمّا منهج الدراسة فهو ذلك المنهج الذي يهدف إلى الكشف عن مقاصد المتكلم التي يودعها في نتاجه اللغوي، لذا وسم العنوان بمصطلح (المقاربة) الذي يجنبنا منزلقات أي تأويل يجيد عن جادة الصواب، ولا يعدو أن يكون قراءة على وفق فهم الباحث، دون الجزم القاطع بحتمية صحتها.

والمقاربة من المصطلحات التي راجت في العصر الحديث بصفة أكثر استعمالاً، إذ تتقاسمه الدراسات اللسانية والنقدية والفلسفية، وهو ينحدر من المادة اللغوية للفعل (قرب) وقرب الشيء يقرب قرباً، أي: دنا، وقربه أقربه قرباناً، أي: دنوت منه. وقربتُ أقربُ قرابة، مثل كتبت كتاباً، إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة^(١). وقرب «خلاف البعد. يُقالُ قُربَ يَقْرُبُ قُرباً. وفُلانٌ ذو قَرابَتِي، وهو مَنْ يَقْرُبُ مِنْكَ رَحِمًا. وفُلانٌ قَرِيبِي، والقَرابُ: مُقارَبَةُ الأَمْرِ. وتَقُولُ: ما قُرْبْتُ هَذَا الأَمْرَ وَلَا أَقْرَبُهُ، إذا لَمْ تُشَامَهُ وَلَمْ تَلْتَسِ بِهِ»^(٢). ويعدّ «الدرس النحوي الميدان الحقيقي والأوسع في استعمال

(١) يُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج ١، ص ١٩٨، مادة (قرب).

(٢) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٨٠، مادة (قرب).

مصطلح المقاربة، فقد شاع في المدونة النحوية في باب أفعال المقاربة التي هي من نواسخ الابتداء عند النحاة^(١).

وازدهر هذا المصطلح حديثاً في مجال النقد والتحليل، فاستعملها الأجنبي والعربي دقيق جداً، إذ تتضمن اعتماد منهج لا شك في صلاحه في حد ذاته، ولكنه لا يجزم بخصب نتائجه سلفاً عند تطبيقه في ذلك الظرف المعين^(٢).

فالمنهج من حيث التطبيق لا يشك بقدرته وصلاحه، ولكن نتائج التطبيق ليس بالضرورة أن تكون دقيقة كل الدقة، فإنها تقارب الحقيقة بنسب متفاوتة، فلا يمكن الوصول إلى الحقيقة المطلقة في دراسة ما، وتبعاً لذلك يمكن القول إن دراسة النص تكون مقارنة عندما تحاول ملامسة هذا النص والدنو منه بصدق، من دون الحكم المسبق عليه، فالكثير من النتائج التي تصل إليها الدراسات اللغوية أو الإنسانية بشكل أوسع تكون نسبية ومقاربة^(٣).

ثانياً: التداولية

أ- المصطلح:

التداولية منهج نشأ وترعرع في الفكر الغربي، وهو ترجمة لقولهم: (pragmatics) في الإنكليزية، و (pragmatique) في الفرنسية، وليس ترجمة

(١) العنبيكي، عقيل عكموش، المقاربة اللغوية في الخطاب الصوفي، الفتوحات المكية إنموذجاً: ص ٣٠.

(٢) يُنظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ١٨٧.

(٣) يُنظر: العنبيكي، عقيل عكموش، المقاربة اللغوية في الخطاب الصوفي، الفتوحات المكية إنموذجاً: ص ٣٣، وهادي، كاظم فاضل، السور المكية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية: ص ١٩.

لمصطلح (lepragmatisme) الفرنسي؛ لأنّ هذا الأخير يعني (الفلسفة النفعيّة الذرائعيّة) (*)، ولذلك لا يتفق أكثر الباحثين مع الذين يترجمون هذين المصطلحين بالذرائعيّة (***) أو غيرها من المصطلحات المتحاولة معها^(١)، وقد رافق انتقاله إلى الأبحاث اللسانية العربيّة عدد من المصطلحات التي تشير إلى ماهيته قريباً وبعداً؛ بفعل الترجمة وتنوّع وجهات النظر في وصفه، فترجم بـ: التداوليّة، والذرائعيّة، وفلسفة الفعل، وعلم المقاصد، والنفعيّة، والبراهميّة البراهميّة، والبراهميّة اللسانية (***)، والفعليّات، والسياقيّة، والوظيفيّة، وعلم التخاطب،

(*) يدلّ مفهوم الذرائعية على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع جون ديوي ووليام جيمس، اللذين يريان أنّ الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي، ويعني هذا أنّ الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقّق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقيق المشاريع المستقبلية الهادفة التي تسهم في رقيّ الفرد عن طريق المردودية والإنتاجية، والارتباط بالحياة العملية والواقعية المفيدة، ومن ثمّ فالأفكار والحقائق التي لا تحقّق مصلحة أو منفعة للإنسان هي حقائق زائفة وغير نافعة، فالحقيقي هو المفيد والنافع والصالح، وبذلك يقوم الصحيح عند وليام جيمس على ما هو مفيد لفكرنا، وينبني الصائب أيضاً على ما هو مفيد لسلوكنا، فلا يرى البراهميون في الحقيقة إلّا طابعها المادي ومنحاهما النفعي والمصلحي لتحقيق التنمية والتقدّم، بينما يجب أن تكون الحقيقة في جوهرها معرفية وعملية وأخلاقية. يُنظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ٧.

(**) من الباحثين الذين ترجموا مصطلح (pragmatics) بالذرائعية: الدكتور سعد البازعي، والدكتور ميجان الرويلي في كتابهما (دليل الناقد الأدبي). يُنظر: دليل الناقد الأدبي: ١٠٠، والتداوليات وتحليل الخطاب: ٧.

(١) يُنظر: نحلة، محمد أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٩، صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني: ص ١٥، هامش المؤلّف.

(***) تبنّى هذا المصطلح الدكتور محمود عكاشة، معلّلاً رأيه بأنّه الأقرب للدلالة على المفهوم الغربي الدقيق، وللتفريق بين المصطلح اللساني الحديث والمصطلح الفلسفي

والتبادلية^(١)، غير أنَّ مصطلح التداولية الذي رقمه الدكتور طه عبد الرحمن في عام ١٩٧٠م، كان الأكثر استعمالاً بين الدارسين؛ «لأنَّه يوفي المطلوب حقَّه، باعتبار دلَّالته على معنَيي الاستعمال والتفاعل معاً»^(٢)، كما لا يخفى ما يتصف به من الخفَّة والسلاسة^(٣)، وعُضد هذه الترجمة الدكتور إدريس مقبول، بقوله: «وإن كان البعض من إخواننا الباحثين - خاصة في المشرق - ما يزالون يستعملون مقابلات مختلفة وملبسة وترجمات غير موفَّقة، مثل: الذرائعية والبرجماتية والنفعية والوظائفية وعلم التخاطب إلخ. وكلَّها لا ترقى في نظرنا لترجمة الأستاذ طه عبد الرحمن»^(٤)، إلَّا أنَّ هناك من يفضِّل ترجمته بـ (علم التخاطب)، وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد محمد يونس، بقوله: «أفضِّل ترجمة مصطلح *Pragmatics* بعلم التخاطب، وليس بالتداولية...، والواقع أنَّ المصطلح الأوَّل يُطلق على الدراسات التي تُعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي، وهو (علم الاستعمال) وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي، والأصولي فنسألحظ أنَّ الاستعمال. الذي يقابل الوضع عادة. يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلِّم في عملية التخاطب؛ ولذا فإنَّ ترجمة *Pragmatics* بعلم التخاطب أنسب. في رأيي. من الخيارات التي اطلَّعت عليها حتَّى الآن»^(٥)، إلَّا أنَّ

(*le pragmatisme*) الذي ترجم إلى البراجماتية الفوائدية والنفعية والعملية يُنظر:

البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: ٣.

(١) يُنظر: علي، محمد محمد، مقدِّمة في علمي الدلالة والتخاطب: ص ٧، حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب: ص ٦.

(٢) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام: ص ٢٨.

(٣) يُنظر: دلاش، الجيلاني، مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص ١.

(٤) مقبول، إدريس، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية: ص ٨، هامش: ٢.

(٥) علي، محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات: ص ١٠٢، هامش: ١٣٥.

مصطلح (التداولية) هو المعتمد والأكثر شيوعاً بين الباحثين، مما دخل في دائرة الاستعمال والشهرة التي هي قوام نجاح المصطلح.

ب - النشأة:

وإذا تركنا المصطلح لنبحث عن نشأتها، ومراحل تطورها، نجد أنها قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، فتمخضت عن سيميائية شارل ساندرس بيرس *ch. s. pearce*^(١) (١٨٣٤ - ١٩١٤) الذي اهتم بتداولية سيميائية قائمة على نظام العلامات^(*)،

(١) بيرس (١٨٣٩-١٩٢٤): فيلسوف وسيميائي أمريكي، من الرواد الأوائل للفلسفة البراغماتية *Pragmatisme*، التي تقوم على محورين اثنين: مشكلة المعنى، الذي حاول الإجابة فيه عن السؤال: متى يكون للعبارة معنى؟، ومشكلة الاعتقاد، الذي بحث فيه عن ماهية الاعتقاد، وما هو التحليل الصحيح للاعتقاد المتعلق بأشياء العالم الخارجي؟ وقد ربط التفكير بالعلامة، من أهم مؤلفاته: (مجموعة الأبحاث)، و(نصوص أساسية في السيميائيات)، و(كيف نجعل أفكارنا واضحة؟). يُنظر: فيلي، جان مارك، فلسفة التواصل: ص ٢٥، هامش المؤلف.

(*) العلامة هي شيء ما يحتل موقع شيء آخر، يعتمد تمظهرها وشيوعها على البعد التواصلية؛ إذ تثير في فكر المتقبل علامة مرتبطة بها، اصطلاح عليها بيرس بـ(المؤول)، وقد تتباين درجة مطابقتها للعلامة المحيلة زيادة أو نقصاناً. وقدّم بيرس الثالث الدلائلي (المرجع، والمدلول، والدال) بعد أن كانت مقتصرة عند سوسير على ثنائية (الدال والمدلول)، وانسدل من هذا الطرح ثنائية تفسيرية وهي: النمط *Type*: وهو العلامة بما هي كيان مجرد مثالي وتقع في اللسان بالمعنى السوسيري للفظ، والورود *Tokm*: وهو الاستعمال الملموس للفظ في السياق، فالعنى الحرفي هو النمط، أما الدلالة في السياق فهو يقابل الورود، وصنّف بيرس العلامات إلى ثلاث مجموعات: العلامة الرمز: وترتبط بالمرجع الذي تحيل إليه وتؤول بمعنيته بواسطة عرف ثقافي، وقد أكد سوسير إعتباطيتها. والعلامة الإشارة: وهي علامة لا تشغل إلا في الورود طالما أنّ وجودها يتبع سياقاً ما، مثل الدخان والنار. والعلامة الأيقونة: وهي علامة تشارك المرجع في عدد من الخصائص يتوافر عليها مثل الرسم التصويري. يُنظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٤١-٤٢.

حيث ميّز بين الرمز، والإشارة، والأيقونة، وألزم بوضوح الدراسة اللغوية بالمنظور التواصلّي والدلائلي الذي يسم المقاربة التداوليّة التي تعني (بورود العلامة)، ليفسح المجال في توسيع هذا الطرح لمن جاء بعده، وتحديدًا عند أكثرهم تأثرًا به الفيلسوف شارل موريس^(١) ليميّز بين ثلاثة مظاهر في اللغة الطبيعيّة: المظهر التركيبي، والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي، وبذلك بشّر موريس بالمقاربة التداوليّة - نظريًا ومنهجياً - التي تعنى بالوظيفة السياقية إذ جاءت ردّة فعل على المناهج الشكلية بوصفها - المناهج الشكلية - تركز على التركيب والدلالة وتقصي الوظيفة الاستعماليّة السياقية، وهي وظيفة ضرورية لاكتمال الفهم الحقيقي المتعلق باللغة الإنسانيّة^(٢).

وتعدّ التداوليّة نقطة تحوّل في الاتجاهات الفلسفيّة، وتركيز جهودها على دراسة اللغة، فانبثقت من رحم الفلسفة التحليليّة، إثر مجريات الثقافة المعمّقة في قضايا اللغة على يد غوتلوب فريجة^(٣)، الذي حاول تغيير مهمّة الفلسفة وموضوعها

(١) تشارلز موريس (١٩٠١) وهو فيلسوف أمريكي، عني بقضايا الدلالة المنطقيّة والسيمولوجيا، من خلال كتابه (أسس نظريّة الرموز) سنة ١٩٣٨. يُنظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب: ص ١٦٩.

(٢) يُنظر: حمداوي، جميل، التداوليّات وتحليل الخطاب: ص ١١، وبلانشيه، فيليب، التداوليّة من أوستن إلى غوفمان: ص ٤٣.

(٣) فريجة (١٨٤٨-١٩٢٥): منطقي ورياضي ألماني، كان أستاذًا للرياضيات في فيينا حتّى أواخر أيامه، بموازة ذلك كان يواصل بحوثه حول أسس علم الحساب، وبالرغم من نبوغه، فقد بقي فريجة غير معروف في الساحة الأوربيّة لمُدّة ليست بالقليلة، إلى أن أعاد راسل *Russel* اكتشافه في عام ١٩٠٣ م، فصار فيما بعد أحد أهم مؤسسي المنطق = الرياضي. من أهم ما ألفه (القوانين الأساسيّة لعلم الحساب)، و(الوظيفة والمفهوم)، و(أبحاث منطقيّة)، قام فريجة بتجديد النظر إلى الفلسفة من خلال مجاوزته تقسيم أرسطو للقضيّة الفلسفية إلى القضيّة الحملية، واعتداده الوظيفة

وممارستها بتركيزه على التحليل الفلسفي للغة^(١)؛ لأنه كفيلاً بإيصالنا إلى تفسير فلسفي للفكر، وتفسير الفكر كفيلاً بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون^(٢)، ولم تكن الفلسفة التحليلية ذات وجهة واحدة، بل تتمحور على ثلاثة اتجاهات متفاوتة المفاهيم، وهي^(٣):

١. الاتجاه الوضعي المنطقي: الذي انبثق عن حلقة فيينا التي تضم مجموعة من الفلاسفة والرياضيين، وقد ترأس هذا الاتجاه أخيراً، رودولف كارناب *R. Carnap*^(٤)، ومقولة هذه الفلسفة: إن المادة هي الموجود الوحيد^(٥)، وازدهر هذا الاتجاه في العشرينيات، ثم انحلت هذه المجموعة، وتشتت أعضاؤها^(٦). وتوجهت جهود هؤلاء الفلاسفة

-
- والحجة. يُنظر: فيري، جان مارك، فلسفة التواصل: ص ٢٤، هامش المؤلف، والخزاعي، عمّار إحسان، المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيويه: ص ٨٧.
- (١) يُنظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ص ١.
- (٢) يُنظر: جادة، ليلي، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية: ص ١٥.
- (٣) يُنظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٢٢.
- (٤) كارناب (١٨٩١-١٩٧٠): فيلسوف ومنطقي ألماني، وهو أحد أبرز علماء (جماعة فيينا)، انتقل إلى أمريكا ليؤسس نظرة المنطق الوضعي، تأثر بأفكار فريجة وراسل، اهتم بالحقل الفلسفي، والبناء المعرفي لفلسفة العلم، من أبرز مؤلفاته: (البناء المنطقي للعلم)، و(البناء = المنطقي للغة)، (والمعنى والحاجة)، (ومدخل إلى الدلالة)، نادى بضرورة التحلي عن القضايا الفلسفية التقليدية، وبالأخص ما يتعلق منها بالجانب الفيزيقي، وعدّها أشباه قضايا، وحاول وصف القضية الفلسفية من خلال معيار الصدق والكذب، الذي جعله الأساس في الحكم على القضية من حيث دلالتها، ويعدّ من مؤسسي التيار التداولي في اللسانيات الحديثة. يُنظر: جابري، محمد عبد الرحمن، نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب نموذجاً، دراسة تحليلية: ص ٣٠-٣١، وبوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب: ص ١٦٧.
- (٥) يُنظر: مغنية، محمد جواد، مذاهب ومصطلحات فلسفية: ص ١٩٥.
- (٦) يُنظر: لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق: ص ١١٦.

أمثال كارناب إلى بناء لغة اصطناعية يمكن بواسطتها اجتناب عيوب اللغة العادية، يحذوهم أمل مفاده أن اللغة المثالية، سوف تفعل للفلسفة ما فعلته اللغة الرمزية في الرياضيات والمنطق بالنسبة إليهم^(١).

٢. الاتجاه الظاهراتي اللغوي: ومن ألمع فلاسفة هذا الاتجاه: (هوسرل *Husserl*)^(٢)، الذي أسس تصوّراً عاماً لكيفية حدوث التواصل بين المتكلم والمخاطب، وقوام ذلك أن التعبيرات توضع في الأصل لأداء وظيفة الاتصال، فتكون الكلمات التي يوظفها ويهبها المعنى في أفعال عقلية معينة تحمل مقاصده، ويرغب المتكلم في أن يشرك المستمع في هذا المعنى بوصفه متلقياً لهذا القصد^(٣).

٣. فلسفة اللغة العادية: ورائد هذا الاتجاه (لودفيغ فتغنشتاين *L. Wittgenstein*)^(٤)، ومن هذا الاتجاه انبثقت التداولية وفي ظلّها

(١) يُنظر: إسماعيل، صلاح، فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة كوين: ص ٧٣، ويُنظر: جادة، ليلى، المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية: ص ٢٤.

(٢) هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨): فيلسوف ألماني درس الرياضيات في فيينا، أسس فلسفة جديدة عرفت بـ(الفلسفة الظاهراتية)، التي يهدف عن طريقها توخي الدقة في وصف الظواهر الإنسانية، خلّف هوسرل مؤلفات أولها (فلسفة علم الحساب)، و(بحوث منطقية)، و(تأملات ديكارت) من أهم ما ألمح إليه في طروحاته الفلسفية شرح المعاني الإنسانية بالاعتماد على مبدأ القصديّة. يُنظر: جابري، محمد عبد الرحمن، نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب نموذجاً، دراسة تحليلية: ص ١١٩-١٢٠.

(٣) يُنظر: جادة، ليلى، المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية: ص ٢٨.

(٤) فتغنشتاين (١٨٨٩-١٩٥١): فيلسوف ومنطقي نمساوي، من عائلة ثرية من أصل يهودي، درس هندسة الطيران وفلسفة الرياضيات، ثم انشغل بقضايا المنطق متأثراً براسل، اشتهر في بريطانيا، كان تلميذاً لراسل، وصار فيما بعد زميلاً له، كان كتابه (رسالة منطقية فلسفية) الذي نشره بالألمانية وبالإنجليزية عملاً أصيلاً دفع به إلى واجهة الحدث الفلسفي في بدايات القرن العشرين، يرى فتغنشتاين أن اللغة هي الأداة الأساسية لحل القضايا الفلسفية العالقة، وركّز على

تشكّلت مفاهيمها واتجاهاتها، وشاع اتجاه فلسفة اللغة العادية على يده في كامبردج، إذ يرى في اللغة بلسماً لمشاكل الفلسفة، فعمّق بحوثه حول طبيعة اللغة ووظائفها، من اعتبار اللغة لعبة أحياناً، وأداة أحياناً أخرى، منطلقاً من تصوّره للغة بوصفها جزءاً من الفاعلية الاجتماعية، وطريقة للسلوك والحياة في المجتمع، خالصاً إلى نتيجة مفادها أنّ معنى الكلمة هو استعمالها في ألعاب اللغة المتنوّعة^(١)، فعوضاً عن أن تبقى اللغة العادية موضوعاً لنقد (الفلسفة التحليلية) في ثوبها الجديد، أصبح الاهتمام مركزاً على الكيفيات التي تستعمل فيها اللغة، ولهذا تحوّل التركيز على أهم ما يميّز اللغات الطبيعية عن اللغات المنطقية، وهو البعد التداولي لتلك اللغات^(٢).

وقد تأثر بنمط فتغنشتاين هذا، فلاسفة أكسفورد، فتمخّض عن جون أوستين *j.Austin*^(٣) انبثاق أول النظريات التداولية من رحم تيار فلسفة اللغة العادية،

دراسة اللغات الطبيعية في الاستعمال، ومن مؤلفاته أيضاً: (مباحث فلسفية) و(الكتاب الأزرق) و(الكتاب البني)، يُنظر: فيري، جان مارك، فلسفة التواصل: ص ٢٧، هامش المؤلف، وجون إي، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين: ج ٢، ص ١٢١، وبوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في تحليل الخطاب: ص ١٧٠.

(١) يُنظر: إسماعيل، صلاح، فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة كوين: ص ٢٢٦.

(٢) يُنظر: مجموعة باحثين، اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: ص ١٨٤-١٨٥.

(٣) أوستين (١٩١١-١٩٦٠): فيلسوف جامعة أكسفورد، وأحد النقاد الأكثر نفوذاً في السنوات الماضية، تأثر بمن سبقه من رواد الفلسفة التحليلية، نظر إلى اللغة على أنّها شكل من أشكال النشاط الإنساني القادر على إحداث تأثير في العالم الخارجي، من أبرز ما ألفه: (رسالة فلسفية)، و(المعنى والإدراك)، و(كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟). يُنظر: جون إي، أعلام الفكر اللغوي: ج ٢، ص ١٤٩.

وهي (نظرية الأفعال الكلامية) في محاضرات ويليام جيمس عام ١٩٥٥م في جامعة هارفارد، وفق معتقد يرى «أنّ الوحدة الصغرى للاتصال الإنساني ليست الجمل ولا أية عبارة أخرى، بل هي إنجاز بعض أنماط من الأفعال»^(١)، وهكذا فإنّ الذي يؤول إليه تصوّر فلاسفة اللغة العادية هو أنّ التعابير اللغوية لا معنى لها إلّا في سياق محدّد، أي: أنّ اللفظ يأخذ معناه من المناسبة التي استعمل فيها^(٢)، وبه ارتبط التاريخ الحقيقي للتداولية؛ لأنّها لم تتبلور وتشكّل منهجاً قارّاً في سلسلة المعارف الإنشائية إلّا على يده (أوستين)، الذي صار بعد الحرب العالمية الثانية كبير أساتذة الفلسفة الأخلاقية في جامعة أكسفورد^(٣). وسار جون سيرل J.searl^(٤)، على هدي أساتذه أوستين، في تفحص نظرية (الأفعال الكلامية) منمّقاً إيّاها بشيء من النضوج المنهجي، محاولاً رسم شخصيته الفلسفية في إطار المنهج التداولي برؤية خاصّة، فشكّك في كينونة الفعل التأثيري لجميع الأفعال الإنجازية^(٥)، لذلك لم يجعله الهدف الأساس في تحليله، فهو يقول: «إنّ تمييزنا الأوّل هو بين الفعل التمريري (الإنجازي) الذي هو الهدف الحقيقي من تحليلنا، والفعل التأثيري الذي له علاقة

(١) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٠٤-١٠٨.

(٢) يُنظر: مجموعة باحثين، اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: ص ١٨٥، الحباشة، صابر، في المعنى مباحث دلالية معرفية: ص ١٤٥.

(٣) يُنظر: موشلار، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية: ص ٤٦، جون إي، أعلام الفكر اللغوي: ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) سيرل (١٩٣٢-١٩٩٦): فيلسوف أمريكي معاصر، تخصّص بفلسفة اللغة، وهو أحد أهمّ الفلاسفة الذين ينتمون إلى تيار الفلسفة التحليلية التي طوّرها أوستين، درس في جامعة كاليفورنيا، من أشهر أعماله: (أفعال الكلام)، و(التعبير والمعنى)، و(القصدية)، و(بناء الواقع الاجتماعي)، و(العقول والأدمغة والعلم). يُنظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: ص ٥.

(٥) يُنظر: ريبول، آن، وشلاير، جاك، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل: ص ٣٣.

بالتائج الأخرى أو الآثار المترتبة على أفعالنا»^(١)، وأعاد صياغة الأسئلة التي تحاول الفلسفة التحليلية الإجابة عنها، وركز أيضا على الأعمال المتضمنة في القول^(٢). وفي العام ١٩٥٧م نشر بول غرايس *P. Grice* مقالا في الدلالة كانت له أهمية تاريخية في تطور البحث التداولي، وفق رؤية مغايرة لرؤية سابقه، وحتى معاصريه، فضمن بحثه الفلسفي «طريقة جديدة في فهم التداولية ومسألة التواصل، وتمثل الإسهام الرئيسي لـ (غرايس) على المستوى النظري في أنه أدخل مفهوم الاستلزام الحواري الذي مكن من فهم اختلاف المؤلف بين دلالة الجملة والمعنى الذي يبلغه القول، وعلى مستوى التواصل اقترح مبدأ التعاون، الذي يلزم افتراضاً أن السامع قد احترامه حتى يتمكن من تأويل ما يريد المتكلم قوله»^(٣)، فكونت هذه المحاضرات، المنهج التداولي، الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية، والمتعلقة بالسياق والمقام، والمتكلمين، ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال^(٤).

ج - المفهوم:

بعد هذا العرض آن للدراسة أن تلج في خضم التعريفات التي وصفت التداولية، ولا غرابة في تعددها وتنوعها؛ ولعل ذلك التنوع مصدره أمران: طبيعة التداولية بوصفها تمتح من عدة مشارب فلسفية وسيمائية، ومرجعيات دارسيها التي تشكل خلفياتهم الثقافية، فحدها الفيلسوف، وعالم النفس، والاجتماع، وغيرهم مما جعل مفهوم التداولية يشيء بانتائه إلى تخصصات وعلوم معرفية

(١) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع: ص ٢٠٢.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) موشلار، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية: ص ٢١٢.

(٤) يُنظر: مقبول، إدريس، البعد التداولي عند سيبويه: ص ٢٤٥-٢٤٦.

أخرى، فالتداولية تشغل اهتمام اللسانيين، والبلاغيين، وعلماء التواصل، وعلماء الاجتماع على حدٍّ سواء^(١)، وإن كان ذلك فلا بدّ لنا من قراءة بعض ما قيل في تعريفها، ونعرّج من منطلقها اللغوي:

١ - تعريفها في اللغة:

ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري: «دَوَّل: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوّهم، جعل الكثرة لهم عليه...، وأُدِيل المؤمنون على المشركين يوم بدر...، والله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم...، وتداولوا الشيء بينهم»^(٢)، وقيل: «تداولنا الأمر، أخذناه بالدُّول، وقالوا: دوايك، أي: مداولة على الأمر...، ودالت الأيام أي: دارت...، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة...، ويُقال: تداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه، فعمل هذا مرّة وهذا مرّة»^(٣)، فهي تدور بين التحوّل والانتقال، وتلك حال اللغة من منظورها التداولي، متحوّلة ومتبادلة ومتنقّلة أثناء التواصل لتأدية وظائفها التفاعلية والتفاعلية بين أطراف العملية التحوّلية^(٤).

٢ - في الاصطلاح:

أمّا في الاصطلاح، فيطالعنا الفيلسوف والسيميائي تشارلز موريس *charles*

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠-١١، صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ١٦.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة: ج ١، ص ٣٠٣.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ١٤٥٦، مادة (دول).

(٤) يُنظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ص ١٤٨.

mouris سنة ١٩٣٨ م، بتعريف لها، وذلك في مقال له كتبه في موسوعة علمية، ركّز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة، وهي: التركيب: الذي يهتم بدراسة العلاقات بين العلامات التي تكوّن الجمل، وعلم الدلالة الذي يدرس العلاقة بين العلامات والأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات، والتداولية التي تعالج العلاقة بين العلامة ومفسّريها^(١)، ولا يخفى ما يكتنف هذا التعريف من عمومية؛ وذلك لاشتماله على الأنساق اللسانية وغير اللسانية^(٢).

أمّا فرانسواز أرمينكو *Francoise Armingaud* فتنيط بالتداولية كل ما يتعلق بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عمومية عند المخاطب، وهي بذلك تدخل طبيعة ثقافة المتلقي العامة ليفقه الملفوظ، فهي: «دراسة الشروط القبلية للتواصلية كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط تواصلية عامة، وهي ترتبط بكلّيات الاستعمال التواصلية عامة»^(٣)، ولعلّ هذا التعريف أقرب لبيان متضمّنات القول، بوصفها تقوم على معلومات مسبقة.

وعرّفها الدكتور محمود أحمد نحلة، إذ قال: «أوجز تعريف للتداولية وأقره إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال *in use* أو في التواصل *in interaction* لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول *negotiation* اللغة بين المتكلّم والسامع

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٩، ريبول، آن، وشلاير، جاك، التداولية اليوم: ص ٢٩، مقبول، إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سيويه: ص ٢٦٢، هامش: ١، الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في «شروح التلخيص» للخطيب القزويني: ص ٣٢.

(٢) يُنظر: مقبول، إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية: ص ٢٦٢، هامش: ١.

(٣) أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية: ص ٨٤.

في سياق محدّد (مادّي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»^(١) وينقل الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري ما اتصفت به من تعريفات تمت قراءتها من زاوية المعنى، أو من زاوية المرسل إليه، أو المرسل، بقوله: هي دراسة المعنى التواصلية، أو معنى المرسل في كَيْفِيَّة قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله. وقد تعرف انطلاقاً من تحديدها مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، ومنها الإشاريّات، بما في ذلك طرفا الخطاب، وبيان أثرهما في تكوين الخطاب، ومعناه، وقوّته الإنجازيّة. وتعرّف التداوليّة أيضاً بلحاظ المرسل بأنّها: كَيْفِيَّة إدراك المعايير والمبادئ التي توجّهه عند انتاج الخطاب بما في ذلك مختلف الجوانب اللغويّة، في ضوء عناصر السياق؛ بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه^(٢).

ويختار الدكتور محمد محمد يونس تعريفاً لها يميّزها عن علم الدلالة الذي يقتصر على دراسة المعنى وفقاً للوضع فقط، بمعزل عن السياق والمقامات التخاطبيّة، فهي: «دراسة كيف يكون للقولات معانٍ في المقامات التخاطبيّة»^(٣). وعرفها الدكتور مسعود صحراوي، بقوله: «هي إيجاد القوانين الكلّية للاستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانيّة للتواصل اللغوي، وتصير (التداوليّة) من ثمّ، جديرة بأن تُسمّى: علم الاستعمال اللغوي»^(٤).

من هذه التعريفات يتبيّن أنّ التداوليّة حقل رحب يستوعب اللغة وسياق استعمالها، مهتماً بمن يتكلّم وماذا يقول، وبمن يتلقّى وماذا يفهم، لذلك انطلقت

(١) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٤.

(٢) يُنظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة: ص ٢٢.

(٣) علي، محمد محمد، مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب: ص ١٣.

(٤) صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ١٦-١٧.

بعض التعريفات من التركيز على المعارف المسبقة، وبعضها على سياق التواصل والمتكلمين، أمّا السمة التي نلمسها من هذه التعريفات فهي تركيزها على استعمال اللغة والتواصل، لذا يتفق البحث مع الإيجاز الذي قدّمه الدكتور محمود أحمد نحله وهو: دراسة اللغة في الاستعمال ورصد طاقاتها التعبيرية في حيّز التواصل.

والتداولية «ليست بنظرية خاصّة بقدر ما هي تشابك للعديد من التيارات التي تشترك في عدد من أمّهات الأفكار»^(١)، لذا فليس للدرس التداولي مصدر واحد انبثق منه، بل تنوّعت مصادر استمداده، ف (نظرية الأفعال الكلامية) - مثلاً - مفهوم تداوليّ منبثق من مناخ فلسفي عام، هو تيار (الفلسفة التحليلية)، وكذلك (نظرية المحادثة، أي: الاستلزام الحوارية) الذي انبثق من فلسفة بول غرايس، و(نظرية الملاءمة) التي انبثقت من علم النفس المعرفي^(٢). أمّا (الإشاريات) فقد نشأت من الأبحاث السيميائية لبيرس *ch. s. pearce*، وموريس.

ويمكن تلخيص مهام التداولية بالآتي^(٣):

- تدرس التداولية اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، وعدم الاكتفاء بدراسة البنية اللغوية نفسها.

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي، على التواصل الحرفي والمباشر.

- بيان أسباب فشل المعالجات اللسانية البنيوية في معالجة الملفوظات.

- توطيد العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة، والتواصل، والإدراك،

(١) مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ص ١٠١-١٠٢.

(٢) يُنظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ١٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٦-٢٧.

وبيان العلاقة المشتركة بين الفروع المشتغلة بهذه الأنشطة، أي: علم اللغة، وعلم التواصل، وعلم الاجتماع، وعلم النفس المعرفي، ودراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي.

- دراسة مكونات التخاطب: المتكلم، المخاطب، الخطاب، السياق، وتأثيرها في المقولات اللغوية من ناحية التفسير والتأويل.

ثالثاً: التداولية والمتن التراثي، الملفوظ والمكتوب

في ختام هذا العرض (*)، يتساءل البحث عن إمكانية تطبيق المنهج التداولي على كلام الإمام عليه السلام، ولا سيما أن التداولية تدرس اللغة في الاستعمال، وليبان ذلك نرى أن التعويل على مكونات المقام التخاطبي المرتبطة بعملية الإنتاج والتلقي، واستحضار المواقف الحافّة بإنتاج الخطاب، كفيلٌ باستلهاهم تلك اللغة المستعملة وإعادة إنتاجها عبر ظروف التلقي المختلفة زمانياً، فإذا كان هناك ثمة موقف استدعى إنتاج الخطاب الحسيني في تلك المدة، فإن الإحاطة بكيفيات ذلك الموقف كفيلٌ بحركية التلقي الدائم واستلهاهم عبر الأجيال لا سيما ما إنهاز به من صفة خطائية مكتنزة الأبعاد، تستهدف بناء المجتمع والسمو به، فهو نتاج القرآن الناطق ومصادقه الخالد.

ومن هنا يمكن القول: إن دراسة اللغة حال استعمالها لا يعني بحال من الأحوال قصر الاستعمال على الموقف الخطابي الأول المرتبط مباشرة بالمتلقي الأول، بل إن الاستعمال يعني: مراحل استعمالية عدة عبر الزمن، فكل قراءة في مرحلة زمنية معينة هي - بشكل ما - مرحلة استعمالية جديدة^(١).

(*) لم تذكر الدراسة في هذا العرض محاور التداولية؛ لأنها سترد مفصلة في فصول الدراسة.

(١) يُنظر: بلع، عيد، في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريف: ص ٢٦-٢٧.

مقام التخاطب وأهميته:

هناك بعض المفاهيم التي ترتبط بالمنهج التداولي، وينبغي على دارس التداولية أن يعي الفروق الدقيقة بين تلك المفاهيم، ويقف على حدودها من المنهج، ومن تلك المفاهيم مقام الخطاب؛ إذ قسّم أولمان السياق إلى نوعين بارزين: سياق لغوي و سياق غير لغوي، والسياق الذي نقصده هو السياق غير اللغوي وهو المقام في علم العربية، الذي يندرج تحته: السياق الثقافي، والسياق العاطفي، والسياق الاجتماعي... (١)، وهو مصطلح له تاريخه في ثقافتنا العربية، بل إنّ هناك من يرى أنّ البلاغة العربية هي التداولية، وأنّ السياق هو المقام، إذ تلتقي رؤاهم في أنّ البلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، إذ أدرك بلغاء العربية القدامى ظاهرة السياق عن طريق عبارتهم (مقتضى الحال) التي أنتجت مقولاتهم (لكلّ مقام مقال) (٢).

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام، وتطلّبِه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة: (لكلّ مقام مقال) فالسياق متضمّن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما (٣)، ولذلك ركّز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرّضوا للعلاقة بين المتكلّم وما أراحه من معنى، والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

كما أنّ الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، وربّما اتحد المدلول

(١) يُنظر: ستيفن، أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص ٦٦-٦٧.

(٢) يُنظر: مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٧٤.

(٣) عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة: ص ٣٣.

واختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة، أو طبقاً لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه^(١).

ويتكوّن مقام التخاطب من عناصر عدّة:

أولها: المتكلم نفسه، هل هو ذكر أم أنثى، واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور، وما هو جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانه الاجتماعي، إلى آخر هذه الصفات التي تميّزه عن غيره.

ومنها: المستمع، الذي ينطبق عليه كلّ ما سبق، ويشمل إضافة إلى ذلك علاقته بالمتكلم من حيث القرابة، أو الصداقة، أو المعرفة السطحيّة، أو عدم المعرفة، أو اللامبالاة، أو العداوة، أو المركز الاجتماعي أو المالي أو السياسي ... إلخ.

ومنها: موضوع الكلام، وفي أيّ جوّ يقال، وفي أيّ مكان، وفي أيّ زمان، وكيف يقال، وما الداعي لقوله، وغير ذلك من العناصر الكثيرة جداً التي يؤثر كلّ منها تأثيراً مباشراً على كميّة قول الكلام، وعلى تركيبه، وعلى معانيه، وعلى الغرض من قوله.

ومنها: أثر النصّ الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك ... إلخ. وهذه العناصر تشكّل مرتكزات المنهج التداولي من حيث تقصّي الخطاب وفهم معناه^(٢).

(١) يُنظر: عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة: ص ٣٣-٣٦.

(٢) انظر: مجموعة باحثين، التداوليّات علم استعمال اللغة: ص ٧٤، عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة: ص ٣٣-٣٦.

الفصل الأول

الاستلزام الحوارى

Conversational Implicature

المبحث الأول : الاستلزام العام

المبحث الثانى : الاستلزام الخاص

توطئة

يمثّل الكلام محور التّخاطب، الذي يتمثّل هو الآخر بالقاء جانبيين لأقوالٍ، بغرض إفهام كلّ منهما الآخر مقصوداً معيّناً، فينبغي بحسب هذا، أن تُضبط هذه الأقوال بقواعد تحدّد وجوه فائدتها الإخبارية، أو لنقل: فائدتها التواصلية، وتسمّى بقواعد التبليغ^(١)، إذ همّ طائفة من فلاسفة اللغة واللسانيين التداوليين، لا سيّما الفيلسوف غرايس بوضع ضابطة معينة، يمكن بواسطتها التنبؤ بما تضمّره إمكانية الحوار العادي من مقاصد تخاطبية^(٢)، فتبلور عنده ما يسمّى بـ(الاستلزام الحواري) الذي يُعدّ واحداً من أهمّ المفاهيم التي يقوم عليها التحليل التداولي، فهو ألصقها بطبيعة البحث، وأبعدها التباساً عن مجال التحليل الدلالي، ويرجع هذا المفهوم إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس في جامعة هارفارد عام ١٩٦٧م، بين فيها التصورات الكاملة التي يقوم عليها هذا المفهوم^(٣).

فأحدث غرايس تقدّماً واضحاً في الدراسات التقليدية لفلسفة اللغة، عندما ربط مدلول الخطاب بالقصد المحدّد الذي يعطيه المتحاورون لهذا المدلول في محادثاتهم^(٤)؛ عند ما لاحظ أن جملة اللغات الطبيعية، يمكن أن تدلّ في بعض المقامات على معنى غير المعنى الذي يوحي به معناها الحرفي، فحاول «أن يضع نحواً قائماً على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية

(١) يُنظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٣٩.

(٢) يُنظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٣.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٣٢.

(٤) يُنظر: فرانيسكو يوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملازمة والتاويل: ص ٦٧-٦٨.

التخاطب، فهو يؤكد على أنّ التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات»^(١)، فلا يخفى أن يكون للجملة في استعمال معيّن وظيفتان دلّيتان اثنتان: «وظيفة أصلية قارة في القواعد المضبوطة، ووظيفة متغيرة تبعاً لتغيّر ظروف الاستعمال، وهي وظيفة لا يمكن أن تقتن إلا حسب الظرف الاستعمالي للمتكلّم والمستمع والمقام»^(٢).

فكانت نقطة البدء عند غرايس هي أنّ الناس في حواراتهم بحالات ثلاثة:

- قد يقولون ما يقصدون، فتكون دلالة لغوية مباشرة (فعل لغوي مباشر).
- قد يقصدون أكثر ممّا يقولون.
- قد يقصدون عكس ما يقولون^(٣).

وكرّس جهده لإيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على قدرة السامع في الوصول إلى قصد المتكلّم، بما يتاح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال. فأراد غرايس أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمّن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام^(٤)، فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام الحواري هو ما تمّ تبليغه، ويختلف ما تمّ تبليغه عمّا قيل^(٥).

(١) إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها: ص ١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨، هامش: ٣.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٣٣.

(٤) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٣٣. المتوكّل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ص ٢٦.

(٥) يُنظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم: ص ٥٦.

وعُرِّفَ الاستلزام الحوارى بتعريفات لا تخرج عن دائرة معنى العبارة السطحي، وما تتضمنه من قوّة إنجازيّة ملازمة، أهمّها هو: عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل: إنّه شيء يعنيه المتكلّم ويوحى به في الملفوظات، ولا يكون جزءاً ممّا تعنيه الجملة بطبيعتها الحرفيّة^(١).

وعُرِّفَ كذلك بأنّه: «المعنى التابع للدلالة الأصليّة للعبارة، أو ما يرمى إليه المتكلّم بشكل غير مباشر، جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر لكلامه إلى معنى آخر»^(٢)، أو هو: «عملية قد تطلق على كلّ قضية مضمرة، نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها من محتواها الحرفي، ونحن ننسق معلومات الوضع المتغيّر»^(٣)، وأراني مع التعريف الأخير رغم ما يكتنفه من غموض، هذا إذا قصد (بالوضع المتغيّر) ذلك التصادم الحوارى بين المعنى الضمني، وطبيعة مقام المحادثة، أي: بين النمط والورود، فيستعين متلقّي الخطاب وفق المركز الثقافى لديه على المسك بهذا المعنى المستلزم، محاولاً إيجاد معادل موضوعي لقصد المتكلّم، يتماشى ومعطيات السياق، مع احترام قوانين المحادثة، أو لنقل: مبدأ التعاون.

وإن جاز للبحث أن يقترح تعريفاً يتوسّم فيه الشروط العلميّة والبساطة، فلا بدّ من الوقوف على جملة ثنائيات، يشكّل الاستلزام الحوارى السلك الجامع وحلقة الوصل بينها، عند الانتقال من المعنى الوضعى إلى القصد المستلزم، وهذه الثنائيات هي:

١. الجملة = القول.

٢. المعنى الظاهر السطحي = القصد العميق المتضمّن.

(١) يُنظر: إسماعيل، صلاح، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ص ٧٨.

(٢) إدواري، العياشي، الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى: ص ١٨، هامش: ٢.

(٣) بدوح، حسن، المحاورّة مقارنة تداوليّة: ص ١٥١.

٣. السياق اللغوي = العوامل الخارجية ومنطق المحادثة.

٤. قواعد المحادثة = خرق قواعد المحادثة.

فيمكن القول: إنَّ الاستلزام الحواري هو: القدرة الإنجازية التي يودعها منتج الخطاب في الكلام، ويستدل عليها المتلقي بمعية عوامل خارجية، أو حوارية، أو كليهما معاً، مع توفّر قصد الإخلاص في التواصل.

وقدّم غرايس نظريته التواصلية التي تنصّ على أنَّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون، ومؤداه: «ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه»^(١). وبالنسبة إلى غرايس أن نتعاون يعني تلبية المتكلم المساهم في محادثة ما هو مطلوب منه، بحسب الكيفية التي جرت بها المحادثة والوجهة التي اتخذتها^(٢).

يوجب هذا المبدأ تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه^(٣)، فشكّل عاملاً ثالثاً في تأويل الملفوظات، بعد عاملي: معنى الملفوظ، والسياق المقامي لإنتاجه، وتتجلى أهمية مبدأ التعاون في ضرورة إدراج السياق غير اللساني في فهم الأقوال وتحليلها^(٤).

(١) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ٢٣٨. وعند فرانسواز بد(قم بمساهمتك في التواصل بالطريقة التي يتخذها الهدف التواصلية المخوض في الفترة اللازمة)، يُنظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية: ص ٥٣، وترجمه عادل فاخوري بد(أجعل مشاركتك على النحو الذي يتطلبه في مرحلة حصولها، الغرض أو المال المسلم به من التخاطب المعقود) يُنظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، مج ٢٠: ٣١٩٨٩م: ١٤٦.

(٢) يُنظر: موشلار، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية: ص ٢١٤.

(٣) يُنظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ٢٤٣-٢٤٦.

(٤) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٨.

وفرّع غرايس على مبدئه فى التعاون قواعد تخاطبىة مختلفة، قسّمها على أربعة أقسام، يندرج كلّ قسم منها تحت مقولة مخصوصة، تهدف عند مراعاتها إلى رصد المقاصد الضمنية التي يشتملها الخطاب، وهذه القواعد هي^(١):

١ - قاعدة الكم (كم الخبر): وتخصّ كمية الأخبار التي يجب أن تلتزم بها المبادرة الكلامية، وتتفرّع إلى مقولتين:

أ- اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الأخبار.

ب- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب.

٢ - قاعدة الكيف (كيف الخبر) ونصّها: لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

٣ - قاعدة الملاءمة (ملاءمة الخبر لمقتضى الحال) وهي عبارة عن قاعدة واحدة: ليناسب مقالك مقامك.

٤ - قاعدة الطريقة (جهة الخبر) وتنصّ على الوضوح فى الكلام، وتتفرّع على أربع مقولات:

أ- لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الغموض.

ج- لتتكلم بإيجاز.

د- لترتب كلامك.

وبذلك وضع غرايس أصول الطريقة الاستنتاجية، التي يتّبعها المستمع فى

(١) يُنظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ٢٣٨ - ٢٣٩، نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر: ص ٣٣، صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٣ - ٣٤، فاخوري، عادل، محاضرات فى فلسفة اللغة: ص ١٦-١٧.

الوصول إلى المعنى المقصود، انطلاقاً من البنية الشكلية، فنكون - بحسب نظرية غرايس - أمام أمرين اثنين: إمّا أن نتبع القواعد المتفرّعة على مبدأ التعاون، وبذلك نحصل على فائدة قريبة (معنى سطحي)، أو نخرج عن القواعد الغرايسية - بخرقها خطائياً - فنحصل على فائدة بعيدة (معنى عميق)، أو مضمّر أو مسكوت عنه^(١).

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تمّ خرق إحدى هذه القواعد، من قبل المتكلّم، وهذا ما يميّزه عن الاستلزام المنطقي الذي ينحصر بالاستدلالات المبنية على المضمون الدلالي فقط^(٢)، الأمر الذي حدا بغرايس أن يقترح تنميّطاً للعبارات اللغوية، يقوم على المقابلات الآتية^(٣):

١ - المعاني الصريحة: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها - أي: قائمة على احترام القواعد - وتشمل ما يلي:

أ - المحتوى القضوي: وهو مجموعة معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب - القوّة الإنجازيّة الحرفيّة: وهي القوّة الدلاليّة المؤشّر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما، مثل: الاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات، والنفي.

٢ - المعاني الضمنية: وهي المعاني التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلاً في التوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

(١) يُنظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ٢٣٩، إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٠٠.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٧.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٣٣، صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ٣٤-٣٥.

أ - معانى عرفية: وهى الدلالات التى ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة فى مقام معيّن، مثل معنى الاقتضاء.

ب - معانى حوارية: وهى التى تتولّد طبقاً للمقامات التى تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.

ومعلوم أنّ المتكلّم لا يبنى كلامه فى عزلة تامّة عن المجتمع بصفة عامّة، والمخاطب بصفة خاصّة، بل على ضوء الفرضيات التى قد بناها مسبقاً عن شخصيّة المخاطب الاجتماعية، ولا يخفى ما للجانب المتعلّق بالقدرات الفكرية والاستدلالية من أهميّة فى عمليّة التواصل، فهو - المتكلّم - يتوسّم بمخاطبه امتلاكه لآليات منطقية طبيعية واستدلالية وقواعد تخاطبية ترشده إلى إدراك ما يتضمّنه الكلام من معان غير مباشرة^(١).

وقد قسّم غرايس الاستلزام الحوارى إلى قسمين:

الأوّل: الاستلزام العام، وهو الذى يحصل دون أن يوجد بالضرورة سياق حال معيّن، وبمعنى آخر: هو ذلك الاستلزام الذى يمكن إدراكه من الملفوظ مباشرة، بمعىة الشفرة اللغوية فى السلسلة الكلامية.

والآخر: الاستلزام الخاص الذى يتطلّب وجود هذا السياق، والقرائن الحوارية التى تحفّ بالملفوظ، أى: يرتبط بالاستعمال وسياقاته الخاصة اللغوية، والخارج لغوية التى لها أثر محورى فى تحديد المعنى^(٢).

وسيقارب البحث هذين النوعين، بما ورد فى كلام الإمام الحسين عليه السلام، وسيبيّن

(١) يُنظر: سرحان، إدريس، طرق التضمين الدلالي والتداولي فى اللغة العربية وآليات الاستدلال: ص ٩٨-٩٩.

(٢) يُنظر: علي، محمد محمد، مقدّمة فى علمي الدلالة والتخاطب: ص ٥١.

البحث الكيفية التي تجلّت فيها قواعد التخاطب، وما انماز به من دقة توظيف، وحسن صياغة لمفردات اللغة، في تراكيب فاعلة، تحمل في طياتها مقاصد مضمرة، جاءت استجابة لرغبة المرسل المبنية على حيثيات المواقف الخطابية.

ومن الجدير بالذكر أنّ الاستلزام الخاص هو موضع اهتمام التداوليين، لذا سيقف عنده البحث بشيء من التفصيل، أمّا الاستلزام العام، الذي يبيّن التركيز المعنوي العرفي، لمفردات اللغة، فإنّ الدراسة ستقاربه بأمثلة تراعي فيها الاختصار، وتجنّب الإطالة، وبه تكون - الدراسة - قد استوفت نوعي الاستلزام، مع مراعاة أهمّيتهما في العرض.

المبحث الأول

الاستلزام العام

يُعرّف الاستلزام العام بأنّه: «ما يحصل دون أن يوجد سياق حالي معيّن»^(١)، وعن طريقه « يتم إيصال بعض المعلومات باختيار كلمة تعبر عن قيمة واحدة من بين تدرج للقيم، ويتضح هذا الأمر جلياً في مصطلحات تستعمل للتعبير عن الكم (ألفاظ التسوير): كل، بعض، كثير، قليل، معظم، غالباً، دائماً، أحياناً»^(٢).

وأساس هذا الاستلزام أنّه عند ثبوت أيّ صيغة في التدرّج السلمي، فإنّه يتم نفي كل الصيغ الأعلى في التدرّج، فيقتضي الأقل سلب الأكثر، كما في (كل، بعض) وإثبات الـ (بعض) سلب الـ (كل)، ولهذا الاستلزام أهميّة؛ بوصفه يميّز هذه الاستلزمات عن المحتوى الدلالي للألفاظ، واقترانها بالألفاظ الملائمة هو أمر مألوف في كلّ السياقات^(٣)، وطاقاتها التعبيريّة نابعة من درجة استعمال المفردة العرفي، ويمكن مقارنة ما ورد منها في كلام الإمام الحسين عليه السلام، بحسب الآتي:

(١) فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني: ص ١٦٢. ويُنظر: الخليفة، هشام عبد الله، نظريّة التلويح الحوارية: ص ٣٤.

(٢) يول، جورج، التداوليّة: ص ٧٣.

(٣) يُنظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني: ص ١٦٤.

١. كل:

عُرِّفَتْ (كُلٌّ) عند اللغويين بأنها اسم موضوع للإحاطة والشمول، قال سيبويه: «كُلٌّ عَمٌّ وبعض اختصاص»^(١)، وهي تفيد استغراق أفراد المنكر^(٢)، ومعنى (كُلٌّ) يتّضح بما تضاف إليه^(٣)، فإذا أضيفت إلى نكرة أفادت استغراق كل فرد من أفراد الجنس، وإذا أضيفت إلى معرفة، فإن كانت المعرفة عامّة استغرقت كل الأفراد، نحو: (كُلٌّ البشر محاسب)، وإذا كانت معهودة استغرقت كل الأفراد المعهودين^(٤). وعند الاستعمال تفرز دلالات نابعة من طاقاتها العرفيّة هذه، ومما يقارب ذلك في قول الإمام عليه السلام دعاؤه عندما أصبحت خيل جند يزيد تقبل عليه، بعد مقتل أصحابه، إذ رفع يديه قائلاً:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلٌ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضَعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ وَيَسْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكْوَتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَجْتُهُ عَنِّي وَكَشَفْتُهُ، فَأَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ»^(٥)

لفظة (كُلٌّ) استلزمت (بعض)، وتقضي بحسب معناها العرفي: الوثوق والتأكد من صحّة العبارة التي ترد فيها؛ لأنّ استعمالها يحتاج إلى الاطلاع والإحاطة

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٤، ص ٢٣١.

(٢) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٤، ص ١١٨.

(٣) يُنظر: ابن هشام، عبد الله بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ج ١، ص ٣٨٣-٣٨٨.

(٤) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٤، ص ١١٨.

(٥) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٧، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن

أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٩، ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية:

ج ١١، ص ٥١٦، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٥٠١.

والشمول بالشيء^(١).

و(كلّ) الواردة في النصّ استغرقت جنس المضاف إليه النكرة، و«الكربّ» هو الغم الذي يأخذ بالنفس. يقال: كربّه أمر، وإنّه لمكروب النفس^(٢)، فاستلزمت الإمام المطلق لله العزيز الحكيم في الكرب والشدة بصورة مطلقة، ويندرج تحت هذا العموم تسليمه ﷺ لله سبحانه عند نزول (بعض) الشدائد والكرب أيضاً، ويثبت شكر المتكلم لله سبحانه؛ لأنّه مصدر كل نعمة، وهذا يستلزم كونه مصدر (بعض) النعم كذلك، ثمّ بين النتيجة النهائية التي تمثّل توجه المؤمن الذي لا تبعده الشدائد والمحن عن ربّه، فختتم دعاءه بالتسليم المطلق لله سبحانه، بقوله: (ومنتهى كلّ رغبة). فرسم لنا المتكلم من توظيفه لـ (كل) علاقة المؤمن بالله سبحانه التي تقوم على التوكّل عليه، والتسليم لقضائه، والإيمان المطلق به سبحانه، في الشدة والرخاء. ومّا يندرج تحت هذا السلم الدرجيّ، ما ورد في كتاب الإمام الحسين ﷺ إلى أهل الكوفة، جاء فيه:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَانِيَّ بْنَ هَانِيٍّ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدِمَا عَلَيَّ بِكِتَابِكُمْ فَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي قَصَصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ وَلَسْتُ أَقْصُرُ عَمَّا أَحْبَبْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَرَأْيِكُمْ وَرَأْيِ ذَوِي الْحِجَى وَالْفَضْلِ مِنْكُمْ^(٣).

فتضمّنت عبارة: (وقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكرتم)، فهم (بعض) ما

(١) يُنظر: الباري، محمد بن محمد، شرح التلخيص: ص ٢٤٨-٢٤٩، فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني: ص ١٦٤.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٥، ص ٣٦٠، مادّة (كرب).

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٥٣، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٣٤، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ﷺ: ج ٤٤، ص ٤٨٥.

ذكروا ضمناً، ولربما كانت إشارة من المتكلم إلى عدم ثباتهم على ما كتبوا له، إذ يتعلّق مفهوم السلم الكمّي بعلاقة المحمول الأقوى بالمحمول الأضعف، فإذا أخبر المتكلم بالمحمول الأقوى ضمّن محادثياً المحمول الأضعف^(١).

ولا تخفى سمة الشموليّة التي بنى المتكلم عليها خطابه؛ ليكون عامّاً شاملاً لكلّ القوم، عندما ضمّن كتابه ثنائيّة، يمكن أن تُدرج تحت الاستلزام الدرّجي، وهي (المؤمنين والمسلمين) فيستلزم لفظ (المؤمنين)، لفظ (المسلمين)، كما استلزم لفظ (كلّ) لفظ (بعض)، فبينهما علاقة عموم وخصوص، وربّما قصد الإمام عليه السلام من هذا الاستعمال: أن تكون دعوته شاملة، فليس كلّ المخاطبين مؤمنين، وفي ذلك تمام الحجّة عليهم.

٢. جميع:

تقتضي (جميع) الإحاطة والشمول مثل (كلّ) فهي تلتقي مع كلّ في بعض دلالاتها، وتغايرها من حيث الدلالة على الإحاطة؛ إذ تدلّ على عموم الأفراد على سبيل الاجتماع، وهو الذي يراد من قولهم: إنّ (جميع) للعموم الإحاطي، أمّا (كلّ) فتعمّ الأشياء على سبيل الانفراد، وهذا الحكم منوط بالسياق^(٢).

ومّا يقارب ذلك ما ورد في خطاب الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه في ليلة العاشر من شهر محرّم الحرام، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: «إني لا أحسب القوم إلّا مقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً، فأنتم في حلّ منّي، وهذا الليل قد غشاكم، فمن كانت له منكم قوّة فليضمّ رجلاً من أهل بيتي إليه وتفرّقوا في سوادكم، حتّى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، فيصبّحوا على ما أسروا في

(١) يُنظر: موشلار، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداوليّة: ص ٢٠٦.

(٢) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣.

أنفسهم نادمين، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، فإذا رأوني لهوا عن طلبكم»^(١).
فألفاظ التسوير (كلّ، جميع...) ينبغي أن تؤوّل بالنسبة للنطاق الذي يكون فيه القلب الخطابي قائماً - إلى حدّ ما - على العوالم الممكنة المتباينة^(٢)، وعبارات من نحو: (وقد أذنت لكم جميعاً)، و(تفرّقوا في سوادكم) يمكن أن تحيل أيضاً إلى نفر منهم، قد سبق ذكرهم ممّا يشملهم خطاب المتكلّم، فلفظ (جميعاً) يستلزم (بعض) ويمكن أن يستلزم (التفرّق)، فتشمل مأذونية الإمام عليه السلام لبعض أصحابه بالرحيل أيضاً. ويظهر من كلامه عليه السلام أنّه منحهم مطلق الحرّية، التي نلمسها في ثنائية: (الجميع والتفرّق) الواردة في النصّ^(*).

٣. أكثر:

يفترض بحسب الاستلزام الدرجي أو السلمي، أنّ لفظ (أكثر) يستلزم (الأقل)، فتكون مقاربتة في خطاب الإمام عليه السلام مع الحرّ عندما قال له: يا حسين، إنّني أذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلن^(٣)، فأجابه عليه السلام، قائلاً:
«ليس شأنني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العزّ وإحياء الحقّ،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤١٩، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٧٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٨٥.
(٢) يُنظر: دايك، فان، النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ص ١٤١.
(*) وما نحن بصدد بيانه (الاستلزام العرفي أو العام) لا يميز للبحث الخروج إلى المقام التخاطبي لبيان الدوافع الكامنة خلف هذا الخطاب، على أن سيأتي تفصيله في البحث الثاني من هذا الفصل، عند الحديث عن قاعدة الملاءمة، وتحديدًا عند خرق مقتضيات المقام التخاطبي.
(٣) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٠٤، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥٩، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٣٦.

ليس الموت في سبيل العزِّ إلّا حياةً خالدةً، وليست الحياة مع الذلِّ إلّا الموت الذي لا حياةً معه، أفيالموت تخوّفني، هيهات طاش سهمك، وخاب ظنّك، لست أخاف الموت، إنّ نفسي لأكبر من ذلك، وهمتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي؟ مرحباً بالقتل في سبيل الله، ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي، ومحو عزّي وشرفي، فإذا لا أبالي بالقتل»^(١).

فتضمّنت متتالية: (وهل تقدرون على أكثر من قتلي) استلزام (الأقل)، أي: يستلزم القتل وما دونه.

وعند التحقيق أكثر في السياق اللغوي ككل، تتضح مقارنة قصدية لعلّها تكون الأقرب إلى معنى المقصود من الخطاب، على وفقها نعيد قراءة: (وهل تقدرون على أكثر من قتلي) يقتضي لفظ (أكثر) سلب (الأكثر) في قوله هذا، لا (الأقل) وهذا أبلغ؛ إذ يستلزم عجزهم عن الوقوف أمام أهداف الثورة الحسينية المتمثلة بالإصلاح الشامل لدين جدّه ﷺ، وعجزهم عن هدم مجد الإمام الخالد، والعزّ الشامخ، والشرف الرفيع، وإن غيّبوا شخصه بالقتل، الذي هو أقصى ما يستطيعون.

وهذا النوع من الاستلزام ميّزه غرايس من جملة الاستلزمات الخطابية المحادثيّة، بوصفه مرتبطاً بالعبارة اللغوية، لا بالسياق المقامي، فما تمّ قراءته مستنتج من تتابع الملفوظات المتتالية، التي رشّحت أن يكون القصد ما ذكره البحث دون

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٠٤، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥٩، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٥١٥، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ٨١، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٣٦.

تدخل عوامل خارج لغويّة، ويطلق غرايس تسمية (الاستلزامات الخطابيّة المحادثيّة المعمّمة) على هذا النوع، الذي يولده الشكل اللغوي، والاختلاف الجوهرى القائم بين الاستلزامين مردّه إلى أنّ الاستلزام الوضعي (العرفي) تولّده كلمات أو عبارات لغويّة، بينما الاستلزام الحواري (المحادثيالاخص) يولّده إجراء يُعملُ مفهوميّ مبدأ التعاون، وحكمة المحادثة^(١).

٤- النكرة:

مما يندرج تحت الاستلزام العام: الاسم النكرة، الذي خصّه اللغويّون بأنّه ينافي الاختصاص الذي يفيد التعريف، فالنكرة «ما دلّت على شيء لا بعينه»^(٢)، إلّا أنّ النكرة أشدّ تمكّناً من المعرفة؛ لأنّ النكرة أوّل، ثمّ يدخل عليها ما تعرف به، ومن ثمّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة^(٣)، ولكن في استعمال النكرة المتداول يضمّر فيه طاقة كامنة، يتحكّم منتج الخطاب في توظيفها على وفق ما يقصده من أغراض، وما يلبسها - النكرة - من معان، ومن تجلّيات كوامن تعبيرها ما ورد في خطاب الإمام عليّ السابى مع الحرّ، وتحديدأ في قوله: (ليس الموت في سبيل العزّ إلّا حياةً خالدةً، وليست الحياة مع الذلّ إلّا الموت الذي لا حياة معه....، مرحباً بالقتل في سبيل الله).

إذ تشمل هذه المتتالية الخبريّة على فيض من المعاني، جسّدها الإمام عليّ عند مقابلته بين النكرة والمعرفة، ودقّة توظيفه لاستعمال النكرة، إذ نستشفّ من هذا

(١) يُنظر: موشلار، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداوليّة: ص ٢١٣، إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ٩٦-٩٧.

(٢) العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز: ص ٢٠٨.

(٣) يُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ٢٢.

الملفوظ قانون السعادة الذي يحيا به العبد المؤمن مع ربه، فجاء بلفظ (حياة) نكرة لتؤشّر عظمة هذه الحياة، وروعها الخالدة في رضوان الله سبحانه، وعليه استلزم لفظ النكرة ذلك التعظيم، وبها يفتح الأفق أمام المتلقي، ليتصور ما شاء خياله، سعادتها ونعيمها؛ لأنّ النكرة إذا كانت في حيز النفي أو شبهه كانت دلالتها على العموم أرجح^(١)، «وأصل الأسماء النكرة، وذلك لأنّ الاسم المنكر هو الواقع على كل شيء من أمته لا يخص واحد من الجنس دون سائره»^(٢)، وجاء في التصريح «أنّ النكرة في سياق النفي تعم»^(٣)، وزاد ذلك المعنى دقة وصفها بـ (خالدة) إشارة إلى الخلود الأبدي في الجنة، وإذا كان كذلك فاستلزمت الحياة مع الذلّ (الموت) المعهود بترقيم (ال) العهديّة، الذي (لا) حياة كائنة معه، وهذا الموت هو خسران الآخرة، بقرينة تأييد النفي بـ (لا) النافية للجنس، التي تدخل على النكرة فتنفيها نفياً عاماً^(٤)، فترشّح ثنائيات تحمل مقصد كلام الإمام عليه السلام يمكن بيانها بالآتي:

- الموت في سبيل العزّ = (بالجهاد في سبيل الله) = حياة خالدة (في نعيم الجنّة)

- الحياة مع الذلّ (بترك الجهاد...) = الموت الأبديّ (خسران الدنيا والآخرة)

وفي ذلك كمال التكريم لأصحاب الإمام عليه السلام وأهل بيته، وتعريض وخيبة أمل لأتباع الطرف الآخر، الأمر الذي دعا الحرّ أن ينسحب بجنده ليتجنب مواجهة الإمام عليه السلام مذ علم أنّه لا يباري على الحقّ، والمضي في جهاد أعداء الإسلام،

(١) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ١، ص ٣٧.

(٢) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٢٧٦.

(٣) الأزهرى، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح: ج ١، ص ١٦٨، ويُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ١، ص ٣٦.

(٤) يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ص ٣٣٠.

فأشعلت كلمات الإمام عليه السلام في نفس الحرّ التفكير والتأمل فأخذ يخير نفسه بين الموت بعزٍّ وما بعده من حياة خالدة، أو أن يعيش بذلٍّ حيث لا حياة.

وتفيد النكرة بحسب قرائن السياق اللغوي التخصيص، إذ تغادر في بعض الأحيان العموم الذي يعدّ طابعها المميّز، وإن دلّت مع هذا التخصيص على التحقير والتوبيخ، وما يقارب ذلك قول الإمام عليه السلام للقاسم بن أخيه الحسن عليه السلام عندما أدركه في المعركة، وهو يحتضر:

«عزّ - والله - على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يعينك، أو يعينك فلا يغني عنك، بعداً لقومٍ قتلوك، الويل لقاتلك»^(١).

فـ(قوم) وإن كان نكرة لفظاً، لكنّه معرفة بالمعنى والوظيفة، وفي هذا التنكير كمال التعريف، والتنبيه، على أنّهم لا يخفون، نُكِّروا أو عُرِّفوا، لعظيم ذنبهم الذي اقترفوه، ولا يخفى ما يستلزمه من توبيخ وتقريع يطرق أسماعهم، فهنا أدّت النكرة وظيفة التخصيص^(٢)، خلاف التعظيم الذي أدّته في النصّ السابق. وهذا منوط بمنطق اللغة، الذي يسمح لأشياء معيّنة أن تتضمّن معاني أبعد من تلك التي ذُكرت بصورة واضحة^(٣).

والاستلزام العام يكتسب أهميّة خاصّة بالنسبة إلى النظريّة اللسانية؛ ذلك أنّه من العسير تمييز هذه الاستلزامات عن المضمون الدلالي للألفاظ، فهو ينطلق من دلالة اللفظ إلى قصد المتكلّم المضمّر في القول ببنيته العميقة، ويفترض بالملتقي أن يكون على وعي تامّ بها، وهذه المقاصد مراتب: منها ما هو عامّ، وما هو خاصّ، ومنها ما

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٣٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٥٥٩.

(٢) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ١، ص ٣٧.

(٣) يُنظر: الحياّلي، عماد عبد محيي، الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابيّة: ص ٦٩.

هو صريح، وما هو ضمني، ممّا يتيح الحديث عن المقاصد وعن مقاصد المقاصد^(١)، التي تجلّيها القواعد العادية للحوار، بوصفها مبادئ تتم الاستجابة لها بوحى من العقل، ممّا يعلّل ضرورة التشبّث بها أثناء كلّ مساهمة حوارية، إذ هي الضابطة للحوار في المقامات العادية^(٢). كما سيأتي تفصيلها في المبحث الثاني.

(١) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى: ص ٩٨-١٠٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٢.

المبحث الثاني

الاستلزام الخاص

يُفهم الاستلزام الخاص من الاستعمال والسياق وعوامل أخرى خارج لغوية، بمعيتها يتم رصد ما تستلزمه البنى الخطابية، وإدراك مكنوناتها بوعي؛ لأن المتكلم لا يتاح له - في مواقف كثيرة - قول كل شيء، فيذهب معتمداً على التكتيف، والإيجاز، متوسماً عبارات قليلة بمعان كثيرة الغرض، منها تشويق المتلقي، وترغيبه، أو إسكاته، أو إفحامه وزلزلة معتقداته، أو إقناعه، وغير ذلك من المقاصد المضمرة في الملفوظات.

فالمخفي أو المسكوت عنه دائماً يحمل إichاءات تؤثر أكثر مما يؤثر القول الصريح، وأن هذا الموحى والمخفي اصطلاح عليه غرايس تسمية الاستلزام الخاص^(١)، الذي يتطلب وجود سياق حالي معين^(٢)، ويعد أكثر أنواع الاستلزام الحوارى شيوعاً، وهو نتاج معرفتنا بظروف وأحوال مخصوصة^(٣)، إذ كلما حصلنا على معلومات عن المقام وظرف المحادثة تكوّنت أمامنا صورة أكثر دقة لفهم الخطاب وتأويله^(٤).

وما تجب الإشارة إليه أن الاستلزام الحوارى يجري بطريقتين مختلفتين في الأقل، وذلك منوط بالموقف الذي يتخذه المتكلم من القواعد^(٥):

الطريقة الأولى: أن يراعى المتكلم القواعد والقوانين بشكل صريح، تاركاً مهمة

(١) ينظر: وليد، نور، الاقتضاء التخاطبى، دراسة تداولية: ص ٤٢٤.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٣٩.

(٣) يُنظر: علي، محمد محمد، مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب: ص ٥١.

(٤) يُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ص ٢٩٧.

(٥) يُنظر: إدوارى، العياشي، الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى: ص ١١٣.

توسيع ما قيل باللجوء إلى الاستدلالات مباشرة، انطلاقاً من مراعاة المتكلم للقواعد، ويسمى بالاستلزام الأنموذجي أو المتعارف.

الطريقة الثانية: أن يخلّ المتكلم عن قصد بقواعد الحوار وقوانينه، أو كما يعبر عنه ذلك غرايس عندما يستخفّ (Flou) المتكلم بهذه القواعد، ويسمى هذا النوع الاستلزام الناتج عن الإخلال بالقواعد.

وسيعمل البحث مقارنة تطبيقية لكلا النوعين، على كلام الإمام عليه السلام لكل قاعدة، وبحسب الآتي:

أولاً: قاعدة الكم

١. احترام القاعدة

تعطي صياغة الخطاب على وفق هذه القاعدة بعضاً من أهم الاستلزام المتعارف^(١)؛ إذ يتم الوقوف على كمية الأخبار المقدّمة، ومعرفة إذا كانت هذه الأخبار تعبّر عن المشاركة المتوقّعة، فتكون جارية بحسب القاعدة ومعرفة ما يترتب عليها من مقاصد، ومن نماذج احترام هذه القاعدة نعرض الآتي:

أ- دقة المعادلة الموضوعية

يرسل الباث خطابه بوصفه انعكاساً لمجريات وأحداث وعوامل نفسية، تتعاضد على خلق هذا المنتج، ومن أمثلتها في تحريّ القدر المطلوب من الأخبار، جواب الإمام الحسين عليه السلام على كتاب عمرو بن سعيد بن العاص، وكان عامل يزيد على مكّة، الذي كتب رسالة يتعهّد فيها للإمام عليه السلام بالأمان وعدم التعرّض له بمكروه، وقد جاء فيها:

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٢٠.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أمّا بعد: فإنّي أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإنّي أعيذك بالله من الشقاق، فإنّي أخاف عليك من الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار»^(١).

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً:

«أمّا بعد: فإنّه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرّي، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام»^(٢).

يظهر عند الموازنة بين كمّية الأخبار الواردة في الخطابين، أنّ ما قدّمه الإمام عليه السلام من الأخبار يتماشى ومجريات الموقف الكلامي، فجاءت مشاركته عليه السلام مساوية لكلام (عمرو بن سعيد) كمّاً^(*)، وللمقام أثر في هذا الردّ الذي بيّن فيه المتكلّم

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٨. ويُنظر: العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام: ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٨.
(*) لا شك أنّ نصّ الإمام عليه السلام مكتنز بطاقة معنوية تغذّي قراءات مستفيضة من شتّى الجوانب، وفي النصّ الآنف الذكر يمكن القول: إنّ المقابلة هنا اشتغلت على تنفيذ تكهّنات عمر بن سعيد فجاءت مساوية لها. ويمكن أن تكشف المصطلحات التي استعملها طرفا الخطاب عن أقوال مضمرة تعدّ انعكاساً واضحاً لتوجّه مقاصدهما وأغراضهما، فنلاحظ عمرو بن سعيد قد حشد ملفوظاته بتعابير دينوية وسياسية متمثلة بـ(الشقاق للأمان)، وهما مصطلحان سياسيان واجتماعيان ذا مفهوم دوني، وقد سما بهما الإمام عليه السلام إلى مستوى علوي ديني خالص لله سبحانه، فقرن الأمام عليه السلام الأمان بالله سبحانه، ومخافته في الدنيا التي توجب الأمان في الآخرة،

موقفه الصريح بالدعوة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، وأن يضع العبد مخافة الله نصب عينه؛ لتكون هذه المخافة أماناً وفوزاً له يوم القيامة، وهي من أولويات أهداف خروجه عليه السلام. وعند التدقيق في كلام الإمام عليه السلام نجده أنموذجاً في الموضوعية؛ لأنه جعل المخاطب يعود ليقراً نفسه، ثم يرى قدره ومكانه وقيمته في المستويات المعنوية التي قدمها الإمام عليه السلام، على وفق نمط لا زيادة فيه ولا نقصان عن الموضوع الذي هم بصدد، فهنا احترام القاعدة جارٍ على وفق التعانق الموضوعي الذي لازم منطلقات خطاب الوالي (عمر بن سعيد) وفنّه بسد الثغرات أمامه، وجعله هو من يقرر استحقاق الشكر من عدمه. وهذا أقرب إلى التقرير في مصطلحه الخطابي «فهو لا يتحقق في مستوى القضية، وإنما في المفصل الرابط بين قضيتين، ونوقشت إذ ذاك مسألة الوقوع في التناقض، إذا ما وصفت الجملة الشرطية بأنها إثباتية»^(١)، وجليّ البعد الاختزالي لأسلوب الشرط الذي قايس بموضوعية دقيقة، ونقلها في حقل المتلقي، ويمكن بيان المعادلة الموضوعية عن طريق المقابلات الشكلية الآتية:

- إني أعيدك من الشقاق = فإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً...
- فإن لك عندي الأمان = فخير الأمان أمان الله...

وبذلك قدّم المرسل هذا الكمّ من الملفوظات التي تحمل موازنة موضوعية بحسب تحري المطلوب من الأخبار.

فاشتغل الإمام عليه السلام على البعد الديني وتحصيل الآخرة، بينما قصر الطرف الآخر غايته على البعد الدنيوي فقط.

(١) مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٧٤.

ب - التقييد الرقمي:

مما يقارب هذه المقولة التقييد بدلالة الأرقام بوصفها حدوداً دقيقة تبين القيم المعدودة دون زيادة أو نقصان، ومنها جواب الإمام عليه السلام لمروان بن الحكم عندما جاء ليخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ليزيد بن معاوية، فقال:

• إنّ معاوية أمرني بأن أخطب أمّ كلثوم ليزيد، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ.

• فقال الإمام عليه السلام: «فلعمري، لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمئة وثمانين درهماً»^(١)

فعند التزام المتكلم بهذه الكمية المتمثلة بالقيمة العددية (أربعمئة وثمانين درهماً) عُلِمَ أنّها السنة المتبعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو احتاج المقام لبيان أكثر لفصل المتكلم فيه القول؛ لأنّ غرض المحاوره هو التواصل والإفهام، وبها أفادت مشاركة المتكلم في تحرّي الأخبار، القدر المطلوب والمتبع في مهر النساء آنذاك.

ج - الالتزام الكمي والموضوعي:

مما يقارب قاعدة الكم - لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب - جواب الإمام عليه السلام لرجل (*) في معركة الطفّ:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٠٤، ويُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٨٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٨.
 (*) قيل في اسم هذا الرجل هو الشمر، وقيل: هو ابن حوزة، والأقرب هو الشمر؛ لأنّ ابن حوزة قد دعا عليه الإمام عليه السلام بذكر اسمه. وسيأتي بيانه في الفصل الثالث.

- الرجل: أبشر بالنار تردها الساعة.
 - الإمام: «كَذَّبْتَ، بَلْ أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ وَشَفِيعٍ مُطَاعٍ»^(١).
- فلم يُفَصِّل الإمام عليه السلام الإجابة بذكر منزلته وسمو قدره، والمنهج الذي يسير عليه، وأهدافه التي تصب في مرضاة الله، بل اكتفى بالنتيجة النهائية، ولم يجعل مشاركته تفوق ما هو مطلوب من تقديم الأخبار، وبذلك راعى المضمون، إذ يتولّد «المعنى المستلزم الصريح بناء على المبادئ الحوارية الأساسية وقوانينها الفرعية التي تستلزم مطابقة المعنى للصيغة اللغوية الاستلزامية»^(٢) ويمكن بيانه بالآتي:
- مقولة الرجل: (أبشر بالنار تردها الساعة).
 - المعنى: وهو ما تؤدّيه عناصر الجملة المعجمية من معنى أو دلالة فيكون: (خبر يحمل بشارة للمخاطب بالنار على سبيل المجاز إذ استعمل لفظ (أبشر) ليخبر به عن النار لغرض التهكم^(*)).
 - المعنى المستلزم: إصرار القوم على قتله، وتحاذلهم الذي سؤل لهم خطاب ابن بنت رسول الله بهذا الخطاب، ولا تخفى جرأتهم على الله سبحانه وعلى أوليائه، التي جاءت من ضلالهم وبعدهم عن الله، ومن ثمّ عموا وصمّوا وأصبحوا يرون الحقّ باطلاً.
 - جواب الإمام عليه السلام: (كَذَّبْتَ بَلْ أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ وَشَفِيعٍ مُطَاعٍ).
 - المعنى: خبر تضمّن: إبطالاً للكلام السابق - مقولة الرجل - فهو مقبل

(١) ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٣. ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٥.

(٢) أزايط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإصماري: ج ٣، ص ١١٤.

(*) انتهك المتكلم هنا قاعدة الكيف؛ إذ قدّم خبراً كاذباً، وقال ما لا دليل لديه على صحته، وسيأتي تفصيله في هذا الفصل عند الحديث عن قاعدة الكيف.

على ربّ رحيم. إذ يفيد (بل) إذا «وقع بعده جملة الإضراب عمّا قبلها على جهة الإبطال»^(١)

- المقام النفسي: وهو «التطابق بين مجريات المقام والحالة النفسيّة الواقعيّة»^(٢)، وهو ثقة المتكلّم بالله والتسليم المطلق له.
- المقام المنطقي: وهو «التطابق بين المقول اللغوي وما هو واقع بالفعل»^(٣)، إذ استعمل الإمام عليه السلام المعنى الحرفي للملفوظات للدلالة على مقصده على سبيل الحقيقة لا المجاز فمثّل القول ما هو راسخ في ذهن المتكلّم، لأن الذي يخرج لطلب الإصلاح في أمة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فهو يرجو رحمة ربّه.

لذا اتّصفت الطبيعة الحواريّة المتمثّلة بالاتساق بين المقول والواقع وبين المقول له كماً وكيفاً وملاءمة وطريقة^(٤)، إذ قدّم المتكلّم الكميّة المطلوبة من الأخبار على سبيل الحقيقة، التي يمتلك دليلاً على صحتها (كيف) وجاءت متّسقة مع المقام (ملاءمة)، واستلّزمت: إبطال كلام المخاطب وتهكّمه.

٢. خرق قاعدة الكم

تخرق قاعدة الكم عند إعطاء قدر أكبر من الأخبار، أو أخبار أقلّ ممّا هو مطلوب، مع إظهار الرغبة في التعاون، ومؤدّى هذا الخرق مركون إلى المتكلّم، فهو محكوم بظروف سياقيّة أو حواريّة تجعله يجحد عن اتباع النمط المعروف لهذه

(١) المصري المالكي، حسين بن قاسم، الجنى الداني: ص ٢٣٥.

(٢) أزابيط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضرابي: ج ٣، ص ١١٦.

(٣) المصدر نفسه: ج ٣، ص ١١٦.

(٤) يُنظر: أزابيط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضرابي: ج ٣، ص ١١٦.

القاعدة، مع ترك شفرة تمكّن المتلقي من سبر أغوار النص وإدراك المعنى بمعنيّة الظروف نفسها التي وجّهت المتكلّم لسلوك هذه الطريقة في التعبير.

الخرق المركّب:

يُقصد به ذلك النمط الخطابي المتسلسل في تقديم أخبار متتالية يهيم بعضها إلى البعض الآخر، مكوّنة في مجموعها خرقاً متماسكاً يخدم فكرة واحدة.

ويقارب ذلك في كلام الإمام الحسين عليه السلام اعتراضه على عمر بن الخطاب عندما وجده يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الإمام عليه السلام: انزل عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك، فقال له عمر: من علمك هذا، أبوك علي بن أبي طالب؟، فأجابه عليه السلام في المسجد أمام الناس:

«إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنّهُ لهادٍ وأنا مهتدٍ به، وله في رقاب النّاس البيعة على عهد رسول الله، نزل بها جبرائيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلّا جاحد بالكتاب، قد عرفها النّاس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم وويلٌ للمنكرين حقناً أهل البيت، ماذا يلقاهاهم به مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدة العذاب!»^(١).

يظهر أنّه لا عاصم للمفوضات عمر بن الخطاب من السيل المعلوماتي الذي جاد به الإمام عليه السلام، وبه قدّم متتالية من الأخبار تفوق ما هو مطلوب، إذ كان سؤاله عن الذي علّمه هذا القول، ولو اتّبع الإمام عليه السلام مقرر قاعدة الكم، لما ابتعدت إجابته عن (نعم أو لا)، وهذا لا يؤدّي غرضه في هذا الموقف، لذا عدل إلى خرق القاعدة، فجاء الجواب بفيض من الأخبار التي تحمل حقائق عقديّة يرى المتكلّم أنّ به حاجة

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٢٦٨-٢٦٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٥٠-١٥١.

إلى تبليغها، اعتماداً على حقّ المتكلم في اختيار الملفوظات التي يستعمل، وتحديد معناها، وتبليغ مقصده تحت طاولة الخرق لقواعد التواصل التي تقول: إنَّ المتلقى له إمكانية استعادة المعنى المقصود^(١).

والمسوَّغ لهذا الخرق - بحسب نظر البحث - ما تميّز به المقام التخاطبي، الذي اشتمل على ظروف ملائمة، استثمرها الإمام عليه السلام، وبثّ أخباراً مكثّفة، لينشئ موقفاً تفاعلياً تأثرياً، الغاية منه جملة أهداف تردّدت بين: التذكير، والتفريع، والتعريض، والتحذير، ويمكن بيان عناصر المقام التخاطبي المهيّئة للخرق بالآتي:

أ - المنبر: الذي يرمز إلى الخلافة والهداية، ولالإمام الحسين عليه السلام مواقف عاشها مع رسول الله ﷺ على هذا المنبر.

ب - المسجد: الذي يمثّل عاملاً آخرّاً ذا بعد معنوي، وقديسيّة في نفوس المسلمين عامّة وأهل البيت عليهم السلام خاصّة، إذ لا ينكر أحد علاقة المتكلم - الإمام - بالمسجد.

ج - تجمّع الناس في ذلك الموقف: شكّل عاملاً محفّزاً لاستثمار طاقة الخرق حجاجياً، وبثّ فحواه بين المسلمين، وبذلك يأخذ الخطاب طابعه الرسمي من خطّين:

الأوّل: معنوي، بوصفه صادراً من شخصيّة لها ارتباطها المباشر بالرسول.

والآخر: مادّي، حدث في مسجد الرسول ﷺ باجتماع المسلمين.

د - شخصيّة المتكلم - الإمام عليه السلام - ومكانته الاجتماعية بالرغم من صغره، إذ لا يتجاوز عشر سنين في هذا الموقف.

والمتملّ في كلام الإمام عليه السلام يجده يطرح فكرة واحدة تقوم على ثلاثة محاور

(١) يُنظر: التداوليّة، مقاربات في المفهوم والتأصيل: ٢٥-٢٦.

متناسكة يُعضد بعضها بعضاً، وكلّها تخدم الفكرة الرئيسة، وهي (عقيدة الإمامة المنصوص عليها من الله سبحانه) ويمكن بيان مستويات الخرق في قاعدة الكم بالآتي:

أ - المستوى الأول (الخرق الممهّد): تمثّل بقول الإمام عليه السلام: (إن أطع أبي فيما أمرني، فلعمري إنّه هادٍ، وأنا مهتدٍ به)، وهو وأن كان خرقاً لكن ثمة رابط بين سؤال عمر بن الخطاب (من علّمك هذا أبوك؟) وجوابه عليه السلام (إن أطع أبي)، إذ مهّد به ليصل إلى عبارة (إنّه هادٍ وأنا مهتدٍ به) ليفتح الأفق إلى خرق أعم انطلاقاً من مسلمة الهداية، ويقابل هذا الخرق مقامياً، رمز المنبر الذي يستلزم ذكره هداية المسلمين، وينتج بهما الدائرة الأولى للخرق.

ب - المستوى الثاني (الخرق الهدف): الذي تمثّل بقوله عليه السلام: (وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله، نزل بها جبرائيل من عند الله تعالى، لا ينكرها إلّا جاحد بالكتاب).

إذ يبيّن هنا السلطة التي انطلق منها لمحاججة مخاطبه، وإثبات حقّ أبيه بالخلافة من نصّ القرآن الكريم على ذلك، ولهذا الخرق بُعدٌ تداولي شهده معظم من كان في المسجد بما فيهم المخاطب المباشر - عمر بن الخطاب - وبذكره حمل الحضور - والقارئ - على تذكّر حادثة تاريخيّة مهمّة، وهي ما جرى في غدير خم، عندما عاد الرسول ومعه آلاف المسلمين من حجة الوداع، فأمر أن يتجمّع الحجاج في هذه المنطقة، حيث نزل جبرائيل الأمين عليه السلام عن الله سبحانه بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، ولما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أفتاب

الإبل، ثم أخذ بيد الإمام علي عليه السلام، فرفعها حتى رُوي بياض إبطيهما عليه السلام، وعرفه القوم أجمعون، فقال: «إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه»^(١)، يقولها ثلاث مرّات، ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، ثم لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي الله تعالى بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، والولاية لعلي من بعدي»، ووفق القوم يهتّون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومَن هنّا في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر بن الخطاب، كلُّ يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمست مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة»^(٣).

لذلك يمكن أن يتّصف هذا الخرق بطابع العموم لجميع المسلمين، لا عمر بن الخطاب وحده، ويقابله مقامياً المسجد، وبه تتسع دائرة الخرق أكثر.

ج - المستوى الثالث (النتيجة): متمثلة بقول الإمام عليه السلام: «قد عرفها الناس بقلوبهم، وأنكروها بألسنتهم، وويلٌ للمنكرين حقناً أهل البيت، ماذا يلقاهاهم به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدة العذاب!!».

فبيّن المتكلّم هنا موقف الناس من هذه البيعة وما ينتظرهم من عذاب، فاستلزم النتيجة التي يفهم منها الوعيد لمنكري حق أهل البيت.

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٧١، ٢٦٢، ٢٦٩، ويُنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج ٣، ص ٦٣١، ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٧٢، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ص ٥٨٩.

(٢) المائدة: آية ٣.

(٣) يُنظر: الأُميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ج ١، ص ١٩-٢١.

ويمكن بيان العلاقة بين مراتب الخرق والمقام الحاضن لها بالمقابلات الآتية:

- أَنَّهُ لِهَادٍ وَأَنَا مُهْتَدٍ بِهِ = المنبر بوصفه رمزاً للهداية.
- وَلَهُ فِي رِقَابِ النَّاسِ الْبَيْعَةُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ = المسجد بوصفه مقراً للخلافة.

• قَدْ عَرَفَهَا النَّاسُ بِقُلُوبِهِمْ وَأَنْكَرُوهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ = الحضور في المسجد.

ومما تقدّم تكون مقارنة خرق المتكلم لقاعدة الكم، مبنية على قصد التأثير في المتلقي - سواء أكان هذا المتلقي مباشراً أم غير مباشر - بعد توظيف العوامل المقامية التي ساعدت على بناء سياق أولي، ثم أعاد المتكلم توجيهه بحسب قصده من الخطاب، فمن «شروط سيميولوجيا التواصل هو (القصد) الذي يجب أن يتوافر لدى المتكلم، وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد»^(١)، الأمر الذي حمل عمر بن الخطاب على القول: «يا حسين، من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله، أمّرنا الناس فتأمّرنا، ولو أمّروا أباك لأطعنا»^(٢).

فأجابه الإمام عليه السلام: «يا ابن الخطاب، فأيّ الناس أمّرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبا بكر على نفسك ليؤمّرك على الناس بلا حجة من نبي، ولا رضا من آل محمد، فرضاكم كان لمحمد (عليه السلام) رضا؟ أو رضا أهله كان له سخطاً؟»^(٣). وهذه التمتّة للمحاورة تكتمل الصورة التي خطّها الإمام عليه السلام من خطابه، فقدّم كلّ طرف أدواته وإمكاناته لبيان حقه في الخلافة، وقد استند الإمام عليه السلام إلى النصّ القرآني وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الأحر، فصل، معجم السيميائيات: ص ٨٦.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٢٦٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٥٠.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٢٦٨-٢٦٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٥٠.

وفعله؛ لبيان حقّ أبيه في الخلافة، بينما اتكأ الطرف الآخر على الناس ممثلين بأبي بكر في إضفاء شرعية خلافته، ويمكن توضيحه بالآتي:

- الإمام الحسين عليه السلام وظّف: نصّ قرآني + حديث نبويّ

بيان سلطة الولاية للإمام علي عليه السلام.

- عمر بن الخطّاب وظّف: (أبا بكر = الناس)

منح الخلافة لنفسه.

ومن أمثلة هذا الخرق لقاعدة الكم (الخرق المركّب) في تقديم أخبار أكثر من المطلوب، ما جاء في خطابه عليه السلام وسط جمهور من الناس، بعد أن قيل لمعاوية: إنّ الناس قد رموا بأبصارهم إلى الحسين عليه السلام، فلو أمرته يصعد المنبر ويخطب، فإنّ فيه حصراً، أو في لسانه كلاله، فقال لهم معاوية قد ظننّا ذلك بالحسن، فلم يزل حتّى عظم في أعين الناس وفضحنّا، فلم يزالوا به حتّى قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الإمام الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلىّ على النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً من بين الحضور يقول: من هذا الذي يخطب؟^(١)، فقال الإمام عليه السلام:

«نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيّون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل:

(١) يُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (١) (٢).

إذ قدّم المتكلم متتالية من الأخبار تفوق منطوق السؤال، وقد وُظفَ هذا الخرق بمستوياته البنائية المتناسكة؛ ليعلم فكرة مفادها (الأمر بطاعة أهل البيت)، ومؤدّى هذا الخرق مركون إلى ظرف المقام المضطرب، الذي اشتمل على مسوغات للخرق، منها:

- المحفل الكبير الذي يضمّ جمعاً من الناس.
- رغبة معاوية وحاشيته المكر بالإمام عليه السلام، على أمل الارتباك والتلكؤ على المنبر؛ ليحطّوا من قدره.
- سؤال الرجل، سواء كان سؤال مستفهم عن حقيقة يجهلها، أم قصد التشويش والإرباك منه.

فكان الإمام عليه السلام يستثمر كل فرصة مؤاتية يمكن عن طريقها إعلان أحقيّتهم بالإمامة والخلافة، وتثبيت هذا الأصل الديني الذي غاب آن ذاك عن ذهنيّة الأمّة، لذا قدّم أخباراً تفوق سؤال الرجل الذي اتخذ منطلقاً لبث مقصده، وقد جاء الخرق على ثلاثة مستويات يخدمن فكرة رئيسة، كما يأتي:

- المستوى الأوّل للخرق: تمثّل بقول الإمام عليه السلام: (نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون).

والتأمل في هذا المستوى التعريفي يجد أنّ الإمام عليه السلام لم يقدم تعريفاً شخصياً

(١) النساء: آية ٥٩.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٩، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٠٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٥.

بعنوانه (الحسين بن علي) - مثلاً - ليكون جواباً لسؤال الرجل المستفهم، بل عمد إلى التعريف العقدي المتمثل بالسلسلة المرتبطة بالله - سبحانه - والخطّ الممثل لخلافة الرسول؛ ليقابل مقامياً حضور معاوية بوصفه رمزاً سياسياً يترأس السلطة، وجاء هذا المستوى على ثلاث فقرات، استلزمت كلّ فقرة إشارة إلى نصّ قرآني، ليكون الكلام أكثر دقة وتأثيراً، ويمكن بيانه بالآتي:

أ - قوله: (نحن حزب الله الغالبون) تلميح لقوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

ب - قوله: (وعتره رسول الله الأقربون) تلميح لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٢).

ج - قوله: (وأهل بيته الطيبون) تلميح لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

ويتجلى الهدف من هذا الخرق مخاطبة العموم - جميع الحضور - لا شخص السائل وحده، إذ يبيّن فيه - الخرق - شرف نسبه ورفيع قدره ﷺ.

- المستوى الثاني للخرق: (وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله ﷺ ثاني كتاب

(١) المجادلة: آية ٢٢.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

(٣) الأحزاب: آية ٣٣.

الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يطينا تأويله، بل نتبع حقائقه).

وهنا بين الإمام عليه السلام الخط الثاني الذي يميزهم متمثلاً بمجموعة من الصفات التي خصهم الله بها دون غيرهم، وبذلك بين مكانته - التي تطع معاوية ومن معه من الناس للخط منها - السامية من طريق (النسب والعلم)، ويمكن عدّ المستويين السابقين مقدّمة للغرض الرئيس، وهو ممثّل بالنتيجة التي يحملها المستوى الثالث.

- المستوى الثالث: ويمثّل الغاية: (فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾).

وبه نصل إلى غاية الخرق الذي عالج فيه البعد العقدي، المتمثّل بطاعة أهل البيت عليه السلام الواجبة التي قرنت بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومّا تقدّم يمكن للبحث أن يسجّل ظاهرة أسلوبيّة على خرق (قاعدة الكم) في تقديم أخبار أكثر من المطلوب، إذ غالباً ما يتردّد هذا الخرق عند مخاطبة الإمام عليه السلام الناس في المحافل العامّة؛ لأنّه يعطي مساحة كافية للمتكلّم لبيان مقاصده وحججه.

الخرق المختزل:

أمّا الخرق المتمثّل بتقديم أخبار (مركّزة) أقلّ ممّا تتطلبه المشاركة الكلاميّة، فغالباً ما يكون عند المحادثات الفرديّة، فيقدّم نمطاً من الأخبار المركّزة، ويقع على المتلقّي مسؤوليّة قراءتها التفصيليّة، ومثال ذلك المحاورّة التي دارت بين الإمام عليه السلام

والفرزدق، نوجزها بالآتي^(١):

- الفرزدق: أعطاك الله سؤلك، وأمّلك فيما تحبّ، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟
- الإمام عليه السلام: «لو لم أعجل لأخذت».

إذ جاء جواب الإمام عليه السلام مختزلاً مكثّفاً، وبه قدّم أخباراً أقلّ ممّا يتطلّب السؤال، وهذا الاختزال يشفع له مقام المحادثة الذي يعلّل تركيز الإمام عليه السلام على هدف أهمّ أراد الوصول إليه، فعمد إلى الإيجاز، والتخلّص من سؤال الفرزدق إلى المهمّ، ولو تأملنا مقام المحادثة لوجدناه متّسماً بالحركة والسرعة، إذ دارت في الطريق عند منطقة الصفاح^(٢)، ويّين الفرزدق ذلك، بقوله: «حججت بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتّى دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكّة معه أسيافه، وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟، ف قيل: للحسين بن علي عليه السلام، فأتيته وسلّمت عليه، وقلت له...»^(٣).

إذاً نستطيع القول: إنّ المسوّغ للخرق الظروف الآتية:

١. مكان المحادثة: إذ جرت في الطريق، وهو ما يتطلّب الاختصار في الكلام من أجل مواصلة الطريق.
٢. الهياة التي بها الإمام عليه السلام تسهم في بيان المسكوت عنه، وقد ألمح إليها

(١) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٦.
 (٢) الصّفا: والصّفح: الجنب، والجمع الصّفا، والصّفاح: السيوف العراض، والصفا: موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكّة من مشاش، وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي عليه السلام لما عزم على قصد العراق. يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٣، ص ٤١٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٦.

الفرزدق، بقوله: (إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكة معه أسيافه وأتراسه).

٣. رغبة الإمام عليه السلام بالانتقال إلى كلام آخر، تمثل بسؤاله عن حال القوم خلفه في العراق، وموقفهم من بيعته (*) .

٤. مراعاة بلاغة المخاطب - الفرزدق - في الوصول إلى المسكوت عنه المختزل.

أمّا المعنى المستلزم من قول الإمام عليه السلام: فيتمثل: بمضايقة السلطة له، ومحاولة أخذ البيعة منه ليزيد، والسعي لاغتياله في مكة، وساعد على استنتاج المسكوت عنه عوامل خارج اللغة، إذ إنّ «اللغة لا تختزل في نظام ترميزي شفاف للتواصل، فإنّ استعمالها وانتاج الجمل وفهمها كلّ ذلك يتطلب معارف غير لغويّة، ويستلزم عمليّات استدلالية»^(١).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخرق القائم على إعطاء أخبار أكثر من المطلوب هو السمة الغالبة في خرق قاعدة الكم.

(*) لا شك أنّ الإمام يعلم بمجريات الأمور، ولا ينتظر من الفرزدق ليعلمه بها، فطريق علمه الموروث قد كشف له مسيرته بداية وختاماً، ولا أجد قراءة لهذه المحادثة إلّا العبرة التي ينقشها الإمام عليه السلام للأجيال، وهي تحمل فيضاً من مبادئ تربوية، والتي يطول المقام بذكرها، ومنها: بيان ازدواجية الناس، متمثلة بقول الفرزدق: قلوبهم معك، وسيوفهم عليك، والحثّ على تربية المسلم بأن يكون قوي الإيمان في جهاد نفسه والأعداء على مر التاريخ. وينبغي أن تتأمل كلّ حركة وسكنة صدرت من الإمام عليه السلام، فهي يقينا تحمل رسالة للمجتمعات البشرية بعده.

(١) ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداوليّة اليوم: ص ١٩.

ثانياً: قاعدة الكيف

تقتضى هذه القاعدة بأن يتحرّى منتج الخطاب الصدق فيما يقول، وبذلك يأتي الكلام على وفق ما يعتقد به صاحبه، ولخصوصيّة المتن موضع الدراسة يقترح البحث صياغة هذه القاعدة بأسلوب آخر يجنبنا مصطلح الكذب عند خرق هذه القاعدة في تقديم الملفوظات، وحسب الآتي: (التزم بالدلالة الظاهرة للعبارة، ولا تغادرها إلى معاني مجازيّة) وبذلك يكون المقصود بالصدق هنا أن يلتزم المتكلم بالمعنى الحرفي للملفوظات، ويتجنّب الانزياحات ليصل المتلقّي إلى المعنى مباشرة دون لبس أو غموض مع مراعات العوامل غير اللغويّة، أمّا إذا أخلّ المتكلم بالصدق الأخلاقي، فينتفى تعاونه للتواصل مع المخاطب.

١- احترام قاعدة الكيف:

أ- الالتزام بالدلالة الظاهرة:

إذ تسري تجلّيات الالتزام بفحوى هذه القاعدة عند الالتزام بالمعنى المباشر لشكليّة التركيب، ومما يقارب هذه القاعدة ما ورد في حوار الإمام عليه السلام مع عبد الله بن الزبير بعد وفاة معاوية، حين قال له: فما ترى أن تصنع إن دُعيت إلى بيعة يزيد؟ فقال الإمام عليه السلام: «أصنع أي لا أبايع له أبداً؛ لأنّ الأمر إنّما كان لي من بعد أخي الحسن عليه السلام، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لأخي الحسن عليه السلام أنّه لا يجعل الخلافة لأحد من بعده من ولده، أن يردها إليّ إن كنت حيّاً....، انظر أبا بكر أي أبايع ليزيد (*)»،

(*) هنا استفهام إنكاري يفهم من سياق اللفظ، ويعضده عبارة (لا والله لا يكون ذلك أبدا) الواردة في ختام حديثه.

ويزيد رجل فاسق، ملعن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول، لا - والله - لا يكون ذلك أبداً»^(١).

يظهر من الخطاب المنصرم التزام الإمام عليه السلام بالمعنى الظاهر (الحرفي) للملفوظات؛ لينجز ما يعتقد به بكلّ دقة، فجاء الخطاب خالياً من الانزياحات اللغوية التي تقوم على استعمال اللفظ في غير ما وضع له، إذ الكلام يكون له سطح تفهمه العامة دون غموض ولا ارتباك ذهني^(٢)، وربما قصد منها أن تصل رسالته بكلّ وضوح، وهي تحمل امتناعه ورأيه بيزيد. وقد صرح الإمام عليه السلام هنا عن مقصده بأسلوب مباشر؛ لأنّ هذا الأسلوب «قد يكون في كثير من الأحوال هو الأسلوب الأكثر تأثيراً، والأوقع نفعاً، والأجدي ضبطاً لبيان موقفه»^(٣).

ب - التزام الوضوح في تقديم الملفوظات:

ومن أمثلتها ما ورد في وصية الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية، إذ جاء فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، صور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ١، ص ٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤١.

فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي - يَا أَخِي - إِلَيْكَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ^(١).

وقد تزامن إعلان هذا الخطاب قبيل خروج الإمام عليه السلام إلى كربلاء؛ ليحدد الإطار المنهجي لثورته، فقدّم أخباراً ذات تعبير مباشر، بحكم قاعدة الكيف، وعنده دليل على صدقها، إذ اشتمل الخطاب على مبادئ الثورة الحسينية، صاغها بكلّ دقّة؛ لتكون واضحة يفهمها جميع الناس، فذكر في رسالته مفاصل مهمّة تمثل صمّام أمان يقف أمام أيّ اتهام يتوجّه ضده، أو ضدّ أهدافه، ويمكن توضيحه بالآتي^(*):

- سمات الخروج: لم أخرج  - أشراً.
- ولا بطراً.
- ولا مفسداً.
- ولا ظالماً.
- أهداف الخروج: وإنّها خرجت:  - لطلب الإصلاح.
- أريد أن أمر بالمعروف.
- وأنهى عن المنكر.
- أسير بسيرة جدّي وأبي.

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٣، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٨٢، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٥٤.

(*) وسيأتي تفصيله في المبحث الثاني من الفصل الثاني تحت عنوان: شعار الثورة الحسينية.

ويفهم من هذه المرتكزات رسالته للناس، فعرض أهدافه بكل وضوح؛ لتكون بمتناول الفهم، وهذا تمام القصد، «فإطاعة القواعد. قواعد الاستلزام - والتقيّد بها بصورة مباشرة، يعتمد على قدرة المُخاطَب على أن يتوسّع في تفسير الكلام المنطوق عن طريق الاستنتاج المباشر المبني على افتراض أن المتكلّم يطيع القواعد في الأحوال الاعتيادية»^(١) فالتزام المتكلّم بمقولة كيف في بثّ خطابه ليسجّل للمتلقّي أنّه مؤمن بما يقول، ففي «الأحوال الاعتيادية يعدّ التصريح بخبر ما، تلويحاً معمّماً باعتقاد المتكلّم بصدق ذلك الخبر»^(٢)

٢ - خرق قاعدة كيف:

يوفر الإخلال بقواعد مقولة كيف أكثر أنواع الصور البيانية، مثل: التهكم، والتعريض، والاستعارة، والتلويح، والمبالغة^(٣)، إذ يتمّ مغادرة دلالات البنى التركيبية الظاهرة إلى مقاصد ضمنية مضمرة في الملفوظات.

أ - خرق القاعدة سيميائياً: ويكون ذلك عبر مغادرة سيميائية الرمز المحايثة إلى مقاصد كامنة يمكن رصدها مقامياً، وقد رصد البحث خرقاً لسيميائية (الضحك)، مقروناً بالتركيب الذي يشير إلى تلميح لحكم متداول فقهيّاً وعرفياً، يمكن أن يشكّل هو الآخر مقتضى سيميائياً، ومّا يندرج تحت هذا المفهوم قول الإمام عليه السلام معاوية، في المحادثة الآتية^(٤):

(١) الخليفة، هشام عبد الله، نظرية التلويح الحوارية: ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥.

(٣) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٢٦-٢٨.

(٤) يُنظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢١٣، الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٦-٢٩٧، الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٢٤٠، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ج ٢،

لما قتل معاوية حَجراً بن عدي^(١) وأصحابه، وحجَّ في ذلك العام، لقي الإمام علياً، في الحج، فقال له:

- معاوية: يا أبا عبد الله، هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وشيعة أبيك؟

- الحسين علياً: وما صنعت بهم؟

معاوية: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم.

فضحك الإمام علياً، ثم قال: خصمك القوم، يا معاوية، ولكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم.

عند التأمل في ظروف ومجريات هذه المحادثة، يتبيّن أنّ طرفي الخطاب لم يتوقف قصدهما عند دلالة المعنى الحرفي، إذ إنّ المقام التخاطبي وطبيعة الخبر لا تتماشى ودلالة المحادثة الظاهرة التي جرت في موسم الحج، وإنّ كلام معاوية لا يُراد به مجرد الإخبار؛ وذلك لأمر منها:

- طبيعة الخبر الذي يحمل أنباء حزينة للإمام علياً.

ص ٤٤٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٥٣، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٤.

(١) حجر بن عدي (٥١ هـ - ٦٧١ م) هو: حجر بن عديّ بن جبلة الكندي، ويسمى حجر الخير، صحابي شجاع من المقدّمين، وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية. ثمّ كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام المخلصين، وشهد معه وقعتي الجمل وصفين، وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبي سفيان والياً عليها فدعاه، وجيء به إلى دمشق، فأمر معاوية بقتله في مرج عذراء (من قرى دمشق) مع أصحاب له مخلصين من شيعة الإمام علي عليه السلام. يُنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٢، ص ١٦٩.

- طبيعة المقتول - حجر بن عدي وأصحابه - ومدى صلاح دينهم وإخلاصهم لأهل البيت عليه السلام.

وللدراسة أن تعرض تحليل المحادثة حسب التوجيه التداولي بالآتي:

أ- مقولة معاوية: (قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم)

يرفض المقام التداولي أن يكون المتكلم - معاوية - أراد المعنى الظاهر للقول، بل لربما كان القصد من تقديمه أمرين، أولهما: في قوله (قتلناهم) الذي أراد منه التحذير والتهديد لأصحاب الإمام عليه السلام، بأن هذا الفعل - القتل - يكون جزاء لكل من يعارض السلطة. والآخر: يمكن أن نقرأها من قوله: (وكفناهم وصلينا عليهم) إذ يستشف منها رسالة أخرى، مفادها: أنه من أهل الإسلام، ومن أولئك الذين يطبقون أحكام الشريعة التي منها تكفين الميت والصلاة عليه، وغرضه من ذلك خداع الناس وتضليلهم، وهنا خرق قاعدة الكيف عندما غادر الدلالة الحرفية للمنطوق إلى قصد يفهم من القرائن المقامية والثقافية.

ب- كلام الإمام عليه السلام، ويتمثل بالآتي:

• ضحك الإمام من سماع الخبر: والمعروف من سلوك (الضحك)^(١) هو

(١) في مواقف كثيرة ترتبط الوقائع النطقية بالوقائع الإيمائية الحركية، وغالباً ما تتعلق بها بصفاتها (وقائع هامشية كلامية) إذ تعتبر العناصر الدالة في مجملها ذات طابع لغوي، مادامت متعلقة بالقناة السمعية، كما يفترض تحققها أن تتحقق - مسبقاً - العناصر الدالة الصوتية، في حين لا تحتاج العناصر الإيمائية الحركية إلى أي ركيزة تصويتية لكي تتحقق، ولكن لا بد من الاعتراف بأن بعض الوقائع الهامشية الكلامية تتجاوز هذه الحدود التي وضعت بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، ومنها (الضحك) أو النحيب الذي على الرغم من كونه لا يتصف بطبيعة كلامية إلا أنه يشتمل بالضرورة على مكون صوتي، أو حتى الابتسامة التي تسمع بقدر ما ترى. يُنظر: كاترين كيربرات - أوركيوني، المضمّر: ص ٣١-٣٢.

إشارة للفرح، أو البشارة بأخبار سارة تستدعي التعبير عن الرضا، ولو تأملنا الخبر الذي ساقه معاوية للإمام لا نجده يستدعي الضحك بدلالته المتعارف عليها تداولياً، ومتكلم مثل الإمام عليه السلام لا يصدر منه سلوك، أو لفظ اعتباطي غير مقصود، وبذلك قدم الإمام عليه السلام:

- المعنى الحرفي: سلوك يدل على الفرح باستعماله المتداول (الضحك).
- المعنى المستلزم: تلميح من المتكلم - الإمام عليه السلام إلى المخاطب معاوية - بأنك قدمت على فعل منافٍ لمبادئ الدين الإسلامي، إذ الغسل والتكفين والصلاة إنما تكون على المسلم الذي لا يحل قتله، فكيف تقتل مؤمناً ثم تصلي عليه. وفي هذا السلوك غادر المتكلم الدلالة الظاهرة للضحك إلى معنى مستلزم يفهم من ظروف المحادثة، فجاء خرقاً لقاعدة الكيف على سبيل التعريض بمخاطبه.
- قوله عليه السلام: (ولكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم).

وهنا وظف الإمام عليه السلام المعنى الحرفي للخبر، وأضاف عليه معنى مستلزماً عندما ضمّنه تلميحاً بأصحاب معاوية بأنهم كفرون، وليبانه نتيج الآتي:

- المعنى الحرفي: أخبر المتكلم مخاطبه بأنه لو حصل وقتلنا شيعتك، لا نكفّنهم ولا نصلي عليهم.
- المعنى المستلزم: يفهم من النص القرآني والثقافة الإسلامية أنّ الذين لا يُصلى عليهم هم المنافقون.

وبذلك يخرج الخبر إلى التلميح بكفر أصحاب المخاطب - معاوية - استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وَمَاتُوا وَهُمْ فَكَيْفُوتٌ»^(١)، ومن هذه الآية الكريمة استدلّ فقهاء الفرق الإسلامية بعدم جواز الصلاة على المنافق ذميّاً كان أو مرتدّاً، ولا يجب على المسلمين تكفينه ولا دفنه ولا غسله^(٢)، فأحياناً تكون الإشارة أجدى لبلوغ المراد من الكلام نفسه، إذ «يقوم المتكلّم باختيار مختلف أنواع الحوامل الشكلية وغيرها الكفيلة بتحقيق التواصل التي من بينها: اللسان، والحركات، والإباءات، والنبر، والتنغيم»^(٣)، لذا أكّدت التداولية على الشروط القبليّة، والأوضاع المشتركة بين المتخاطبين التي أطلق عليها (علم الاستعمال اللغوي) مؤكّدين على أهميّة العوامل غير اللغويّة المحيطة بتأويل القول وفهم المقاصد^(٤).

ج - خرق القاعدة مجازياً:

- ومّا يقارب خرق هذه القاعدة - كيف - ما ورد من كلام في المحادثة الآتية:
- قول الإمام عليه السلام لعمر بن سعد: «إني لأرجو أن لا تأكل من بُرّ العراق إلّا يسيراً»^(٥).
 - فقال له: يا أبا عبد الله، في الشعر عوض عن البرّ.

(١) التوبة: آية ٨٤.

(٢) ينظر: السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط: ج ١٠، ص ١٩٨، الرازي، فخر الدين، المحصول: ج ٢، ص ٢٤٥، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، نهاية الأحكام: ج ٢، ص ٢٥١، الشافعي الزرشي، محمد بن بهاء، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١، ص ٢٨٢.

(٣) سرحان، إدريس، طرق التضمن الدلالي والتداولي في اللغة العربيّة وآليات الاستدلال: ص ١٠٩.

(٤) يُنظر: مجموعة باحثين، التداولية في البحث اللغوي النقدي: ص ١٤-١٥.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٥٢٣، ويُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٢٠، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٦٩.

ومّا يبدو من المقام التخاطبي أنّ معنى ما قيل يتجاوز الدلالة اللغويّة للعبارة، لذلك جاء جواب عمر مستهزئاً؛ لأنّه أدرك قصد الخطاب الذي سيق له، ويمكن بيانه بالآتي:

- المعنى الحرفي: دعاء الإمام عليه السلام ألا يأكل عمر بن سعد من بُرّ العراق إلّا قليلاً.

- المعنى المستلزم: أخبر الإمام عليه السلام بسرعة هلاك عمر بن سعد بعد استشهاده عليه السلام، ولا يلبث خلافه إلّا قليلاً.

وبذلك خرق المتكلم قاعدة الكيف؛ إذ قدّم متتاليات من الألفاظ، قاصداً بها معنى آخر غير المعنى الظاهر الذي تدلّ عليه، عن طريق الكناية^(١).

ومّا يقارب ذلك الخرق ما جاء في كلام الإمام عليه السلام للمسلمين في مكّة قائلاً: «كأنّي بأوصالي تقطّعها غُسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملاًن منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً...»^(٢) فلو اكتفى المخاطب بدلالة اللفظ المباشرة - الحقيقي - لا

(١) الكناية بأصل الوضع هي أن تتكلّم بشيء وتريد غيره، وكُنّي عن الأمر بغيره يكتني كناية، يعني إذا تكلّم بغيره ممّا يستدلّ عليه، والكناية لفظيّة مجازيّة، وتأتي مفردة ومركّبة؛ وتُفهم دلالتها من اللفظ الظاهر، ويُقصد بها: ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل إلى ما هو ملزومه، وهو طويل القامة، وسُمّي هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح. ينظر على التوالي: ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٣٣، السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم: ص ٦٣٧.

(٢) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٥٧، ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتل الطفوف: ص ١٢٦، موسوعة كلماته عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٧. (جوفاً: جمع جوفاء وهي الواسعة، أجربة: جمع جُرَاب شيء يحوي شيء، أي: وعاء مثل الكيس الكبير الذي يكون من القماش أو الجلد، سغباً: جمع سُغْبى من السغب وهو الجوع، يُنظر: القرويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٩٥، و ٤٤٩، ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٢٦١، ٤٦٨).

يتأتى له المعنى الذي قصده المتكلم، إلا أن المخاطب - بمعىة مجريات المحادثة المقاميّة - على وعيٍ بركيزة التواصل، وهو يمتلك الأدوات اللغويّة وغيرها للمسك بمقصد المتكلم، فأخذ - المخاطب - على عاتقه مهمّة مقارنة المعنى، مستبعداً الدلالة الظاهرة لـ (عسلان الفلوات) إذ يُقال: «لِلذُّبِ عَاسِلٌ عَسَلٌ يَعْسِلُ عَسَلَانًا، إِذَا مَضَى مُسْرِعًا، وَالْجُمُعُ عُسْلٌ وَعَوَاسِلٌ»^(١)، إلى معنى مجازي يصل إليه المخاطب عن طريق التفاعل مع ظاهرة الصورة التي رسمتها (الاستعارة)^(٢) في القول والإيحاءات الناجمة عنها، لتشكيل القصد من الكلام، إذا ما علمنا أن كلمة المعنى لا نعني بها الشيء نفسه، وإنما كيفية فهم الشيء^(٣)، فتجلّت الصورة الاستعارية بالتصريح بالمستعار (عسلان = الذئب) إلى المستعار له (المضمر) الذي يمكن إدراكه من السياق التاريخي بأنّه الجيش الزاحف لقتال الإمام عليه السلام، فتفاعلا في ذهن المتلقّي على وفق معطيات المقام، من علاقة الشراسة والوحشية لدى هذا الحيوان، بتلك الحيوانات (الذئب البشرية = الجيش المعادي). فجاء الخرق بتقديم ملفوظات لا يراد بها معناها الحرفي، بل يغادرها إلى مقاصد مضمرة، يصل إليها المتلقّي بقرائن مقاميّة ولغويّة، لا تقف على استبدال لفظي بقدر ما هو تفاعل بين

(١) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٣١٤.

(٢) توالى الدراسات البلاغيّة - قديماً وحديثاً - على تعريف الاستعارة بعدّها ركناً مهمّاً من أركان البيان العربي، ممّا يجعل الخوض في تعريفاتها أمراً لا طائل منه سوى التكرار، وإن كان لا بدّ من تعريف فإتّها: «استعمال لفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي الذي وضع اللفظ له» من: السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم: ص ٥٣٩. وينظر في تعريفها أيضاً: الخفاجي، عبد الله بن محمد، سرّ الفصاحة: ص ١٣٤، الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٦٧، الخطيب القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٢٤١.

(٣) يُنظر: فضل، صلاح، النظريّة البنائية في النقد الأدبي: ص ٣٧٨.

سياقات مختلفة عن طريق علاقة المشابهة^(١)، وتعدّ الاستعارة من أهمّ الوجوه المجازيّة للخطاب، وقد توسّع المقاربات التداوليّة للاستعارة آليتها لتشمل مجموع التواصل، معتبرة إيّاها في الوقت نفسه ظاهرة لغويّة عاديّة، وهي في نظر سيرل (١٩٨٢) ليست سوى حالة عمل لغة غير مباشر، حيث يريد المتكلّم وهو يتكلّم أن يفهم قوله^(٢)، وإذا ما قاربت الدراسة القول تداولياً يتبيّن الآتي:

١. المعنى الحرفي: يخبر المتكلّم بأنّ أوصال جسمه ستقطّعها الذئاب في منطقة بين النواويس وكربلاء، فيملأن منه بطونهن الفارغة، وهذا المعنى الحقيقي لا يقصده المتكلّم.

٢. المعنى المستلزم: بيان صفة الجيش المعادي، بأنهم يحاربون دون هدف، بل سعيّاً وراء مصالحهم، فهم على هيئة وحوش (ذئاب) ضارية، «فكما ينقضّ هذا الحيوان على فريسته فيمزّقها ويقطّعها، ينقضّ هذا الجيش على جسده الشريف ليتواكلوه من كل جانب حتّى تقطع أوصاله على رمضاء كربلاء»^(٣)، فرسم الخرق للمتلقّي صورة للإنسان الذي يترك تحكيم عقله، واستسلم لغرائزه، أو تخلّى عن مبادئه، عندها سيُمسَخ بهيئة حيوان، لا يملك من الإنسانيّة شيئاً.

ومّا يقارب هذا الخرق ما جاء في خطابه عليه السلام في كربلاء: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وأنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها»^(٤)، يبدو أنّ (تشخيص)^(١)

(١) يُنظر: السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم: ص ٣٥٩.

(٤) يُنظر: مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٣) حبيب، حيدر محمود، نثر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليليّة في جماليّات بنية النصّ: ص ٣٢.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٠٣-٤٠٤.

الدنيا عن طريق الاستعارة كان مؤازراً لما في نفس الإمام من آثار نفسية تجاه الحدث وآثاره الجسيمة لتقريب مقاصده من ذهن المخاطب فيثير - الأسلوب الاستعاري - فيه رغبة التأمل في تداعيات الصورة الاستعارية وما ترسمه من أحداث^(٢)، فغاية الأساليب البيانية جعل المتلقي مشاركاً لإنتاج المعنى المقصود، ويمكن مقارنة الخرق في الملفوظات أعلاه بالآتي:

- المعنى الحرفي: أخبر بأن الدنيا تغيرت وتكررت وأدبر معروفها.
- المعنى المستلزم: شخص الدنيا كأنها كائن حي تنكر لمبادئه وقيمه وتناسى المعروف وفارقه.

والغاية من الخرق بيان حالة «الامتعاض والانكسار المساور لقلبه عليه السلام تجاه تحلل العامة من القيود»^(٣) الإسلامية.

وهذا المعنى لا يتحصّل من المعنى الشكلي للملفوظ، وبذلك ينتج عن خرق قاعدة الكيف مقاصد ضمنية تفوق ما تحمله العبارة بمعناها الحرفي الظاهر، إلا أنّه يبقى دليلاً على المقاصد البعيدة، وأن لم يشارك بشكله في محتواها، وهذا الأسلوب وإن غادر الدلالة الظاهرة للملفوظات إلى مقاصد خفية، إلا أنّه يدعو المخاطب لمشاركة المتكلّم في الوصول إلى القصد معاً، وفي ذلك أبلغ في الإقناع وأيسر في تحصيل انتباه الجمهور.

(١) (التشخيص والتجسيم) مصطلحان أشار إلى مفهومهما الجرجاني في قوله: «فإنك لترى بها الجهاد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية» في أسرار البلاغة: ص ٤٢، ويُنظر: هنون، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية (من مكة إلى المدينة): ص ١٠٢.

(٢) يُنظر: عثمان، أياد عبد الودود، التصوير المجازي، أنماط ودلالة في مشاهد القيامة في القرآن: ص ٧٠.

(٣) العلايلي، عبد الله، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٥٧.

ثالثاً: قاعدة الملاءمة

هي بمثابة حدّ مقصدي، الهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي: يراعي علاقة المقال بالمقام، وتقول هذه القاعدة: ليناسب مقالك مقامك، وتهدف إلى أن يناسب القول ما هو مطلوب في كل مرحلة، أي: وجوب تعلّق الكلام بالمقام^(١).

ويعود الفضل لهذه القاعدة في تقديم أوسع لائحة من الاستلزامات، فهي التي تتيح أكثر من أيّ قاعدة الإيجاز في التخاطب والتخيل عن أمور مفرغة، إذ «إنّ قائل اللغة العادية - وهو على وعي بقواها المشتقة من دلالاتها الكامنة في العلاقات - لا يفتأ ينزل هذه القوى على حكم المعايير والأغراض العملية التي يستوجبها الموقف المعين»^(٢)، فينتج خطاباً على وفق ما يقتضي الحال بقصد الإفادة الدقيقة.

وقد تتباين مشاركة المتكلم في المواقف الخطابية، فحيناً يسوق خطابه على وفق مجريات المقام، ويتمّ تمثّل المعنى، وإدراك هذه العلاقة بكلّ يسر ووضوح، وأحياناً يلبس خطابه - لغاية ما - وشياً من الاستبطان فيبدو الخطاب لا يتماشى وظروف المقام، فيكون المتكلم خارقاً لقاعدة الملاءمة في خطابه، وعند التحقيق تجد أنّ الخطاب - وفق مبدأ التعاون الغرايسي - ملائم للمقام، ولكن أوعر المتكلم قصده عن طريق الخرق الظاهر؛ ليوصل رسالته إلى مخاطبه بأسلوب آخر، لذلك «فمن الصعب إيجاد أمثلة يحصل فيها الاقتضاء»^(٣) عن خرق حقيقي لقواعد هذه المقولة، إذ إنّ من النادر إعطاء جواباً لا يمكن اعتباره غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما»^(٤)

(١) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ٩٩.

(٢) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية: ص ٢٥٤.

(٣) الاقتضاء هو مصطلح أطلقه الدكتور عادل فاخوري، ويريد به الاستلزام الحواري، يُنظر:

فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨.

١ - احترام قاعدة الملازمة:

مثال ذلك ما ورد في كلام الإمام عليه السلام للوليد بن عتبة والي يزيد على المدينة^(١) ومروان بن الحكم^(٢) عندما طلب منه الوليد البيعة ليزيد، فقال الإمام عليه السلام: «إِنْ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً، فقال الوليد: يا أبا عبد الله، قلت فأحسنست في القول...، فانصرف راشداً على بركة الله حتّى تأتينا غداً

(١) الوليد بن عُتْبَةَ (ت ٦٤هـ = ٦٨٤ م): هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، من رجالات بني أمية، ولي المدينة (سنة ٥٧هـ) في أيام معاوية. ومات معاوية، فكتب إليه يزيد أن يأخذ له بيعة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وكانا في المدينة، فطلبها إليه ليلاً، قبل أن يشيع موت معاوية، فأخبرهما بما جاءه من يزيد، فاستمهلاه إلى الصباح، وقالوا: نصبح، ويجتمع الناس - للبيعة - فنكون منهم. وانصرفا. وعزله يزيد (سنة ٦٠)، وهو أحنك بني أمية، وأملكهم لعقله، وأصوبهم نطقاً، وتتجلى حكمته في جوابه لمروان بن الحكم عندما عتقه؛ لأنّه لم يضيّق على الإمام عليه السلام، ورغب في مغادرته من دون مضايقه، إذ قال له: ويحك...، إنّك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها، وأني قتلت حسيناً، سبحانه الله، أأقتل حسيناً إذ قال لا أبايع، والله ما أظنّ أحداً يلقي الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزيّيه وله عذاب أليم. يُنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٨، ص ١٢١-١٢٢، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٢، ص ٤٤.

(٢) مروان لا يعرف له أب، وإنّما نسب إلى الحكم، فالحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أسلم الحكم يوم الفتح، وسكن المدينة، وكان ينقل أخبار رسول الله ﷺ إلى الكفار من الأعراب وغيرهم، ويتجسّس عليه، وقيل ما أسلم إلّا لهذا وما حسن إسلامه، ونفاه الرسول ﷺ إلى الطائف ولعنه، أمّا أمّه اسمها سمية، وكانت من البغايا في الجاهلية، وكانت لها راية مثل راية البيطار، تعرف بها، وكانت تسمّى أم حبتل الزرقاء، وهذه هي أسرة مروان، وكان يطمع بالحكم ويتطلّع للرياسة، ولم يصل إليها ما لم يحرّض يزيد وأتباعه للفتك بالحسين عليه السلام، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ له امرأة كلعقة الكلب أنفه. يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٦، ص ٣٤٩، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٨-٤٩.

مع الناس. فقال مروان للوليد: والله، لئن فارقت الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه»^(١)، فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك، وقال: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أنت تامر بضرب عنقي؟ كذبت - والله - وأثمت، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً»^(٢)، ثمّ التفت إلى الوليد بن عتبة، وقال له: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»^(٣).

أوردت المحادثة بتفاصيلها ليتجلّى مطابقة كلام الإمام عليه السلام مع المقام بكلّ دقّة، والناظر لمقام الخطاب يحده على ثلاثة مستويات: إذ اتسم بالهدوء في المحادثة الأولى مع الوليد (إنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة...) وعدل إلى الشدّة والتهديد والوعيد مع مروان (ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أنت تامر بضرب عنقي؟ كذبت - والله - وأثمت...)، ثمّ عاد إلى الاستقرار بخاتمة المحاورة مع الوليد (أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة...) وبذلك راعى الإمام عليه السلام نوع المخاطب أثناء توجيه الخطاب؛ ليكون على وفق ما يقتضي المقام

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٤٠، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٢٩، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٢٩. ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٧٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤، ويُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٧-٢٦٨، ابن طاووس، علي بن موسى، المهفوف على قتلى الطفوف: ص ٩٨، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٧٩، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٤٤.

وتحقيق الإفادة، وهو ما يعرف بتعديل القوة الإنجازية حسب مقتضيات المقام التخاطبي وطبيعة المخاطب، فمن «الحقائق الجوهرية في الاستعمال اللغوي ارتباط الصيغة بالمقصد، وأنَّ الكيفية التي يقال فيها الشيء تعدّ جزءاً ممّا يقال، فحينما يعدل المتكلم قوة منطوقه فإنه يدلّل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره مقتضيات السياق، فهما مرتبطان بالكفاءة التداولية»^(١)، فيجنىح المتكلم إلى تلطيف الخطاب تارة والشدة تارة أخرى، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التحدي والإنذار يباين مقام الهزل^(٢)؛ ذلك أنّ المقام يمتدّ تأثيره على الصياغة وجزئياتها بحيث يكون لكلّ كلمة مع صاحبها مقام، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وبهذا يرتبط المعنى بجزئيات التركيب في مواطن الاستعمال، كما يرتبط بما يبيّن هذه الجزئيات من علاقات خلقها المقام^(٣).

والوليد بن عتبة كان مجبراً من يزيد على طلب البيعة من الإمام عليه السلام، وهو على علم بمكانة الإمام عليه السلام وموقفه من بيعة يزيد، فأراد بحضور الإمام عليه السلام إليه تنفيذاً لأمر يزيد بصورة شكلية، الأمر الذي يفسّر قبول كلام الإمام - الذي عمد فيه إلى التعمية للوليد - وسمح له بالانصراف^(٤)، فجاء كلام الإمام عليه السلام ملائماً للموقف، ولم يعمد إلى الرفض المباشر في بادئ الأمر لطلب الوليد بن عتبة، وتجنّب التصريح مادام لذلك سبيل بقوله: (مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة). أمّا كلامه مع مروان فجاء بأسلوب مختلف، ملائم لموقف مروان وخطابه، وهذا جارٍ وفق منطوق قاعدة الملاءمة التي تنصّ على أن يكون

(١) مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٣٢٢.

(٢) يُنظر: السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم: ص ٧١، عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية: ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) يُنظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية: ص ٦٢.

(٤) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٣٨-٣٤٠.

الكلام ذا علاقة مناسبة بالموضوع، وعلى افتراض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون مما جعله يتحرى الإيجاز والتخلى عن الإطالة في الخطاب وذكر أمور مفروغ منها. وعلى هذا رصد البحث تلون كلام الإمام عليه السلام بألوان المقام وطبيعة المخاطبين، فهو لم يكن على وتيرة واحدة، ولا أسلوب عام.

٢ - خرق قاعدة الملاءمة:

لخرق هذه القاعدة أهمية كبرى في التحليل والتأويل؛ إذ تعدّ أداة يستعملها المستمع لتأويل أقوال لا علاقة ظاهرة لها مع ما قيل خلال الموقف الحوارى، ولكن بمعية المقام والمعرفة المسبقة يتبلور تأويل المعنى^(١)، فعملية التأويل ليست اعتباطية، بل مبنية على قرائن يستحضرها المتلقى، بعد أن وظّفها المتكلم في خطابه، وبخرق هذه القاعدة يقع الثقل الأكبر في التأويل على المخاطب؛ لمساهمة الفاعلة في نجاح العملية التواصلية إذا ما أدرك القصد من الخطاب، وتتمتع هذه القاعدة بميزة الفضاء الواسع لاستقطاب كل أشكال الخطاب الهادف وبيان أهدافه. ويمكن عرض أمثلة الخرق لهذه القاعدة وفق الآتي:

أ - خرق قاعدة الملاءمة حوارياً:

إذ يدور الخرق هنا في مضمار الحوار بين طرفي الخطاب، ومما يقارب الاستلزام الناتج عن هذه الفقرة، ما جاء في هذه المحادثة^(٢):

- عمرو بن العاص: ما بال أولادنا أكثر من أولادكم؟

(١) يُنظر: راموس، فرانثيسكو يوس، مدخل إلى الدراسة التداولية: ص ٩٣.

(٢) يُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٧٥، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٠٤-٤٠٥، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٦٦٨-٦٦٩.

- الإمام عليه السلام: بغاث الطير^(١) أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات^(٢) نزور^(٣).
- عمرو بن العاص: ما بال لحاؤكم أوفر من لحائنا؟
- الإمام عليه السلام: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(٤)

إذ السائل في ظاهر كلامه يستعلم عن قضايا معيّنة، ولكن جاء جوابه عليه السلام في ظاهره بعيداً عن موضوع المحاور، وبذلك عدّ خرقاً لقاعدة الملاءمة في تقديم أخبار لا تتوافق مع مستوى الحوار السطحي، ولو تأملنا سؤال عمرو بن العاص لوجدناه لم يُسَقَّ لمجرد الاستفهام، بل خرج لأغراض، منها: الفخر والتعريض بالإمام عليه السلام، وهذه النعرة كانت مستشرية في الجاهلية، وحاربها القرآن الكريم في مواطن، منها ما جاء في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ۝٥﴾^(٥) إلا أنها ما زالت عالقة في أذهانهم، وعمرو بن العاص لما لم يسأل سؤال مستفهم

(١) البغاث: طائر أبيض بطيء الطيران، وقال الفراء: بغاث الطير شرارها وما لا يصيد منها. يُنظر: ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ١١٨، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٢، ص ٤٠٢.

(٢) مقلات: «المقلات من النوق: التي لا يعيش لها ولد، وكذلك من النساء، والجمع مقلات». القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ١٨.

(٣) البيت للشاعر: معوذ الحكماء العامري، واسمه معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب. وهو عم لبید بن ربيعة الشاعر، وسمي معوذ الحكماء ببيت قاله، هو القائل:

تفاخرني بكثرة هـا قـربط فيالك والد الحجل الصقور
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الباز مقلات نزور
فإن أك في عدادكم قليلاً فإني في عدوكم كثير

ينظر: المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشعراء: ج ١، ص ٣٩١.

(٤) الأعراف: آية ٥٨.

(٥) التكاثر: الآيتان ١-٢.

لحصول العلم، قدّم الإمام عليه السلام جواباً على وفق ما يقتضي سؤاله، ولو كان يطلب العلم في محادثته لكان حريّاً به أن يستفهم عن أمور دينه المهمة، ولما كان الإمام عليه السلام على علم بالمقام التداولي للمحادثة، أجاب الجواب المناسب، فقوله عليه السلام:

(بغات الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مقلات نزور)

- يكون المعنى الحرفي له: جواباً لسؤال عمرو بن العاص بأن شرار الطير وأقبحها كثيرة الفراخ، والجيد منها - الصقر - نادر قليل الفراخ.

- المعنى المستلزم: خبر خرج للتعريض بالمخاطب؛ ليفصح عن فكرة مفادها: إنّنا - أهل البيت - مثال يقتدى به، والأنموذج المتكامل قليل، لا يصل إليه أيّ كان.

وقوله عليه السلام: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَإِذْنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ مجيباً بالآية الكريمة على سؤال عمرو بن العاص: ما بال لحاؤكم أوفر من لحائنا؟ يمكن مقارنته بالآتي:

• المعنى الحرفي: يكمن في معنى الآية الظاهر الذي أجاب بها الإمام عليه السلام، وهو: إنّ البلد الطيّب هو الأرض الموصوفة بالطيب، وطيبها زكاء تربتها وملاءمتها لإخراج النبات الصالح وللزراع والغرس النافع، وهي الأرض النقيّة، والبلد الخبيث لا يكاد ينبت، فإن أنبت أخرج نباتاً خبيثاً لا خير فيه.

• المعنى المستلزم: إشارة إلى المؤمن الذي سمع كتاب الله سبحانه، فوعاه بعقله وانتفع به، والتزم بكتابه، فيعود ثمر عمله بالحسنى، والجزاء الجميل، فينتفع بالهدى الذي تلقاه، بخلاف الكافر الذي يحرم نفسه من الانتفاع بالهدى نتيجة الإعراض عن كتاب الله سبحانه، فيعود وبال فعله عليه سوءاً.

- وفي ذلك تمام العناية والتكريم (للمؤمنين = البلد الطيب)، وتهكم وتعريض (بالكافرين = البلد الخبيث).

فجاء الجواب بغير ما يتطلب السؤال؛ لأنّ في جوابه هذا ما يشفي وقع تهكمه، ويردّه إلى نحره، فنشأ الاستلزام الحواري من عدم ملائمة الجواب للسؤال لجريانه على الأسلوب الحكيم، والغرض هو النهي عن تهكمهم، والتعريض بهم؛ إذ ينبغي لهم الترفع بتفكيرهم نحو الأهم، وهو العمل لمرضاة الله، لا السؤال عن هذه الأمور التي لا تغني ولا تسمن...

ب - خرق مقتضيات المقام التخاطبي:

ومّا يعدّ خرقاً لهذه القاعدة - الملائمة - كلام الإمام عليه السلام في مكة، جاء فيه: «خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جَوْفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مُهَجَّتَه، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله»^(١).

فجاء كلام الإمام عليه السلام ظاهراً على خلاف ما يقتضي المقام، إذ المألوف في مثل هذا مواقف إعطاء الامتيازات والمحفّزات الماديّة التي تغري الناس للالتحاق بالثورة

(١) الحلواني، الحسين بن محمد، نزّهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٨٦، ويُنظر: الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٣٩، ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ١٢٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧.

ومجابهة الظلم، إلّا أنّه قد افتتح الخطاب ناعياً نفسه، وأنّه مستشهد لا محالة بيوم خطّ عليه بالقلم، ويمكن بيان أهمّ مضامين الخطاب بالآتي:

١. إنّهُ نعى نفسه ورَحّب بالموت في سبيل الله، وهذا خرق لقاعدة الملاءمة؛ إذ قدّم أخباراً على غير عادة المقام الذي يتطلّب بيان الظفر بالنصر.

٢. أعرب عن شوقه البالغ إلى أسلافه الطيّين الذين استشهدوا في سبيل الله، وهذا رافد ثانٍ يعزّز الأول.

٣. أخبر بأنّ الله تعالى قد اختار له الشهادة الكريمة، والميعة المشرفة دفاعاً عن الحقّ.

٤. أعلن عن البقعة الطيّبة التي يُسفك على صعيدها دمه الطاهر، إذ فيها تقطّع أوصاله، وتتناهب الرماح جسمه الشريف.

٥. أوضح أنّ ما يجري عليه من الخطوب والأحوال أمر لا محيص عنه، فقد خُطّ عليه بالقلم، وجرى في علم الله^(١).

وتكمن غاية الخرق في التنبيه على سوء الوضع المحدث بالأمّة الإسلاميّة بولاية يزيد، وأهمّ ما يميّز الخطاب هو بيان الثوابت الإصلاحية الأساسيّة التي لا بدّل عنها في صلاح المجتمع، فالموت لا سبيل منه، وأنّ ابن آدم هالك لا محالة، فما أروعه إذا كان في سبيل الله ونصرة الحقّ، فعندها يكون كالقلادة التي تزدان بها جيد الفتاة، ولربّما قصد منه - الخطاب - أمرين:

الأوّل: مخاطبة أصحاب العقول النيرة والضمائر الحيّة المتمثّلة بالقلّة القليلة الذين فهموا مغزاه وعرفوا معناه فالتحقوا بركب الحسين عليه السلام.

والآخر: هو إعلان مسيرة الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بقيادة سبط الرسول عليه السلام «ولم يكن هدفه الدنيا، ولو كان يروم الملك لما عرض لذلك،

(١) يُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ٤٩.

وكان عليه أن يقدم الوعود المعسولة والآمال البراقة لمن يسير معه؛ لذلك لم يستجب لكلام الإمام أحد من أهالي مكة، ولا أحد من الحجاز الذين سمعوا خطابه سوى نفر يسير من المؤمنين^(١) وهذا يستلزم قلة الوعي الديني، وتحذير المجتمع وانحرافه عن الحق.

ومما يقارب ذلك كلام الإمام عليه السلام مع أصحابه في ليلة العاشر من المحرم، قائلاً: «إني لا أحسب القوم إلا مقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً، فأنتم في حل مني، وهذا الليل قد غشيكم، فمن كانت له منكم قوة فليضم رجلاً من أهل بيتي إليه، وتفرقوا في سوادكم، حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، فإن القوم إنما يطلبونني، فإذا رأوني هوا عن طلبكم»^(٢).

فمن دواعي الموقف آنذاك أن يعزز الإمام عليه السلام الهمة والعزم في نفوس أصحابه وأنصاره للدفاع عن الأهداف النبيلة، والقيم السامية التي خرجوا من أجلها، ومواصلة المسيرة حتى النهاية، والتأكيد على طلب النصرة والمساندة - كما فعل الإمام عليه السلام - وإلقاء الحجة على الناس باستمرار، إلا أن الإمام عليه السلام خرق قاعدة الملاءمة بما يطلبه المقام من مقال، فيعلن خطبته بالرخصة لأصحابه أن يتركوه وحيداً، وقد ذهب غير باحث إلى أن الإمام عليه السلام رغب في أن يتخلوا عنه، وينصرفوا تحت جناح الظلام، فيتخذونه ستاراً دون كل عين، وعرفهم أنه الهدف لتلك الوحوش، فإذا ظفروا به فلا أرب لهم في طلب غيره^(٣)، ويذهب البحث إلى أن

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ٤٩

(٢) ابن سعد، محمد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد: ج ١، ص ٤٦٦، ويُنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠١، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٣) يُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ١٦٧.

للإمام غايةً أسمى من هذا المعنى الظاهر، وأنَّ خلف هذا الخرق لقاعدة الملاءمة تكمن مقاصده التي تشكّل جوهر العقيدة وقمة الثبات، إذ لا يتماشى مضمون الخطاب تداولياً مع المعنى الصريح أو بعض معانيه، فمن غير الممكن لكلا الطرفين التفرّق بعد أن تعالى الجدّ ودقّت ساعة الصفر، أن يأمر أصحابه بأن يتركوه وحيداً، إذاً لا بدّ من هدف أوسع وأدقّ من ذلك، يرى البحث إيجازه بالآتي:

١. رغبة الإمام عليه السلام ببيان مدى إخلاص أهل بيته وأصحابه، واستعدادهم للتضحية دونه بوصفه الإمام المفترض الطاعة.

٢. بيان إيمان أصحابه وتفقههم في الدين، إذ يمثل وقوفهم مع الإمام ليس بدافع العاطفة فقط، بل لعقيدتهم الراسخة بأنّه الخليفة الشرعي والإمام التقى الذي يستحقّ خلافة أمة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك جاء جواب أصحابه مطابقاً لما عهدته الإمام عليه السلام فيهم من الوفاء والدراية، فلم يكذب يفرغ الإمام عليه السلام من كلامه حتّى هبّت الصفوة الطيبة من أهل بيته وأنصاره معلنين اختيار الطريق الذي يسلكه، ويتبعونه في مسيرته، ولا يختارون غير منهجه منهجاً^(١).

رابعاً: قاعدة الطريقة

تختلف هذه القاعدة عن سابقتها؛ إذ لا ترتبط بما قيل، بل بما يراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنّب الاضطراب والملل والإيجاز المخل للقول^(٢)، فتنصّ بالأساس على التزام الوضوح في الكلام، وتجنّب

(١) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤١٩، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٦، القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ١٦٧.

(٢) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٠٠.

الغموض، والالتباس القصدي الذي يحصل عادة عندما تحمل العبارة معنيين أو أكثر، دون وجود قرينة تحدّد المعنى الملتبس أو المتعدّد.

١ - احترام قاعدة الطريقة:

ومتّما يقارب هذه القاعدة ما جاء في كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَانِيَا بْنَ هَانِيٍّ، وَسَعِيدَا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدِمَا عَلَيَّ بِكُتُبِكُمْ فَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي قَصَصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ وَلَسْتُ أَقْصِرُ عَمَّا أَحْبَبْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَأَبْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمًا بَنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَرَأْيِكُمْ وَرَأْيِ ذَوِي الْحِجْبَى وَالْفَضْلِ مِنْكُمْ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مَا قَبْلَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى مَا قَدِمْتُ بِهِ رُسُلَكُمْ وَقَرَأْتُمْ فِي كُتُبِكُمْ فَقُومُوا مَعَ ابْنِ عَمِّي وَبَابِعُوهُ وَانصُرُوهُ وَلَا تَخْذِلُوهُ فَلَعَمْرِي! لَيْسَ الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ وَالْعَادِلُ بِالْقِسْطِ كَالَّذِي يَحْكُمُ بَعِيرِ الْحَقِّ وَلَا يَهْدِي وَلَا يَهْتَدِي، جَمَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْهَدْيِ، وَالزَّمَنَّا وَإِيَّاكُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى، إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(١).

فمن تطبيقات هذه القاعدة توحّي الوضوح في الكلام، والمتأمل في هذا الكتاب يجده قد صيغ بأسلوب بسيط وواضح؛ ذلك أنّ طبيعة الوضع ومقتضيات الدعوة آنذاك يتطلّب هذا الأسلوب الواضح؛ لأنّه أبلغ في التأثير والإبلاغ؛ فمن الأمور التي يكون فيها الأسلوب المباشر أمضى وأكثر وقعاً وأكثر ضبطاً، هي^(٢):

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٥٣، ويُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٥٨.

(٢) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها: ج ١، ص ٤٢.

١. لدى بيان الحقائق الكبرى العقديّة، كالكلام الذي يحدّد قضايا الإيمان، فهذه يجب فيها التصريح المباشر.

٢. عند بيان المبادئ التي تعلنها الثورة، فهذه ينبغي لها التصريح الذي يدلّ على المعاني دلالة مباشرة واضحة.

وهذه العوامل وغيرها دعت الإمام عليه السلام إلى تدبيح كتابه بلغة واضحة ومفهومة للجميع، فهو يهدف إلى:

أ - بيان موقف الذين كتبوا له من الملأ واستعلام حالهم عن طريق رسوله إليهم مسلم بن عقيل.

ب - استعداد الإمام عليه السلام لتلبية دعوتهم، ونصرة الدين، وحفظ بيضة الإسلام.

ج - بيان صفات الإمام الذي يقود الأمة ويكون خلفاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ومنها: أن يعمل بكتاب الله، ويحكم بالقسط، ويتخذ الحقّ منهجاً.

فلم يستعمل الأساليب البلاغيّة وما يصاحبها من الغموض اللغوي، كما نلمس في كتاب الإمام عليه السلام توخّي الترتيب في الكلام - أيضاً - عند قوله: (إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين) حيث استلزمت الواو بقرينة خارجية ترتيب الكلام^(١) في بيان الفضل، فجاء ذكر (المؤمنين) أولاً لبيان مكانتهم وفضل رتبهم، ثمّ أعقبهم بلفظ (المسلمين) فمراعاة قواعد مبدأ التعاون يعطي استلزاماً مباشراً للملفوظات، ويتطلّب استحضار عوامل خارجية وحواريّة على الرغم من مسaire هذه القواعد، إلّا أنّ الظفر بالمعنى هنا لا يتطلّب كدّاً ذهنيّاً وجهداً في الحصول على المعنى المقصود، ولهذا النوع من الخطاب دوافعه وظروفه الحافّة، التي جعلت المتكلّم يصوغ خطابه على وفق هذه الصورة؛ إذ هناك أفكار ومواضيع يكون الأسلوب المباشر أبلغ في الإخبار عنها من الأساليب ذات التراكيب التي تضرر المعنى

(١) يُنظر: المصري المالكي، حسين بن قاسم، الجنى الداني: ص ١٥٨.

وتخفيه، وبذلك يكون الالتزام بالقواعد الغرائسية في الخطاب دلالة ومبرراته، فضلاً عن أن لخرقها وترك فجوات في ثبات تراكيبها غايات ومقاصد أيضاً.

٢ - خرق قاعدة الطريقة:

لا تهتمّ كسائر القواعد بما هو مقول أو منطوق، بل بكيفية قوله أو النطق به^(١)، ولتقديم القول طرق أو قواعد تتفرّع عن هذه القاعدة، قدّمها غرايس ليحكم آلية تقديم المنطوق، وعند خرق أيّ قاعدة من القواعد الفرعية لها يولد استلزام يهدف إليه المتكلّم، وسيعرض البحث أمثلة تطبيقية على خرق مسلّمات هذه القاعدة:

أ - الغموض:

تخرق قاعدة الطريقة أيضاً عند عدم توخّي الوضوح في إيراد الملفوظ، ومّا يدفع المتكلّم للإخلال بالوضوح عندما يرغب بإبلاغ أمر ما وإخفائه عن الآخرين؛ تفادياً للالتزام أو إحراج أو غير ذلك^(٢)، أو يكون القول غامضاً عند صياغة بعض الملفوظات وفق الأساليب البيانية، ممّا يجعل فهم المقاصد يتطلب مراحل تتمثّل بالانتقال من المعاني الظاهرة المباشرة إلى المعاني الخفية^(٣)، ومّا لا شكّ فيه أنّ هناك العديد من العوامل والمقومات التي تتحكّم في تحديد المدلولات بين المتحاورين، من قبيل العادات والمعتقدات والمعارف المشتركة التي تمكّن المخاطب من الوصول إلى الضمني المستلزم حوارياً فيما يقوله المتكلّم^(٤).

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٦.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٣٠.

(٣) يُنظر: راموس، فرائيسكو يوس، مدخل إلى دراسة التداولية: ص ١٠١.

(٤) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١١٦.

ومتّما يندرج ضمن خرق قاعدة الطريقة بوسم الملفوظات شيئاً من الغموض، ما يندرج تحت التلميح الذي تفهم دلالته من فعل الكلام لا من مضمون القول، فالمتلقّي لا يدرك المعنى من مضمون القول المباشر، بل من قرائن الحال المقاميّة، ومن أمثلته ما جاء في محادثة بين الإمام عليه السلام وابن الأزرق^(١)، فسأله ابن الأزرق وأجاب الإمام عليه السلام جواباً شافياً، أبدى فيه ابن الأزرق تسليماً وإعجاباً حتّى بكى وقال:

- يا حسين، ما أحسن كلامك.
- الحسين عليه السلام: بلغني أنّك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليّ؟
- ابن الأزرق: أما والله، يا حسين، لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام.
- الحسين عليه السلام: إنّني سائلك عن مسألة؟
- ابن الأزرق: أسأل.
- الحسين عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(٢)، يا ابن الأزرق، من حُفِظَ في الغلامين؟
- ابن الأزرق: أبوهما.
- الحسين عليه السلام: فأبوهما خيرٌ أم رسول الله ﷺ؟
- ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى أنّكم قوم خصمون^(٣).

(١) وهو نافع بن الأزرق، كان يرأس فرقة الأزارقة وإليه نسبهم، وكان أمير قومه وفقههم من أهل البصرة، صاحب في أوّل الأمر عبد الله بن العباس، وكان من الخوارج، توفّي: (٦٥) للهجرة. ينظر في ذلك: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٧، ص ٣٥١.

(٢) الكهف: آية ٨١.

(٣) ينظر بتصرّف: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٨٣-١٨٤، ابن العديم العقيلي، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٥٨٦، الأمين، محسن،

فكان قصد الإمام من هذا السؤال أن يجعله يقرّ بحق أهل البيت عليهم السلام في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو أجاب ابن الأزرق الإمام قائلاً: (رسول الله)، لاستلزم ذلك أن يكون ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام أحقّ بأن يحفظا في الخلافة، وهذا المعنى المضمّر فطن له ابن الأزرق، الأمر الذي جعله يمتنع عن الإجابة، بل أضرب عنه، وأجاب بهذا الجواب الذي هو تلميح للآية: ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)، فجرى الخطاب بينهم بمستواه الإضماري على وفق مبدأ التعاون في الحوار، ليُخبر الإمام عليه السلام: أنّي أعرف قصدك المضمّر في هذا السؤال فلم أجبك، وهذا يكشف عن احترام الطرفين لمبدأ التعاون القارّ في رصيدهم المعرفي والاجتماعي من حركيّة اللغة ولياقتها في التعبير عن مقاصد ضمنيّة راسخة في بنيتها التواصلية.

ب - التطويل والإطناب:

تخرق (قاعدة الطريقة) بتنصيبها على (تحرّي الإيجاز) فيتخذ المتكلّم أسلوب التطويل والإطناب في تقديم الملفوظات في موقف معيّن^(٢)، تقتضيه عوامل نفسيّة أو تعليميّة، أو بيانيّة، لبيان حقيقة ما أو نفيها، وتكمن غاية الخرق لتأكيد ظاهرة أو بيان أهمّيّتها، أو التحذير منها وبيان مساوئها، ويتجلّى هذا الخرق بوضوح عند إمكان اختزال الفكرة التي يروم إبلاغها المتكلّم بملفوظات أقلّ من التي قدّمها لبيان فكرته. ومما يمكن أن يُدرج ضمن هذا الخرق، خطبة الإمام عليه السلام في التوحيد، التي قال

أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم:

ص ٦٤٤-٦٤٥.

(١) الزخرف: آية ٥٨.

(٢) يُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١١٥، فاخوري، عادل،

محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٣٠

فيها: «أيُّها الناس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يُضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير. استخلص الوجدانيّة والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائنٌ. لا منازع له في شيءٍ من أمره، ولا كفوء له يعادله، ولا ضدّ له ينازعه، ولا سمّي له يشابهه، ولا مثل له يشاكله. لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنهه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنّه ليس له في الأشياء عدل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم، إلّا بالتحقيق إيقاناً بالغيب؛ لأنّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد...»^(١).

إذ تكمن غاية الخرق في جذب انتباه المتلقّي والتأكيد عن فكرته التي مفادها (نفي تشبيه الله - سبحانه - بمخلوقاته).

ومّا يقارب ذلك - أيضاً - وصف الله سبحانه في جوابه على سؤال نافع بن الأزرق، إذ قال: «يا نافع، إنّ من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس، سائلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالّاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يا ابن الأزرق، أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه: لا يدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلّا هو الكبير المتعال»^(٢).

(١) ابن شعبة الحراني، الحسين بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ١٧٣-١٧٤، ويُنظر:

موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، معهد باقر العلوم: ص ٦٣٩-٦٤٠.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٨٣-١٨٤. ويُنظر: الأمين،

محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، معهد باقر العلوم:

ص ٦٤٤.

فكانت غاية الإمام عليه السلام من هذا الإطناب هي (نهي ابن الأزرقي عن قياس الخالق بالخلق). وما يعلّل الإطالة في هذين الخطابين ما للأمر من أهميّة، إذ يعدّ التوحيد أصلاً عقدياً مشتركاً بين كلّ الأديان والمذاهب التي تدّعي مصدريّتها من الله - سبحانه - بل هو أمر فطريّ، ومن هنا تتأتّى أهمّيّته بوصفه أصلاً متّفقاً عليه، وإن اختلف في حيثيّاته وشؤونه، وبذلك يكون التوحيد من أكثر الأصول إجماعاً عليه، وفي الوقت نفسه اختلافاً في ماهيّته، وهو - التوحيد - في اصطلاح المتكلّمين اسم للعلم الذي يبحث فيه عن الله تعالى وصفاته وأفعاله، والناس في كلّ من المباحث الثلاثة ثلاثة: ففي مبحث إثبات الصانع ذهب فرقة إلى الإبطال، وفرقة إلى التشبيه والتجسيم، وفرقة على أنّه تعالى ثابت موجود بلا تشبيه، وفي مبحث الصفات فرقة إلى زيادة الصفات على الذات في الحقيقة كالأشاعرة، وفرقة إلى سلبها عنها ونيابة الذات عن الصفات كالمعتزلة، وآخرون إلى أنّ ذاته تعالى مطابق كلّ من صفاته، وفي مبحث الأفعال فرقة إلى الجبر، وأخرى إلى التفويض، وآخرون إلى أمر بين أمرين، وهذا الاختلاف فيه ليس مصدره (صاحب الدين أو الرسالة)، وإنّما هي آراء البشر وأهواؤهم^(١)، ولعلّ ذلك جعل الإمام عليه السلام يطيل بخطابه مع ابن الأزرقي - في النص الثاني - متعرّضاً للتوحيد إجمالاً وتفصيلاً؛ لرفع إيهام أو دفع شبهة، فعرض فكرته بهذا الأسلوب؛ لبيّن صفة التوحيد ويظهرها على أتم وجه للناس، فاستلزم بهذا الخرق التوضيح والإبانة.

ج - الانزياح التركيبي بين رتبة الملفوظ:

مما يقارب خرق هذه القاعدة في عدم تحرّي الانتظام في تقديم الملفوظات، تلك الخطب التي تتضمّن انزياحات في النمط التركيبي المعروف بـ (التقديم والتأخير)

(١) يُنظر: الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ٢٢.

أي: جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها، لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة^(١)، إذ يجرون اللفظ بحسب العناية والاهتمام «وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهائم ويعنيهم»^(٢) كما هو باب كثير الفوائد جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا زال يفرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطفه، وهو تحويل اللفظ عن مكان إلى مكان^(٣)، ويخرج هذا الخرق إلى مقاصد كثيرة، نذكر منها:

١ - التوكيد:

يقارب هذا الخرق ما جاء في كلام الإمام عليه السلام مع مروان بن الحكم في مجلس الوليد، إذ قال: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت - والله - وأثمت، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً»^(٤).

فقدّم المقسم عليه على المقسم به (الله) وقدّم المفعول به (ذلك) على الفاعل (أحد) وبذلك خرق قاعدة الطريقة - لترتب كلامك - ويستلزم من هذا الخرق: هو إعطاء الكذب عند هذا الرجل - مروان - توكيداً أقوى وأكثر وقعاً في النفس من التوكيد بصورة القسم المتعارفة ؛ ذلك أن من أغراض القسم هو «توكيد الكلام وتقويته»^(٥)، فإذا قسمت على شيء فقد أكدته «والتلفظ به يفيد القوّة»^(٦)، وعند

(١) يُنظر: الصرصري البغدادي، سليمان بن عبد القوي، الإكسير في علم التفسير: ص ١٨٩.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ٣٤.

(٣) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١٠٦.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٤٠، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٢٩.

(٥) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ٤٥٤.

(٦) السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٤، ص ١٣٥.

خرق هذا الانتظام يستلزم تأكيد أقوى من التأكيد المتأني من السياق الطبيعي المتعارف من توكيد القسم نفسه - إذ يكمن الخرق في التقديم الحاصل في أسلوب القسم لا في القسم - وهذا يستلزم أن صفة (الكذب) ملازمة وطبيعية لهذا الرجل، وليست طارئة عليه.

٢ - التحقير:

يخرج التقديم لدلالة التحقير بمعية عوامل مقامية أيضاً، فلو عدنا إلى الخطاب السابق، وتحديداً عند قول الإمام عليه السلام: (أنت تقتلني) إذ قدّم الضمير (أنت) وسلط عليه الاستفهام بالهمزة المحذوفة وليس على الفعل، مما يستلزم أن المخاطب عاجز عن فعل هذا الأمر، كما يشيع التركيب الاستهانة بقدرة المخاطب، ويمكن توضيحه كالآتي:

- المعنى الحرفي: سؤال الإمام عليه السلام المخاطب: أنت تقتلني؟
- المعنى المستلزم: تهكم وإنكار لكلام المخاطب، أنك غير قادر على تنفيذ مثل هذا الأمر.

٣ - الاختصاص:

مما يقارب ذلك ما ورد في كلام الإمام عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة في كربلاء: «... وأنتم ابن حربٍ وأشياعهُ تعتمدون، وإيانا تخذلون، أجل والله، الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، ونبت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب، وأكلةً للغاصب»^(١)

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٠، ويُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٢٥، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٢٥٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٥١١-٥١٢.

فالمتكلم يظهر ما يضطرم في نفسه من مشاعر، ويلبسها الكلمات المناسبة، ثم يأتي بالكلام على غير نظامه ورتبة ألفاظه في الجملة، فيقدم ويؤخر حسب رتبة اللفظ وقدرته على تجسيد تلك الانفعالات، ثم يأتي ما تأخر منه عن رتبته ليوازن التركيب، ذلك أن «نظم الكلم بُني على حساب ترتيب المعاني في النفس، فهو نظم يعدّ فيه حال المنظوم بعضه مع بعض»^(١)، فقلوه: (أنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون) قدّم فيه الفاعل في المعنى، والمفعول في الكلام على الفعل (تعتمدون)، وكذلك (إيّانا نخذلون) ليستلزم هذا الخرق فائدة الاختصاص، إذ خصّص اعتمادهم ابن حرب وأشياعه، وخصّص خذلانهم لأهل البيت عليه السلام، وتحديدًا الإمام الحسين عليه السلام، كما قدّم شبه الجملة على الفاعل في متواليات ملفوظاته: (وشجت عليه عروركم، وتوارثته أصولكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم) فخصّص هذه الصفات بهم، والوشج: «من وشجت العروق والأعصاب اشتبكت، وكلّ شيء يشتبك، أي: تداخل وتشابك والتف»^(٢)، ويستلزم من ذلك تشابك عروقتهم وأطبائعهم على خذلان الأولياء والغدر بهم، وليس بخاف أن لتقديم (أنتم وابن حرب وأشياعهم) حسنًا وروعة ومأخذًا من القلوب، وهذه المزية لا تجدها إن أخرت فقلت: (تعتمدون ابن حرب وأشياعهم) فإنّك «ترى حالك حال من نقل الصورة المبهجة والنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الرتيب، والسبب في إن كان ذلك كذلك، هو أنّ للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً، لا سبيل إليه مع التأخير»^(٣)، وبيان هذا إنّنا وإن نفهم جملة المعنى ومحصوله أنّهم أصبحوا ملازمين

(١) أبرير، سميّة، مفاهيم لسانيّات النص في دلائل الإعجاز: ص ١٦٩.

(٢) ابن منظور الأفرريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٣٩٨.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٢٨٧. ويُنظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية: ص ٢٧٣.

ليزيد وأشياعه، وبالمقابل (يخذلون أهل البيت) وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، إلا أنَّ المعنى مع التقديم فيه فائدة أخرى، هو ما كان ينبغي لكم اعتماد الباطل واتباع أعوانهم ونبد الحقَّ وخذلان أهله، وبهذا يستلزم التقديم والتأخير بنية وظيفية عميقة، هو الإنكار عليهم مناصرة الباطل واتباعه وترك الحقَّ ومحاربة أهله، وبذلك تميّزت المعاني الصريحة من المعاني الضمنية التي اقترحها غرايس تنميّطاً للعبارات اللغوية.

الفصل الثاني

متضمنات القول : *Les Implicates*

المبحث الأول : الافتراض المسبق *Supposition.Pre*

المبحث الثاني : الأقوال المضمرة

توطئة

يشير فان دايك إلى وجوب تخصيص التداولية للجانب العملي أو الإجرائي الذي يتأسس على قوانين اللسان وآثارها في وضع المنطوقات وتأويلها؛ لأنّ التداولية تدرس العلاقة بين اللغة ومستعملها، وعليها الإسهام في تحليل شروط مقبولة المنطوقات في ظرف معيّن، وسط ناطقي اللغة^(١).

يوظف مستعمل اللغة عند التواصل إمكاناته اللغوية وغير اللغوية في إنتاج خطابه، وهو مشحون بكثافة مقصديّة التي يودعها فيه، وبذلك يضرب صفحاً عن ذكر أمور وأفكار من صميم رسالته على افتراض أنّ مستمعه عارف بها، ولا تذكر هذه المعلومات، وتعامل على أنّها معروفة، و«تعدّ جزءاً ممّا يتمّ إيصاله دون قوله»^(٢)، فالمتكلّم كثيراً ما يقصد أكثر ممّا يقول، أي: يضمّن قوله أموراً لا يصرّح بها مباشرة، وهذا ما يطلق عليه في الدرس التداولي بـ (متضمّنات القول *les implicates*)، وهي «مفهوم تداولي إجرائي يتعلّق برصد جملة من الظواهر المتعلّقة بجوانب ضمنيّة وخفيّة من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»^(٣)، وقسّم أوستين متضمّنات القول إلى: «ما يؤدّي إليه، وما يفهم منه، وما يقتضيه»^(٤)، وعلى أثر أوستين يعرف سيرل الضمني على نحو أكثر وضوحاً بوصفه الشرط السياقي لنجاح أيّ عمل لغويّ، بيد أنّ سيرل لا يسمّيه ضمّنيّاً، بل (مفهوماً)

(١) يُنظر: امطوش، محمد، التداولية، مقاربات في المفهوم والتأصيل: ص ٢٨.

(٢) يول، جورج، التداولية: ص ٥١.

(٣) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٠.

(٤) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان: ص ١٤٥.

ويبدو هذا اللفظ الأخير يشمل ما يسمّيه أوستين: ما يفهم منه^(١)، إذ يلاحظ أنّ اللغات الطبيعية في خطابها اللغويّ قد تضمّر معاني، بجانب ما تشير إليه من معانٍ صريحة، في بنية اللغة، أو أنّ القول المنطوق به يدلّ على شيء، بينما يقصد قائله شيئاً آخر^(٢)، وبذلك فإنّ «كلّ عمل هو متضمّن بالقول حتّى الأخبار والتأكيدات»^(٣).

وقد برهن الفيلسوف البريطاني ستراوسن أنّ نظريّتي أوستين وغرايس تتكامل بسهولة، إذ ركّز أوستين على التأويل الصحيح للمقصد؛ لأنّه يحدّد العمل المتضمّن في القول، وأنّ العمل المتضمّن في القول لا يتحقّق إلّا عندما يقع إتمام المقصد المتضمّن في القول الذي يظهر عن طريق الأثر المترتب على القول، فيكون: (العمل = المقصد + الأثر التقبّل)، ويتعلّق نجاح هذا العمل في قسم منه بإظهار المتكلّم ملامح أسلوبية تسهّل على المتلقّي التعرّف على مقصده، لكنّها لا تحمل المتلقّي على الجزم القاطع بدقّتها، فقراءتها مرهونة بمؤشّرات سياقية، ولربّما تخلّي المتكلّم في محاولة منه تجنّب الفكرة التي أرسلها في خطابه، وأخيراً تصبح «عبثية كلّ محاولة تصنيف للضمنيات تصنيفاً استقصائياً دقيقاً؛ وذلك نظراً إلى تعدّد المعطيات الضمنية وتنوّعها، وهذا الموقف نعر عليه بكثرة عند تداولي اللغة العادية، ومنهم غوفمان الذي يقول: من البديهي أنّ الخطاب الشفويّ والمكتوب في سياق، له قدرة على افتراض كلّ شيء في العالم افتراضاً اجتماعياً، وهي كلّية يبدو أنّ ما تختاره. كتأويل أو قراءة للملفوظ - يشكّل مغامرة تخمينية بشكل ظاهريّ»^(٤).

وتأتي متضمّنات القول على نمطين، هما: الافتراض المسبق، والقول المضمر، إذ

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٦.

(٢) يُنظر: أزابيط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضماري: ج ١، ص ٣.

(٣) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ١٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٠.

يكون الخطاب قائماً على حيثيّات ومسلّمات ينطلق منها طرفا الخطاب في مشاركتهم الكلاميّة، ويتمّ في ضوئها توليد المعاني وبناء المقاصد التي تحتاج للوصول إليها وفهمها الاستعانة بذلك الرصيد الثقافي والمرجعيّات اللغويّة والفكريّة المشتركة بينهما، وهذه المتضمّنات بشقيّها، منها ما هو مركّوز في ذهن المتكلّم ومشار إليه في الملفوظات، ومنها ما هو مدلول عليه من مقام المحاورّة^(١).

وسيجتهد البحث في تفصيل كلا النوعين والتمثيل لهما من كلام الإمام الحسين عليه السلام، مفرداً لكلّ نمط منها مبحثاً مستقلاً.

(١) يُنظر: صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ٣٠، ٣٢.

المبحث الأول

الافتراض المسبق^(١) : *Supposition - Pre*

يعدّ الافتراض المسبق من أبرز المفاهيم التداوليّة، وذي أهميّة في كلّ تواصل لساني يعتمد على معطيات وافتراضات معترف بها بين المتخاطبين، لتحقيق النجاح في عمليّة التواصل^(٢)، ويُعرّف بأنّه «الخلفيّة التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في

(١) تُرجم مصطلح *pre-supposition* بترجمات كثيرة: فقد درج بعض الدارسين العرب على ترجمة هذا المصطلح بالمعطيات، يقول (إبراهيم السامرائي): «المعطيات، مادّة جديدة، شاعت في كتابات الكتاب في عصرنا هذا في السنوات الأخيرة، وهي تقابل *Donnee* الفرنسية، أو قل ترجمة لها، والكلمة الفرنسية وإن كانت تتصل بمادّة (العطاء) من حيث الأصل، ولكنها بعيدة عن مدلول العطاء، إنّ الكلمة تعني المعلومات أو الأفكار التي تنجم عن قضية من القضايا»، التطوّر اللغوي التاريخي: ٢٣٨-٢٣٩، وتُرجم المصطلح أيضا بـ(الافتراض الضمني) يُنظر: علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، ٢٢٤، وبـ(الاضمارات التداولية) يُنظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ١١٤، وترجمه الدكتور عادل فاخوري بـ(الافتراض التداولي أي الاستسلاف) إذ يقول: «اخترنا الكلمة العربية المُجملة (الافتراض) ترجمة للمصطلحات الاجنبية: *pre-supposition* في الانكليزية والفرنسية و*Voraussetzung* في الألمانية، لأن دلالة هذه الكلمة هي من الشمول بحيث تستطيع أن تستوعب مختلف الظواهر اللغوية التي جرى معظم اللغويين على أدراجها تحت هذا الباب». فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٥. وتُرجم بـ(الافتراض السابق)، يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٢٦، والافتراض المسبق، يُنظر: صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ٣٠. وتعتمد الدراسة ترجمة مسعود صحراوي (الافتراض المسبق) بوصفها الأكثر انتشاراً بين الباحثين، والأقرب في دلالتها للمصطلح الأجنبي الذي تمثله، ويعتمد فيه على المعطيات المسبقة التي يتمّ الانطلاق منها والبناء عليها.

(٢) يُنظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ١٤١.

عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة^(١)، إذ «يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: أغلق النافذة، المفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مسوّغاً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الأمر، وكل ذلك مرهون بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب»^(٢)، وقيل هو «العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام هل، أو نفي لا»^(٣)، وترى أوركويوني: «أن المعلومات وإن لم يُفصَح عنها (غير مصرّح بها) فإنّها وبطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمّنّها أصلاً، بغضّ النظر عن خصوصية إطار الحديث الذي يتجلّى فيه»^(٤).

ظهرت الحاجة إلى مفهوم (الافتراض المسبق) عندما حاول الفلاسفة تفسير طبيعة الإحالة *Reference* في الألفاظ التي تحيل إلى مسميّات خارجيّة، كالأسماء والأوصاف العينية، في محاولة حلّ إشكالية مفادها: هل التراكيب التي تحتوي على هذه الأسماء والأوصاف، تخبر بالإضافة إلى المعنى الحرفي المباشر، بوجود شخص معيّن يحمل هذا الاسم، وبوجود شخص هو يتمتع بتلك الصفة، أم نفترض تقدير مثل هذا الوجود فقط؟ ومن ثمّ كيف يتمّ فهم هذه الجمل ونقلها من دائرة اللغة العادية إلى اللغة المنطقية الدقيقة؟

وأول من تصدّى لهذه المشكلة الفيلسوف الرياضي فريجه في بحثه (في المعنى والإحالة) عام ١٨٩٢، إذ ميّز بين الإخبار (الإثبات) والافتراض (التقدير)، وقدم تفسيراً يقضي بأنّ الملفوظات التي تشير إلى هذه الأسماء والأوصاف، هي قائمة على

(١) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٣١.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٢٦.

(٣) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ص ١١٣.

(٤) المصدر نفسه: ١١٤.

مجرد افتراض فقط، بأنها دالة على مسميات متحققة بالفعل^(١).

وأما أوستين «فلا يعتبر المشكل في طبيعة الصلة بين الحقيقة والمرجع، بل يتمثل المشكل عنده في مصداقية المقصد من القول»^(٢).

وقد اعتمد برتراند رسل^(٣) في عرضه تحليل هذه الظاهرة (الإحالة) ما يسمّى «بالأوصاف أو الرسوم المحددة: كـ (ملك فرنسا، وكليلة ودمنة)، فالجمل التي تحتوي على هذه الرسوم تمتلك - ولا ريب - معنى محدداً، وعليه - وفقاً لرسل - يجب أن تأخذ قيمة صدقية معينة، إذ يعدّ أنّ القضية التي لا تكون لا صادقة ولا كاذبة هي خالية من المعنى»^(٤)، بينما يجيز فريجه أن تكون القضية ذات معنى من دون أن تحيل إلى مرجع خارجي، لذلك كان لا بدّ لرسل أن يلجأ إلى تأويل للأوصاف الفردية، يُسهم في تعيين معنى الجملة، فبحسب تحليله، أنّ جملة: (ملك فرنسا أصلع) يجب تفصيلها إلى ثلاث قضايا على النحو الآتي:

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٧ - ٤٩، بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ٣٨-٤٠، ١١٩-١٢١.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ١٢٠.

(٣) برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠) ينحدر رسل من وسط النبلاء، واسمه الكامل برتراند آرثر وليام رسل، وهو رياضي وفيلسوف، درس في كمبريدج، وقد أرسى فلسفة منطقية، فواصل بذلك أعمال غ. فريجه والفيلسوف الرياضي الإيطالي ج. بيانو. وهكذا طوّر لغة رمزية صارمة، تخلو من التباسات اللغة العادية. واشتغل أيضاً على النظرية النسبية لإنشتاين، ولم يخش رسل رغم كونه يُعدّ ممثلاً بارزاً للفلسفة (التحليلية) البريطانية، من أن يضيف إلى تأملاته الفلسفية، مواقف أخلاقية وسياسية واجتماعية كانت تُعدّ فضيحة في عصره، وخسر منصبه في جامعة كمبريدج سنة ١٩١٦، وسجن سنة ١٩١٨ مدّة ستة أشهر لمناهضته للخدمة العسكرية، وهو ديمقراطي ليبرالي قريب من الاشتراكيين، وقف ضد المحرّمات الجنسية، وناضل من أجل السلام في العالم، وعارض وجود الأسلحة النووية. يُنظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ٣٢.

(١) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٥٠-٥١.

- ثمة شخص هو ملك فرنسا.

- هذا الشخص ينفرد وحده بالصفة المذكورة.

- هذا الشخص هو أصلع^(١).

وسادت نظرية الأوصاف في الفكر المنطقي - الفلسفي، زهاء نصف قرن، وقد لاقت نقداً شديداً من أوستين وسيرل، وهما بانتقادهما هذا يقفان مع رأي فريجه، إذ يريان أن الحالات ليست صحيحة ولا خاطئة ولكنها ناقصة، وأن غياب المرجع لا يجعل الجمل خاطئة، بل يجعل الإسناد لاغياً، فهي شبيهة وحالة أزمنة الفعل، فمنها ما يرد بزمان الماضي وإحالاته لم تتحقق على الواقع^(٢).

وجاء ستراوسن ١٩٥٠، ليشن هجوماً عنيفاً على التحليل المنطقي الذي جاء به رسل، ناعتاً إيّاه بالتافه والمبتذل، خالصاً إلى القول بأن لا قواعد أرسطو ولا قواعد رسل تعطي المنطق الدقيق لأية عبارة من عبارات اللغة العادية، إذ ليس للغة العادية من منطق دقيق، فبرأيه لا حاجة لنظرية الأوصاف لتبرير الإحالة في جملة (ملك فرنسا أصلع) هي ذات معنى عند عدم وجود هذا الملك، لأن تحليل رسل - بحسب ستراوسن - يفتقر إلى تمييز أساسي بين (الجملة) و(استعمال الجملة) فليست الجملة هي التي تقبل الصدق أو الكذب، بل استعمالها في سياق معين بقصد معين هو الذي يصدق أو يكذب، وعليه حتى تكون الجمل ذات معنى يكفي أن تكون قابلة لأن تستعمل لإصدار حكم صادق أو كاذب، فالافتراض بهذا المفهوم عنده هو نوع من الاستدلال القائم بين الأحكام، وهو بذلك يرتبط بقواعد عرفية منوطة

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٥١-٥٢.

(٢) يُنظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفان: ص ١٢١.

باللغة وثقافة المجتمع لفهم كيفية استعمال العبارات التي تحيل إلى أمور خارجية^(١). ومن أجل ذلك كانت دراسة الافتراض المسبق مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين؛ لما سببه من مشكلات حقيقية لكل النظريات التحويلية، ثم برزت إلى موقع الصدارة من اهتمام الباحثين في أوائل العقد الثامن، حيث أصبحت الواجهة التداولية في دراسة المعنى بديلاً لا غنى عنه للواجهة الدلالية^(٢).

ويرى الباحثون ضرورة التمييز بين نوعين من الافتراض المسبق، هما: المنطقي والتداولي، فالافتراض المنطقي مشروط بالصدق بين قضيتين اثنتين، أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصدق أو الكذب، فالقضية الأساس يمكن أن تنفى دون أن تؤثر في الافتراض المسبق^(٣).

ونظراً لكون الافتراض المسبق ينتج من اللغة، فإن هناك ألفاظاً وتراكيب تحمل في طبيعتها تركيزاً معنوياً يظهر بطريقة الافتراض إلى المتلقي، وبذلك وفر - الافتراض المسبق - «إمكانية جديدة تتيح لهم توسيع اللغة المنطقية، بحيث تصبح أكثر قدرة على استيعاب ومقاربة اللغات الطبيعية»^(٤).

وكلام الإمام الحسين عليه السلام لا تخفى فيه تطبيقات هذه الظاهرة لما تميّزت به من اختزال الملفوظات والتعبير عن أمور لا يصرح بها، وتفهم من بنية اللغة، وهي تعدّ جزءاً من بلاغة المتكلم الذي يجعل متلقيه يقرّ بأمور وحجج ضمنية لا تذكر صراحة في الكلام، وإنما يعدّ التسليم بملفوظات معينة التسليم بما تشير إليه تلك

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٥٦-٥٥.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٢٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٧، يول، جورج، التداولية: ص ٥١-٥٢.

(٤) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٥٨.

الملفوظات في خلفياتها التواصلية التي انطلق منها الباث لتدبيج خطابه، ويمكن عرض تطبيقات الافتراض المسبق الواردة في كلام الإمام عليه السلام عن طريق: الافتراض المسبق في التراكيب الخبرية والإنشائية، مفرداً لكل نوع مطلباً بحسب الآتي:

المطلب الأول: الافتراض المسبق في بنية التراكيب (الخبرية)^(١)

للكلام معان ينشئها المتكلم في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا (الخبر) فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة، وفيه تكون المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة^(٢).

وقد يشتمل التركيب الخبري على عبارات وألفاظ تدل على معلوم مسبق بين المتحاورين، إذ يعتمد عليها المتكلم بوصفها القاسم المشترك بينه وبين مخاطبيه، فعند «ضمّ الكلمات وإسناد بعضها إلى بعض تتكوّن الجمل المفيدة أو الأخبار، والمتكلم الذي هو بصدد الإخبار والإعلام، يقصد بخبره غرضاً، ويسعى من وراء الإعلام به إلى غاية»^(٣)، وليس غرض البحث التفصيل بمفهوم الخبر وأغراضه بقدر الوقوف على طائفة من العبارات والألفاظ التي توحى بافتراضات مسبقة كامنة في طبيّات هذا الأسلوب، بمعيتها يخرج الخبر من (فائدة الخبر) إلى (لازم الفائدة)

(١) حصر البلاغيون أغراض الخبر في مقصدين أساسيين، حيث قالوا: إن قصد المخبر بخبره إمّا إفادة المخاطب أو السامع مضمون الخبر والحكم نفسه، كقوله: جاء علي، وزيد ناجح، لمن لا يعلم مجيء علي، ونجاح زيد، ويسمّى هذا (فائدة الخبر) وهي المقصد الأول من أسلوب الخبر، وليس هو المعنى بهذا المطلب، وإمّا إفادة المخاطب أنّه -أي: المتكلم- عالم بالحكم وبمضمون الخبر الذي يعلمه المخاطب، وذلك عندما يكون المخاطب عالماً بمضمون الخبر، ولكنه يجهل معرفة المتكلم به، وهذا يقترب من مفهوم (الافتراض المسبق) الذي نحن بصده في هذا المطلب، يُنظر: بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ص ٣٦.

(٢) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٥٢٨.

(٣) بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ص ٣٥.

لدواعٍ ومقاصد تشكّل الهدف من بثّ هذه الأخبار، وستقف الدراسة على نماذج من الافتراض المسبق التي تحملها بعض الوسائل النحويّة في كلام الإمام الحسين عليه السلام، وبحسب الآتي:

١- (ال) التعريف:

من بوارد (ال) التعريف في بيان الافتراض المسبق في الأساليب الخبريّة، ما ورد عن الإمام عليه السلام في خطبة له في مجلس معاوية، عندما تحدّث الأخير عن أمر الخلافة وبيعة ولده يزيد وذكر فضائل له، وطلب من الإمام عليه السلام وابن عباس البيعة له، فتيّسّر ابن عباس للكلام^(١)، فأشار إليه الإمام عليه السلام، وقام فحمد الله وصلى على الرسول ﷺ، ثمّ قال:

«أما بعد، يا معاوية فلن يؤدّي القائل وإن أطنب في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً، وقد فهمت ما لبيست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة، والتّنكب عن استبلاغ البيعة»^(٢)

إذ وسم سيبويه قدرة (ال) التعريف في اختزال معلومات مشتركة بين المتكلّم والمخاطب، وبذا تكون علامة على افتراضات مسبقة، أشبه بالعقد المبرم بين طرفين، ذلك؛ «لأنّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنّك إذا قلت: مررت برجلٍ، فإنّك إنّما زعمت أنّك مررت بواحدٍ ممّن يقع عليه هذا الاسم، لا

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٢١-٣٢٢.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٤، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٦، اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٢٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٢١-٣٢٢.

تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب. وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تُذكره رجلاً قد عرفته، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا؛ ليتوهم الذي كان عهدَه ما تذكر من أمره»^(١) ومثل هذا التعيين المسبق لـ (الرجل) بمعية (ال) يجري على بقية الأسماء والصفات^(٢)، التي توظف في طيات الكلام قاصداً منها المتكلم إشارةً إلى سابق معهود أو مبرم، له علاقة بمقام الحوار ومعزراً له ولأجل: «فهم الجملة الواحدة من الكلام تذهب في البحث عن طبيعة وضعها إنطلاقاً من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية»^(٣). ومثل ذلك: قول الإمام عليه السلام: (والتنكب عن استبلاغ البيعة) فذكر (البيعة) معرفة بـ (ال) يوحى بافتراض مسبق أنّ ثمة (بيعة) متفق عليها مع المخاطب، وهو يحاول الإخلال بها، وعدم تأديتها، إذ معنى التنكب من «نكب عن الشيء وعن الطريق ينكب نكباً، عدل، وتنكبه تنكباً، أي: عدل عنه واعتزله»^(٤)، والبلاغ «ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك. وبلغت الرسالة، والبلاغ الإبلاغ»^(٥)، وبذلك تشير (ال) التعريف إلى كلام مطوي قد سبق وقوعه بين المتكلم والمخاطب، ولو رجعنا إلى المواقف التي يشير إليها الحوار لوجدنا ما تشير إليه (ال) التعريف متمثلاً بمعاهدة الصلح التي أبرمها الإمام الحسن بحضور الإمام الحسين عليه السلام مع معاوية التي من بنودها:

- تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.
- ويكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده، فإن حدث به حدث فلا أخيه

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٥.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٧.

(٣) مرتاض، عبد الملك، نظرية النص الأدبي: ص ٤٠٣.

(٤) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٧٧٠.

(٥) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٤١٩.

الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد^(١).

- الافتراض المسبق: أن ثمة اتفاق على شؤون البيعة بينهم.

وبذلك وظّف المتكلم - الإمام عليه السلام - لبيان حقّه في الخلافة معلومات تعارف عليها وشهدها أبناء المجتمع، متمثلة بحدث مهم عُرف (بمعاهدة الصلح) مع معاوية، فشكّل الافتراض المسبق حجة استند عليها المتكلم في توجيه خطابه وفق استراتيجية توجيهية «تمثّل ضغطاً وتدخلًا، ولو بدرجات متفاوتة، على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معيّن»^(٢)، تمثّل في إبطال مدعى المخاطب - معاوية - الذي أخلّ بنود المعاهدة، محاولاً أخذ البيعة لولده يزيد.

٢. أداة الشرط الامتناعي^(٣) (لو)

وَسَمَ النَحْوِيُّونَ (لو) بِأَنَّهَا حَرْفٌ «لَمَّا كَانَ سَيَقَعُ لَوْقُوعٌ غَيْرُهُ»^(٤) وهي تفيد الامتناع، إذ (ما كان سيقع) يدلّ على أنّه لم يقع، «فإنّ كلّ من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردّد، ولهذا يصحّ في كل موضع استعملت فيه أن تعقبه بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً أو معنى، تقول: لو جاءني أكرمته لكنّه لم يجر»^(٥).

وجاء في الكلّيات: «والأصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (إن)، لأنّها لما لا

(١) يُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ١٨٣، جلال الدين السوطي، عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء: ج ١، ص ١٥، الصلابي، علي بن محمد، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، شخصيته وعصره: ص ١١، وما بعدها، شرف الدين، عبد الحسين، صلح الحسن عليه السلام: ج ١، ص ١٨.

(٢) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٢٣.

(٣) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٦٨.

(٤) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٤، ص ٢٢٤.

(٥) ابن هشام، عبد الله بن أحمد، مغني اللبيب: ص ٣٣٨.

جزم بوقوعه، ولا وقوعه، والمحال مقطوع بلا وقوعه»^(١)، واعتماداً على ذلك ينتج من استعمالها عدم تحقّق شرطها لامتناع الجزاء، فتستثمر مسلّمات مسكوت عنها إذا ما أطلقت علّم بعدم تحقّق مغزى ما صاحبها من تركيب، وقد وردت بهذا المعنى في كلام الإمام الحسين عليه السلام غداة اليوم الذي استشهد فيه، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال:

«عباد الله، اتقوا الدنيا وكونوا من الدنيا على حذر، فإنّ الدنيا لو بقيت لأحدٍ أو بقى عليها أحدٌ، كانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضى، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء»^(٢).

فتضمّنت الخطبة افتراضاً مسبقاً بعدم بقاء الدنيا لأحد، أو عدم بقاء أحد عليها، وبذلك لم يبقَ الأنبياء الذين هم خير مبعوثين لبني البشر، فلو ثمة خلود لكانوا هم أحقّ به، فجاء أسلوب الشرط ذا طابع إقناعي مكتنز بأبعاده التأثيريّة، القصد منها الوعظ والإرشاد.

وكلّ هذه الخصائص المكتنزة في اللغة وغيرها «هي ما ييسر مهمّة المرسل في إنتاج خطابه التوجيهي مسبقاً، وذلك من خلال توظيف المعرفة المسبقة بالمرسل إليه. وهذا ما يعطي الخطاب صبغته العامّة، ويمنحه صفة الديمومة، ومناسبته لكلّ وقت، بما يمنح المرسل إنتاج الخطاب والإبقاء عليه في مكان بارز؛ ليتجدّد بمجرّد ما يتلفّظ به المرسل إليه عند إعادة قراءته»^(٣)، ويمكن استجلاء شرط الافتراض المسبق بالصورة الآتية:

-
- (١) الحسيني، أيوب بن موسى، الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة: ص ٥١، ويُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٤، ص ٧٧.
- (٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٨. ويُنظر: ابن العديم العقيلي، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٥٨٦.
- (٣) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغويّة تداوليّة: ص ٣٢٣-٣٢٤.

- الافتراض المسبق: لم تبق الدنيا لأحد، ولم يبقَ عليها أحد، ومن ثمّ لم يبقَ عليها الأنبياء عليهم السلام.

ويتمّ هذا انطلاقاً من خصائص المرسل إليه المعروفة مسبقاً عن طريق المعرفة المسبقة بخصائص العالم المحيط بطرفي الخطاب^(١)، ومن هذه المعرفة المسبقة يفهم أنّ شرطها - الأداة لو - ممتنع لامتناع الجزاء، أي: أنّ امتناع الثاني دلّ على امتناع الأوّل؛ لأنّ (لو) موضوعة ليكون جزاؤها مقدّر الوجود في الماضي، والمقدّر الوجود في الماضي يكون ممتنعاً فيه، فيمتنع الشرط الذي هو ملزوم لأجل أمتناع لازمه، أي: الجزاء^(٢).

ومثال ذلك أيضاً قوله عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«ولو صبرتم على الأذى وتحملتُم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتُم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسرون في الشهوات»^(٣).

وهنا طبيعة الخطاب استهدفت متلقيّاً معيّناً، وهم المخاطبون آنذاك الحاضرون عند لحظة التلفّظ بالخطاب، وبذلك قد يكون التوجيه مختصّاً بهم من دون غيرهم؛ «لأنّ السياق الذي يدور فيه الخطاب هو سياق أضيق من السياق العام»^(٤) الذي

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ٣٢٣.

(٢) يُنظر: الاسترادي، رضى الدين، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٤٥١.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسين بن علي، تحف العقول: ص ١٦٨، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٧٩، وموسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٦.

(٤) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغويّة تداوليّة: ص ٣٢٤.

يستهدف متلقياً متخيلاً^(١)، وبذلك يكون الافتراض المسبق: لم يصبروا على الأذى وتحمل المؤونة في ذات الله، فتمكن الظلمة منهم، يظلمونهم ويغضبون حقهم، على وجه التوبيخ والتفريع.

٣. ظرف الزمان الماضي^(٢)

هو كلمة تدل على معنى عام، وهو الظرفية الزمانية، فالدلالة على الظرفية هي وظيفة الظروف، أو هي معناها المعبر عن العلاقات الزمانية، ولما كانت الظروف لا تدل على مسمى كما تدل الأسماء، ولا يسمّى بها شيء معين، فإن معناها ليس معجمياً، وإنما هو معنى وظيفي^(٣)، إذ تأتي ظروف الزمان لتمنّج الأحداث بأوقات حدوثها، فتوفّر لمتلقي الخطاب الدقة في معرفة الحدود الفاصلة لجزئيات الأخبار ونتائج الأفعال المثبوتة فيها، بمعنى أنّه - المخاطب - يعي وقت حدوث الفعل من عدمه استناداً إلى ميزتها، ويمكن الوقوف على لطائف الدوال الزمانية في بيان الافتراض المسبق في قول الإمام عليه السلام لعمر بن الخطاب حين احتجّ عليه، فأجاب عمر بقوله: يا حسين، من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله، أمرنا الناس فتأمّرنا، ولو أمّروا أباك

(١) يكون بناء الخطاب على وفق المرسل إليه، وهو أمّا يكون متلقياً متخيلاً، بما له من صورة نمطية في السياق، ممّا يؤكّد عدم حضوره العيني عند إنتاج الخطاب، أو يكون المرسل إليه حاضراً لحظة التلقّف بالخطاب، فيكون معروفاً عند المرسل معرفة جيّدة، وعليه يتراوح استعمال الأدوات والآليات اللغوية وفقاً لطبيعة المرسل إليه، إلا أنّ سياق النوع الأول - المرسل إليه المتخيل - يكون أعمّ من الثاني. يُنظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٢٣.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٦٥.

(٣) يُنظر: الساقى، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ص ٢٥٧-٢٥٨.

لأطعنا^(١)، فأجابه الإمام عليه السلام: «يا ابن الخطّاب، فأَيُّ (*) الناس أمرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبا بكر على نفسك ليؤمّرك على الناس بلا حجة من نبيّ، ولا رضا من آل محمد»^(٢).

فالظرف (قبل) من «الظروف المبهمة المفتقرة إلى الإضافة والمقيّدة لعلاقة بين أمرين صالحة لمعنى الزمان، أو معنى المكان، بحسب ما تضاف إليه»^(٣) وشغل هنا بحسب ما أضيف إليه (المصدر المؤوّل من أن والفعل) الوظيفة الزمانيّة، أي: (قبل وقت تأمير أبي بكر لك) فمثّل حداً مفصلياً بين قضيتين مترابطتين لولا الأولى - تأمير عمر بن الخطّاب لأبي بكر - لم تكن الثانية - تأمير أبي بكر لعمر^(٤) - وهذا الترابط جاء بعيداً عن المنهج الإسلامي المتداول الذي أشار إليه الإمام عليه السلام: (ليؤمّرك على الناس بلا حجة من نبيّ، ولا رضى من آل محمد) فكان حجة الإمام في الردّ على مخاطبه، تمثّل بيان موقف الناس من تأمير عمر بن الخطّاب ووصيّة أبي

-
- (١) يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٦٥.
- (*) تختزل (أي) هنا افتراضاً مسبقاً؛ لأنّ المستفهم عنه معرفة، وبه يكون المتكلّم عارف بالأمر، وإنّما جاء بأسلوب الاستفهام لغرض آخر غايته تقوية حجة المتكلّم، انطلاقاً من افتراض مسبق في طاقة اللغة. يُنظر: المقتضب: ج ٢، ص ٣٠٢.
- (٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٢٦٨-٢٦٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٥٠.
- (٣) الساقحي، فاضل مصطفی، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ص ٢٦٠.
- (٤) ومّا يؤكّد ذلك ما جاء في نهج البلاغة: «فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لسدّ ما تشطّراً ضرعيها، فصبرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة». ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ١٦٢، ويُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٧٣، الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ٢٨٤.

بكر له^(١)، واستناداً لقوة الظرف المختزلة عرفياً يمكن الافتراض مسبقاً أنّ الناس لم تؤمّر عمراً قبل أن يؤمّره أبو بكر على الناس.

الافتراض المسبق: لم يؤمّر الناس عمر بن الخطاب قبل تأميره أبا بكر.

أمّا إذا كان الظرف للاستقبال أو لمطلق التعليق الزماني فلا يصحّ افتراض أيّ تقدير^(٢).

(١) يُنظر: النقوي، حامد، خلاصة عبقات الأنوار: ج ٣، ص ٣٨١.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٦٦.

المطلب الثاني: الافتراض المسبق في التراكيب الإنشائية^(١)

الإنشاء الطلبي: «هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب»^(٢) وقد عني الدارسون بأساليب الإنشاء الطلبي، لما يمتلكه من اعتبارات وملاحظات بلاغية، ومن أساليبه: الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء، وقد ترد ويراد بها غير معانيها، فالأمر لطلب حصول الفعل وقد يرد للتهديد ونحوه، والاستفهام لطلب الفهم وقد يرد للإنكار وغيره...، فتلك الأساليب الطلبية يتولد منها بحسب المقام معان ومقاصد متعددة^(٣)، وتكون هذه المقاصد مبنية على افتراضات مسبقة، ينطلق منها منتج الخطاب؛ لتدبيح خطابه بمعان تتجاوز الوضع المتعارف التي اتسمت به هذه الأساليب، إذ إن «نظام اللغة هنا غير كاف لأداء هذه الوظائف أو إنجاز هذه الأفعال، فهناك بعض العناصر الهامة التي تعطي التوجيه قوته الإنجازية، منها سلطة المرسل وجهة المنفعة الإنجازية إمّا باتجاه المرسل أو باتجاه المرسل إليه»^(٤) والدراسة في هذا المقام تأتي لبيان هذه المسلمات أو الافتراضات المسبقة التي شكّلت منطلقاً

(١) ينقسم الإنشاء إلى قسمين: الأول: الإنشاء الطلبي، وهو محلّ الاهتمام في هذا المطلب من الدراسة، والآخر: الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة، منها: القسم وأفعال المدح والذم، والترجي...، وستقف الدراسة على نماذج من النوع الأول لما يتماشى وأغراض الدراسة ومنهجها. يُنظر: الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ج ١، ص ٢٢٤، وما بعدها.

(٢) الخطيب القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع: ص ١٣٥.
(٣) يُنظر: بسيوني، عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ج ٢، ص ٨٢-٨٣، الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ج ١، ص ٢٢٣.

(٤) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٢٤.

لتسويق الأفكار والمقاصد، وستقف الدراسة على نماذج من هذه الأساليب والتمثيل لها من كلام الإمام عليه السلام بحسب ما يسمح به مقام الدراسة وطبيعتها:

١- الاستفهام

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصّة، ومنها: الهمزة، وهل، ومن، وما، وكيف، وأين، وأيان، ومتى، وأنى، وأي...^(١)، وتظهر بعضها في متتاليات التراكيب يشير إلى افتراضات مسبقة، وهي كما مرّ تعدّ من التسهيلات التي يرقمها منتج الخطاب لبيان تلك المعلومات المطوية سلفاً، ومن ذلك ما جاء في كلام الإمام عليه السلام مع مروان بن الحكم في مجلس الوليد، إذ قال:

«ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت - والله - وأثمت، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً»^(٢).

إذ دخلت همزة الاستفهام المحذوفة على الفاعل (في المعنى) لا الفعل المضارع (أنت تقتلني...؟) على افتراض عجز الفاعل من تحقّق الفعل على وجه (الإنكار والعجز)، وهذا مبني على بعد تداولي ينقل الأسلوب من دائرة الإنشاء إلى حيّز الخبر المسلّم به، بوصفه معلوماً لدى المتخاطبين: عجز الفاعل عن إثبات هذا الأمر^(٣)، وقد تكلم

(١) يُنظر: بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغيّة ونقدية لمسائل المعاني: ص ١، ص ١١٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٤٠، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٢٩، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٧٨.

(٣) إذ ثمة مواقف تفصح عن هذا الافتراض المسبق، منها على سبيل المثال: قال مروان بن الحكم يوماً للحسين عليه السلام: لولا فخركم بفاطمة بما كنتم تفخرون علينا؟ فوثب الحسين عليه السلام، فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه، ثم تركه، ثم أقبل على جماعة من قريش

اللغويّون على دخول أداة الاستفهام على الفاعل وعدّوا: «المسؤول عنه بها هو ما يليها»^(١)، قال الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): «فإن بدأت بالاسم فقلت: (أأنت تفعل) كنت وجّهت الإنكار إلى نفس المذكور، وأبّيت أن يكون بموضع أن يجيء منه الفعل، ومَن يجيء منه، وأن يكون بتلك المثابة، على جعله لا يكون منه الفعل للعجز ولأنّه ليس في وسعه»^(٢)، والغرض منه أن يتنبّه المخاطب حتّى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعبى بالجواب، إذ إنّّه ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: (فافعل) كما جاء في سياق الخطاب (وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً) «يفضحه ذلك القول بإظهار عجزه للعيان»^(٣).

إذاً دخول همزة الاستفهام على فاعل الفعل المضارع ينتج تركيباً مبنياً على افتراض مسبق بعدم قدرة الفاعل على تحقيق الفعل ووقوعه، وهذا الافتراض المسبق المشار إليه بالاستفهام معلوم لدى المخاطب أيضاً، وبذلك يستبعد أن يكون مروان قادراً على قتل الإمام عليه السلام، وأظهر ذلك تركيب أسلوب الاستفهام والمقام أو علاقة المتكلّم بالمخاطب.

- فيكون الافتراض المسبق: عدم وقوع فعل القتل منه.

فقال: أنشدكم بالله إلّا صدقتموني إن صدقت، أنعلمون أنّ في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله ﷺ مني ومن أخي، قالوا: اللهم لا، قال: وإني لا أعلم في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه طريد رسول الله ﷺ، فمن كانت هذه سيرته بين الناس عامّة والمتخاطبين هنا خاصّة يكون عجزه مسلماً به، مسكوتاً عنه، مفترضاً مسبقاً عندهما. يُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٩، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٠٣، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٨٦.

(١) الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ج ١، ص ٢٢٣.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١١٩.

ومتّما تقدّم تحقّق الافتراض من أسلوب الاستفهام، إذ دخل على الاسم الذي هو فاعل بالمعنى، أمّا إذا دخلت (همزة) الاستفهام على الفعل كما جاء في خطبته عليه السلام في الحج، بعد أن اجتمع له بنو هاشم وأنصاره، ثمّ أرسل رسلاً، لا تدعوا أحداً ممن حجّ العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلّا اجمعوهم لي، فاجتمع له بمئى أكثر من سبعمائة رجل، عامّتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله (١)، فقام عليه السلام فيهم خطيباً، إذ قال:

«أنشدكم الله أتعلمون أنّ عليّاً بن أبي طالب كان أخى رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه، فأخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخى وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى موضع مسجده ومنازله فابتنه، ثمّ ابتنى فيه عشرة منازل، تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثمّ سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلّم في ذلك من تكلم، فقال: ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه.

أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدیر خمّ، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟ قالوا نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخر خطبة خطبها: إني تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا؟، قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهم نعم» (٢).

(١) يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٠.

(٢) البحراني، يوسف بن أحمد، الدرر النجفيّة من الملتقطات اليوسفيّة: ج ٣، ص ٤٠٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٠.

والخطبة طويلة لم يترك فيها عليه السلام آية ولا حديثاً نبوياً إلا استشهد به وساقه في بيان حقهم عليه السلام، وقد وظف الإمام عليه السلام في طيّات خطابه أموراً تعدّ من المسلّمات، فإذا ما أقرّ بها المخاطب ترتّب على وفقها إقراره بحقهم المغيّب، ويتوجّب على المخاطبين - عندها - طاعتهم ونصرتهم، وإن أعرضوا عنهم كانوا من الخاسرين الذين تخلفوا عن أولى العلم الذين فرض الله - سبحانه - طاعتهم، لما فيهم من نجاة الأمة، وعوداً على بدءٍ كان الاستفهام من بين الأساليب التي تألّقت في توفير طاقة معلوماتية مسبقة، انطلق منها الإمام عليه السلام لإثبات حقهم وتذكير المخاطبين بها، كما هو واضح في موضع الشاهد بقوله: (أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خم...) إذ دخل حرف الاستفهام (الهمزة) على الفعل المضارع مباشرة، فتبلور من هذا الأسلوب افتراض مسبق هو أن يقرّ المخاطب بعلمه بالخبر وأنّه - الخبر - كائن ومتحقّق، «أي: تقرير المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه»^(١) وفي ذلك يقول الجرجاني: «فإذا قلت: (أفعل؟) فكان المعنى على أنّك أردت أن تقرّره بفعل هو يفعله»^(٢)، لذا جاء إقرارهم بالعلم في مجريات الأحداث التي ذكرها، ويفترض مسبقاً أنّ المتكلّم يتمتع بالسلطة التي تؤهّله لأن يجتمع له الصحابة والتابعون، وعلمهم بمكانته، وما يترتّب من واجب عليهم تجاهه.

فالافتراض المسبق: نصّب الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام يوم غدير خم خليفة له على المسلمين.

٢- أسلوب الأمر

ينتج أسلوب الأمر افتراضاً مسبقاً، بوصفه - في أحيان كثيرة - مبنياً على

(١) المصري المالكي، حسين بن قاسم، الجنى الداني: ص ٣٢.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١١٩.

معلومات مُسلّم بها عند المتخاطِبَيْن، فينطلق منها الباث، آمراً متلقّيه الأخذ بها، أو الالتزام بمعطياتها، ثمّ يضرب صفحاً عن تفاصيل هذه المعلومات المشتركة بينهم على افتراض أنّها معلومة لدى مخاطبه، فتوفّر للمتكلّم جانباً من الاقتصاد اللغوي الذي يجنبه الإطناب أو الإطالة، وله تأثير أوقع في النفس من التصريح، ومن ذلك ما جاء في كلامه ﷺ مع عمر بن الخطّاب عندما سمعه يقول على المنبر: إنّهُ «أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(١) فقال له ﷺ:

«انزل... عن منبر أبي رسول الله ﷺ لا منبر أبيك»^(٢)،

ففعّل الأمر (انزل) الصادر من المتكلّم يؤشّر افتراضاً مسبقاً: أنّ المتكلّم يمتلك السلطة التي تؤهّله لأن يأمر مخاطبه، وهو مستند - المتكلّم - إلى افتراضات تداوليّة مشتركة بينه وبين متلقّيه، تؤطّر مقام الخطاب، وتكشف عن علاقته بالمنبر الذي هو رمز الخلافة، وبذلك حمل المتكلّم مخاطبيه إلى جملة حقائق مفترضة مسبقاً، تطلّب مقام الخطاب من المتلقّين الرجوع لها في أنفسهم، واستيقان دقّة متكلّمهم.

وللثقافة المشتركة بين أبناء المجتمع دور في بيان اضطرابات بعض البنى التركيبيّة التي تشير إلى أبعاد تداوليّة مسكوت عنها في طيّات الكلام، والكلام «لا يعني تعويض كلّ فكرة بكلمة، وإنّما يعني أنّ إنشاء الكلام يتمّ من تجربة التواصل»^(٣)، وبها يتمّ فهم مقصديّة توظيف كلمة (أبي) المعنويّة بدلاً من (جدي) الماديّة، ويتّضح قصد قوله ﷺ من: (لا منبر أبيك)، ولولا الخلفيّة التواصليّة المُسلّم بها على وجه

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٧١.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٧١، ويُنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٨٥.

(٣) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نتغيّر، مقارنة تداوليّة معرفيّة، آليات التواصل والحجاج: ص ٤٦.

الافتراض بين المتخاطبين لما أمكن الولوج في هكذا مسلّمات إنجازيّة، فالحسين عليه السلام عندما ذكر لفظة (أبي) في هذا المقام مضافة إلى رسول الله ﷺ يفترض مسبقاً عليه السلام أنّ عمر بن الخطّاب يعلم ما تداول بين المسلمين من أقوال الرسول ﷺ فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام، ومن تلك الأقوال قوله عليه السلام في الحسن والحسين عليهما السلام: «هذان ابناي، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(١)، وقوله عليه السلام: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٢)، ونحوها^(٣). وهي مفترضة مسبقاً بين المسلمين الذين يعلمون أنّ النبي محمد ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٤)، وبذلك يؤشّر قول الإمام عليه السلام افتراضاً مسبقاً مفاده: إنّ أهل المنبر وورثته الشرعيّون، ويمكن بيانه - أي: الافتراض المسبق - على الأسلوب الدارج:

- الافتراض المسبق: المنبر لأبي رسول الله ﷺ

وبذلك يتضح للبحث أنّ الافتراض المسبق يلج في القوّة الإنجازيّة المتضمّنة في القول بما يوظفه من تراكيب إنشائيّة ذات تأثير فاعل في العمليّة التواصلية لينتج

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير: ج ٦، ص ١١٥؛ ويُنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٨٤؛ ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٥١.

(٢) الترمذي، الجامع الكبير، الجامع الكبير: ج ٦، ص ١١٨.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ١١٥-١٢١.

(٤) الأحزاب: ٦.

فعلاً قولياً، فضلاً عن الدور التأسيسي الذي يُبنى عليه الكلام، وإذا ما أنعمنا النظر نجده يكشف عن قصد المتكلم وإن «تعارض مع السياق غير اللفظي، أي: الخارجي، من وقائع ومواقف ومعتقدات...، يأخذ بها المخاطبون، وكذلك قد يتعاون السياق اللفظي مع المقاصد والمواقف على إبطال الافتراض»^(١) وتوجيهه وجهة إنجارية تخدم قصد المتكلم، كما في قول الإمام عليه السلام: (لا منبر أبيك) فإن الثقافة الاجتماعية المتداولة بين المسلمين أن أبا المخاطب لا يمتلك منبراً، وبذلك يكون المتكلم وظف المعلومات المفترضة مسبقاً بين أبناء المجتمع لنفي كون المخاطب يمتلك هذا المنبر، أو يكون ممن له الحق به، وهنا يتضح لدى المتلقين أن الكلام (لا منبر أبيك) خرج للتعريض بالمخاطب، ويلغي الافتراض المسبق بأن يكون لأبي المخاطب منبر.

ونلمس كذلك افتراضاً مسبقاً آخر بُني عليه فعل الأمر (جدّوا) في خطبة للإمام عليه السلام بجيش العراق يوم صفين بعد فتنة التحكيم، جاء فيها:

«يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، الشّعار دون الدّثار»^(٢)، جدّوا في إحياء ما دُئِرَ بينكم، وإسهال ما توعّر عليكم، وألفة ما ذاع منكم...»^(٣).

إذ اختزل عليه السلام جملة أمور وأحداث مفترضة مسبقاً في كلامه، وباشر بها بعدها وهو الأهم، فراه شمّر لرفع الهمم، وإعادة تنظيمهم واستعدادهم وطاعتهم

(١) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٧١.

(٢) هذا مثل يُضرب للمُختَصّ بك العالم بِدُخْلَةِ أَمْرِكَ. والشّعار من الثياب: ما يَلِي الجَسَدَ، والدّثار: ما يُلبَسُ في فوقه. يُنظر: النيسابوري الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٤٠٠، الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس: ج ١٢، ص ١٨٩.

(٣) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١١٤-١١٥؛ ويُنظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العريّة الزاهرة: ج ١، ص ٣٢٥، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٠.

لقائدهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولو استنطقنا المعاجم في معنى (جدُّوا) لوجدناه بمعنى اجتهدوا وثابروا في تحصيل أموركم التي فيها صلاحكم إذ، و«دثر: أصل واحد وهو تضاعف شيء وتناضده بعضه على بعض، فالدَّثر: المال الكثير، والدثار: ما تدثر به الإنسان»^(١)، ولو عدنا إلى مقام الخطاب الذي سبقت فيه هذه الخطبة لوجدناه مقاماً مضطرباً بالجدال والانقسام، إثر حادثة التحكيم التي انقسم بإزائها جيش الإمام علي عليه السلام على قسمين: قسم معارض للتحكيم، ويرى فيه مكيدة دبّرها آل أمية، وقسم يرى فيه حقناً للدماء، فجاء كلام الإمام الحسين عليه السلام بهدف بيان كياسة أبيه في القيادة مقابل تسرعهم وحكمهم على ظاهر القول وقبول فكرة التحكيم^(٢)، وقد اختزل المتكلم - الإمام عليه السلام - هذه المعلومات والخلافات اعتماداً على المعرفة المسلمة بين المتلقين، وأوجز بأسلوب الأمر هدف خطابه بمعية الظواهر التركيبية المساندة من توكيد وغيرها، ويمكن بيان الافتراض المسبق بالآتي:

- الافتراض المسبق: ثمة ما دثر بينهم، وتوعّر عليهم، أي: هناك نزاع ونقاشات كثيرة وخطرة (متوعرة) بينهم، إثر حادثة التحكيم التي لجأ إليها معاوية وعمرو بن العاص، بعد أن أوشكوا أن يهزموا في صفين. وقد وُظفَ الافتراض المسبق في خطب الإمام عليه السلام للنصح والإرشاد والإصلاح، ذلك بأنّه ينطلق من قواسم مشتركة يركز عليها منتج الخطاب؛ لبيت مقاصده وهو متعلّق «بالبنى السطحية، سواء من حيث اللفظ أو من حيث

(١) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٣٢٨، مادّة (دثر).

(٢) للاستزادة يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١١٢، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٦٦٧، أبو الفداء، إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ١٧٧.

التركيب»^(١)، ومنه ما جاء في خطبة الإمام علي عليه السلام مع جيش يزيد في كربلاء، فلما دنا منه القوم ركب راحلته، ثم نادى بأعلى صوته، دعاء يسمعه جلّ الناس:

«أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما هو حقّ لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتُم قولي، واعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد»^(٢)

فلما سمعت أخواته كلامه هذا بكين، وبكت بناته، فأرسل إليهن أخاه العباس وابنه علياً عليهما السلام لإسكاتهن، فلما سكتن، حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على محمد وآله وصحبه وسلم، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره، قال أبو مخنف: فوالله، ما سمعت متكلماً قط...، أبلغ في منطقه منه^(٣)، ثم قال عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ، فانسبوني فانظروا من أنا، ثُمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يجلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟»^(٤).

فقوله عليه السلام: (اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما هو حقّ لكم عليّ) يشير إلى افتراض مسبق، بأنهم كانوا يحاولون أن يقطعوا خطابه (اسمعوا قولي ولا تعجلوني)، ويكشف مخاوفهم من تأثير خطب الإمام علي عليه السلام بأفراد الجيش، لذا يحاولون مقاطعة خطابه بشتّى الوسائل^(٥)، وهذا إن يدلّ إنّما يدلّ على سرعة انقلاب القوم على أعقابهم بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فأَيّ مودّة أفشوها في ذريته إذ يمنعه حتى من نصّحهم وإرشادهم إلى ما فيه خلاصهم.

(١) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٦٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٤.

(٣) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٤.

(٤) المصدر نفسه: ٥٤٢٤.

(١) يُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣٥٩.

ويتضح من التركيب الإنشائي بصيغة الأمر وما جاء معه، أن لهم حقاً على الإمام عليه السلام، وهذا يفترض مسبقاً معرفتهم وإقرارهم به عليه السلام أنه الإمام المفترض الطاعة، وما هذا الحق إلا حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان هدف خروجه؛ إذ قال: «وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُريدُ أَنْ أَمُرَّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(١)،

فكان خطابه معهم منطلقاً من مركزية موقعه بوصفه الخليفة الشرعي لرسول الله ﷺ، والإمام الذي تحتاج له الأمة ولا يحتاج لها، وهذا مستقرّ عندهم معرفته ومسلّم به، ويؤكد ذلك ما جاء في تنمة خطبته عليه السلام معهم، إذ جعلهم يعودون إلى أنفسهم ويستنتقونها عن عظمة من يطلبون قتله، وهذا الطلب بطبيعة الحال لا يكون إلا إذا كان المخاطبون عارفين بحرمة المتكلم ومكانته.

فعلى الرغم من سهولة الوقوف على الافتراض المسبق الذي يبنى عليه الكلام إلا أنه يشكل قوة إنجازية عالية ومكثفة في مثل هذه المواقف التواصلية؛ لأن السامع يكون قد سبق له ما ينوي أو ما يريد أن يقوله المتكلم، فالافتراضات المسبقة لا يصحّح بها المتكلمون، وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية^(٢).

ويمكن مقارنة الافتراض المسبق بأن: ثمة حق لهم عليه، وهو متمثل بواجب الإمام تجاه الرعية من: نصح وإرشاد، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر. ولتأكيد هذا الافتراض انطلق الإمام الحسين عليه السلام لمحاورة مخاطبيه، قائلاً:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩، ويُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٥٤.

(٢) يُنظر: دلاش، الجيلاني، مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص ٣٤.

(فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟!) إذ اشتملت بنية خطابه على طائفة من أفعال الأمر: فانسبونيفانظرواالارجعواعاتبوهافانظروا...، وهذه الأفعال قائمة على افتراض مسبق أنّ المخاطبين على علم بحسب المتكلم ونسبه، فضلاً عن مكانته السامية، وبإقرارهم هذا ثبت خروجهم عن جادة الصواب ومحاربتهم ابن بنت رسول الله، فاختزل بذلك بنية خطابه وأنتج: حواراً خارجياً متمثلاً بقوله (فانسبوني فانظروا من أنا) وهذا مبني على افتراض مسبق أنّهم يعلمون نسبه الشريف؛ إذ من المحال أن يسألهم أن ينسبوه دون تيقنه من معرفتهم به، ثم انتقل إلى حوار داخلي متمثل بين المخاطب ونفسه (ضميره) وهذا ينجلي بقوله ﷺ: (ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا...) وهذا يمثل قمة الثقة بالنفس، إذ جعل خصمه هو من يقرر أيحلّ له محاربته أم لا؟، ومن ثم يرسم الصورة المخزية التي اضطلع بها الجيش الذي خرج لقتال الإمام ﷺ، ثم يجعلهم بعد هذين البعدين أمام نتيجة رئيسة، وهي السؤال الإنكاري في قوله: (هل يحلّ لكم قتلي) وبذلك ألزمهم بالحجج والبراهين الواضحة التي يعلمون بحقيقتها وواقعيتها.

المبحث الثاني

الأقوال المضمرة

تعدّ الأقوال المضمرة «النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدّد على أساس معطيات لغويّة»^(١)، تقول أوركيني: «تضمّ طبقة المضمنات كلّ المعلومات القابلة للنقل عبر قول معيّن التي يبقى تفعيلها خاضعاً لبعض خاصّيات السياق التعبيري الأدائي»^(٢)، فالمخاطب أمام مُنتج - خطاب - لاتقف وظيفته عند معناه الشكلي، بل يحتوي على معلومات ضمنيّة، تنتظر تأمله الدقيق لتوليدها بمعونة المقام التواصل للخطاب، فتكون الأقوال المضمرة «محتويات ضمنيّة تداوليّة، أي: استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفّظ المشارك بفضل استدلال عفوي، إن قليلاً أو كثيراً، يعتمد على مبادئ - قوانين خطاب - تحكم النشاط الخطابي»^(٣)، فالّية المعنى تصنّف خطوة خطوة، المظاهر المختلفة للمسكوت عنه، وهي شروط أساسيّة للتلفّظ، وهذا التفكير يرتكز قبل كلّ شيء على نقد أولي للافتراضات النظريّة للغة المنظور إليها بوصفها شفرة^(٤)؛ لأنّ أيّ تواصل عبر اللغة يتقاسمه التصريح والتلويح، بمعنى أيّ خطاب يحمل إلى جانب دلالاته الحرفيّة عوالت ضمنيّة تسيّر بإزاء التعبير المباشر،

(١) صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ٣٢.

(٢) كاترين كيربرات - أوركيني، المضمّر: ص ٧٤.

(٣) مانغونو، دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ص ١١٩.

(٤) يُنظر: ماري آن بافو- جورج إلّا سرفاتي، النظريّة اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعيّة: ص ٣٧٨.

ولربّما تفوقه أهميّة في بعض المقامات؛ لأنّ كلّ دلالة تنشأ في قسم منها عن معطيات ضمنيّة، وغالباً ما يبدو الضمني أوفر نصيباً من التصريحي، بما في ذلك المستوى البسيط للمعنى الحرفي، فالضمني موجود حيثما نظرت، سواء تعلّق بالمعنى الحرفي أو بالقيمة اللاقولية، ذلك أنّنا لا نقول كلّ شيء، كما أنّنا نحتاج إلى الدخول في محادثات اجتماعيّة كي ننتج دلالة^(١).

ويحتل الضمني أهميّة متميّزة في الخطاب، بدءاً من تشكّله موضوعاً للسانيّات، وهذا منوط باليّة بناء المعنى في نشاط المتكلّمين، إذ إنّنا كثيراً ما نكون في حاجة إلى قول بعض الأشياء، وفي الوقت نفسه جعل الأمر كما لو أنّنا لم نقل شيئاً، أي: نقولها بطريقة نستطيع بها التراجع عن مسؤوليّة قولها^(٢)، و«عمّق أوستين تأمله لظاهرة الضمني عند فحصه مختلف الطرق التي يستلزم إخبار صحّة إخبارات أخرى، وذلك بمناسبة تأمله للإخفاقات وحالات عدم النجاح»^(٣).

وقد أولت التداوليّة عناية كبيرة بالبنى الإضراريّة في صلتها بعنصري المتكلّم والمخاطب، انطلاقاً من الاعتقاد بأنّ الخطاب يتوجّه من وإلى أحد الطرفين، آخذاً بعين الاعتبار طبيعة التفاعل اللساني وغير اللساني الذي يوجّه الكلام ويحدّد مساره، إذ يرى (ليتش) أنّه لا يمكن أن ندّعي فهمنا الكلام تداوليّاً من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به، خاصّة عنصري المتكلّم والمخاطب اللذين عدّهما ركنين لا غنى عنهما، ومظهرين مهمّين في الحالات التكلّميّة^(٤) «ومع ذلك

(١) يُنظر: بلانشيه، فيليب، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان: ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) يُنظر: ماري آن بافو- جورج إلّيا سرفاتي، النظريّة اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعيّة: ص ٣٧٨.

(٣) بلانشيه، فيليب، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان: ص ١٤٥.

(٤) يُنظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي: ص ١٣.

فالفهم يستلزم أكثر من فكّ شفرة الرسالة اللغوية، فهناك هوة بين التمثيل الدلالي للجمل والأفكار التي تعبّر عنها الملفوظات حقيقة، وهذه الهوة لا يتم تجاوزها بزيادة الأشفار، بل بالاستدلال^(١)، وثمة فروق بين الافتراض المسبق والقول المضمر، نوجزها بالآتي^(٢):

١. يتعلّق الافتراض المسبق بالمضمون الدلالي للجملة، بينما يتعلّق القول المضمر بالسياق التواصلي الذي قيلت فيه هذه الجملة، وهذا مبني على طريقة الاستدلال والكيفية التي يتوصّل بها إلى القصد، إذ ينبثق الافتراض المسبق من شفرة اللغة وعرفها المختزل، ويأتي القول المضمر ليفتح قراءات متعدّدة للنصّ تهدي في جلّها إلى مقصدية معيّنة، اعتماداً على المقام التواصلي، وهذا الفرق جاء لرسم الحدود الدقيقة بين مسارات الدرس التداولي التي تستثمر كلّ الإمكانيات المتاحة - لغوية وخارج لغوية - لفهم الكلام، ولكنّها في الحقيقة تعدّ وحدة متماسكة تستهدف قراءة دقيقة وناضجة للخطاب.

٢. لا يقبل الافتراض من الجملة النفي أو الاستفهام، بينما يمكننا أن ننفي القول المضمر، فقائمة الأقوال المضمرة وأن تعدّدت واقتربت من القصد، يمكن نفيها؛ لأنّها مبنية على ذوق المتلقّي ونظرته وإحاطته بعوامل المقام التخاطبي، وهي أسهمت بهدم القراءة الإضماريّة المستنتجة بكلّ بساطة.

(١) ماري آن بافو- جورج إليا سرفاتي، النظرية اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية: ص ٣٨٤.

(٢) يُنظر: طلحة، محمود، منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، دراسة في المبادئ التداولية: ص ١٣٩.

٣. الأساس في استخراج الافتراض متعلق بفهم مضمون الجملة، وخلفيتها التواصلية، وهذا ما يقوم به محلل الخطاب، بينما يتعلق أساس استخراج القول المضمّر بفهم المخاطب.

وللولوج إلى عمق المضمّر يلزم فك رموز الظاهر، وهذا يفترض إجادة كبيرة للغة واستعمالها وفنونها، وخاصة في قضية المضمّرات التداولية؛ لأنّها تعدّ مضمّرات قصديّة؛ لارتباطها باعتقادات المتكلّم وسبب تلفّظه، وهي بذلك توجد في مستوى أكثر عمقاً، لذلك يرى ديكر و أن ليس البحث عن الضمني في مستوى الملفوظ، امتداداً أو تتمّة، ولكن في مستوى أكثر عمقاً يكون شرطاً لوجود فعل الحديث، ومن هنا تعدّ كيفية اكتشاف المتكلّم للضمّني القصدي (أو المضمّرات التداولية) خطوة خطابية، وشكلاً من أشكال التحليل، ولكن هذا التحليل لا يتخذ فقط ملفوظاً واحداً؛ لأنّ المضمّرات مدرجة فيما قيل، ومن المستحيل تجاهل ما قيل، لذلك يركّز التحليل على الحديث الذي كوّن التلفّظ وعلى اختيار الملفوظ من المرسل في الوقت والظروف نفسها^(١).

ومن قديم وقف العرب على بلاغة الإيجاز، وعدّوه من لياقة اللغة؛ إذ «يُدلّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى»^(٢)، وهو - الإيجاز - من سمات اللسان العربي بوصفه «يميل إلى إيجاز العبارة وطيّ المعارف المشتركة طيّاً، اعتماداً على قدرة المخاطب في تدارك ما أضمّر في الكلام، وفي استحضار أدلّته السياقية، بل في إبداعها من عنده متى اقتضت ذلك حاجة الفهم، ومعلوم أنّه على قدر ما يأتي المتكلّم من

(١) يُنظر: خيار، نور الدين، الخطاب القصصي القرآني، دراسة أسلوبية تداولية، قصّة يوسف أنموذجاً: ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٤٦٣.

الإضمارات يأتي المستمع من الجهد في الفهم»^(١)، ولا يذهب ذلك هباء، «بل يعدّ من سمات المتلقّي المشارك في إنتاج المعنى، ونجاح عملية التواصل؛ لأنّ الأقوال المضمرة ومحتويات القول تستحقّ عناء الخوض في غمار تحليلها، مهما بلغت غرابة وضعها التقني»^(٢)، فيرتّب على المتلقّي مسؤولية تتبّع تلك المعاني إذا ما أراد توطيد أواصر التواصل عبر فكّ شفرة اللغة، وما يتطلبه من «حساب تأويلي مريب بدرجات متقاربة دائماً، كما أنّها لا تفعل حقّاً إلّا في ظروف معيّنة لا يسهل دائماً تحديد معالمها، ولكنها على ما يبدو قيم مدرجة حقيقة في القول، إذ لا نعدّها كلاماً فردياً صرفاً»^(٣)، بل تتعاون القرائن الحالية المتصلة بالمقام التخاطبي على الكشف عن هذه المضمّرات، وفي حالة عدم توفّر تلك القرائن يقتصر وجود هذه المضمّانات على شكل افتراضيات كامنة تنتظر من يستجليها»^(٤).

وكلام الإمام الحسين عليه السلام مكتنز بأقوال مضمرة، ولاسيّما في بداية مسيرته الإصلاحية ومقارعة الظلم في المدينة ومكّة؛ إذ يتطلّب منه المقام موادعة أقوال مضمرة في بنية كلامه، يشمّر عن بيانها المقام التخاطبي لمن يدقّ النظر في استجلائها، ولا نقول إنّ هذا الأسلوب يمدّ المتكلّم حصانة عدم المواجهة المبكّرة مع الأعداء بقدر إشباع بنية الخطاب بأبعاد معنوية تجعل النصّ صالحاً للاستنتاج في أيّ وقت وباختلاف قدرات المتلقّين، قريباً وبعداً من تاريخ إنتاج الخطاب، وستعمل الدراسة مقارنة تأملية قارئة لما اشتمل عليه كلامه عليه السلام من أقوال مضمرة على وفق قراءة موضوعية لمستوى الخطاب الداخلي والمقام التخاطبي الحاف

(١) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان: ص ١١٢.

(٢) كاترين كيربات _ أوريكيني، المضمّر: ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ص ٧٦-٧٧.

بإنتاجه، وهذه القراءة تأتي بحسب المنهج التداولي بعيدة عن الجزم القاطع بأنّ ما يتمّ استنتاجه هو ما قصده الإمام عليه السلام لا غير، وإنّما مقارنة على وفق رؤية علميّة منهجيّة تتوخّى الوصول إلى المعاني المضمرة في طيّات كلامه عليه السلام، ويمكن عرض الأقوال المضمرة في كلام الإمام الحسين عليه السلام في مطلبين:

المطلب الأوّل: مضمّرات فضل الإمامة، وصفات الخليفة الشرعي.

المطلب الثاني: مضمّرات عالميّة الثورة الحسينيّة، وأبعادها العباديّة.

المطلب الأول: مضمورات فضل الإمامة، وصفات الخليفة الشرعي

أولاً: فضل الإمامة

الإمام في اللغة من قولهم: (أمم)، ومنه «أَمَّ القومَ وَأَمَّ بِهِمْ: تقدّمهم، وَهِيَ الإمامة. والإمام: كُلُّ مَنْ اتَّخَذَ بِهِ قَوْمٌ كَانُوا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَوْ كَانُوا ضَالِّينَ...، وسيُدنّا رسولُ الله ﷺ إِمَاماً أُمَّتِهِ، وَعَلَيْهِمْ جَمِيعاً الْإِثْمُ بِسُنَّتِهِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا»^(١).

وخير مَنْ تَمَثَّلَ سُنَّتُهُ ﷺ هم ورثته من أهل بيته ﷺ الذين عاشوا مصداقاً لتجليات النبوة، ومعدن الرسالة، فهم أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون، ومن ثمّ كان جديراً بالأنام أن يقتدوا بهم، ويقدموهم، ولا يتقدموهم؛ لأنّ الإمام هو من يقصده الناس في التوجّه والعمل^(٢)، أي: الالتزام بأوامرهم والكفّ عن نواهيهم، وما يدور في هذا المطاف ما جاء من قوله ﷺ عندما وفد إليه نفر من المسلمين يستفهمون عن مقام حبّهم أهل البيت ﷺ، فأجابهم:

«مَنْ أَحَبَّنَا لَمْ يُحِبَّنَا لِقَرَابَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَلَا لِمَعْرُوفٍ أَسَدَيْنَاهُ إِلَيْهِ، إِنَّمَا أَحَبَّنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ مَعَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَاتَيْنِ»^(٣)، وقرن بين سبّابته، فالحبّ المندوب المبتغى عند أهل البيت ﷺ هو الذي يحتلّ مكانة إلهية ونبوية عظيمة بعد أن قيده بأداة الحصر (إنّما) التي جعلته مشروطاً (لله ورسوله) وسبباً في نيل الجزاء المكتوب، ومن ثمّ أصبح غرضاً رئيساً للكلام، لذا نلحظ الإمام ﷺ قد أقام علاقة القرب بين

(١) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٤، مادة (أمم).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ج ١٢، ص ٢٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ١٢٨، ويُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ، معهد باقر العلوم: ج ١، ٢٨٥.

مَنْ يتَحَقَّق فيهِ هذا الحُبَّ وبين مقامهم عليه السلام عبر كاف التشبيه والإشارة التداولية إلى سبَابَتِهِ المَبَارَكَتَيْنِ (كَهَاتَيْنِ)^(١)، وهذه المنزلة العظيمة لمحَبِّي أهل البيت عليه السلام لا تتَحَقَّق بمَجَرَّد الحُبِّ الذي تَحَرَّكَه العاطفة، أو الحُبِّ الذي تَحَرَّكَه المنفعة، وإنَّما الحُبُّ المَتمَثِّل باتِّخَاذِهِم عليه السلام قَدَوَةً في أفعَالِهِم وأقْوَالِهِم، وتَأْدِيَةِ طُقُوسِ الطَّاعَةِ والوَلَاءِ لَهُم، وبذلك يَضمِر قول يَجَلِّي مَقْصِدَ الإِمَامِ عليه السلام مِنْ خُطَابِهِ، وهو يَنْبَغِي أَنْ نَتَّخِذَهُم مَنَاراً نَقْتَدِي بِهِ في أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا، ونَسِير بِسِيرَتِهِمْ، وَنَتَّبِع خُطَاهُمْ، فَإِنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الِاقْتِفَاءِ هُوَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، أَمَّا إِذَا كَانَ حُبّاً تَحَرَّكَه الْقَرَابَةُ، أَوْ حُبّاً يَقُومُ عَلَى الْمَنْفَعَةِ الْمَادِّيَةِ فَلَا وَزْنَ لَهُ يَوْمئِذٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَتَمَثَّلَ الْحُبَّ الْمُنْدُوبَ فِي رَأْيِ الإِمَامِ عليه السلام بِالْآتِي:

ويمكن استنتاج قراءة مضمرة أخرى في قول الإمام عليه السلام تبيينها متلازمة (لله ورسوله) فشرط مجيء المسلم معهم يوم القيامة بأن يكون حبه مشروطاً لله ورسوله، وبذلك يفقد هذه المكانة إذا أغضب الله أو رسوله، وتفتح لنا هذه القراءة باباً آخرًا وهو: إِنَّ الَّذِي يَرْضِي اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَرْضِي الرَّسُولَ ﷺ والعكس صحيح.

ويكشف الكلام عن مضمرة غاية في الأهمية لما يهدف إلى تكريم المسلم الملتزم بهذه القيود، يمكن أن نفهمه من قول الإمام عليه السلام: (جَاءَ مَعَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَاتَيْنِ) فقال عليه السلام: يوم القيامة ولم يقل إلى الجنة، ولو قال: (إلى الجنة) لكان القول المضمرة أن المحب لهم يمر بأهوال يوم القيامة وحده ويعيشها بمفرده، التي وصفها القرآن بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى

(١) يُنْظَر: حبيب، حيدر محمود، نثر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليلية في جمالية بنية النص:

النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾^(١)، وبذلك يكشف تعبير الإمام عليه السلام عن عظيم التكريم للمؤمن، فهم عليهم السلام معه في كل مشاهد وأحوال القيامة، يهدئون من روعه، ويسددون خطواته، بدلالة الإشارة الخارجية (كهاتين) التي تدل على القرب المكاني أو المساواة بحسب العرف الاستعمالي السائد لهذه الإشارة، وفي ذلك غاية التطمين لمحبيهم عليهم السلام على وفق القيد المذكور.

ولو تأملنا في أصل القيد الذي ذكره الإمام عليه السلام لمحبتهم، نجده يحمل قولاً مضمراً أيضاً، وهو: أن أهل البيت عليهم السلام ليس حكرًا لقربة، ولا لمن يسدون له معروفاً ويحبهم عليه، بل إنهم مشروع نجاة من أحوال القيامة، والفوز بالجنان الواسعة، لعامة البشر، وهذه قراءة مضمرة تعدّ نتيجة هذه المحبة؛ لأن نهاية المجيء يكون إلى الجنة، وإذا تبين ذلك فالمتكلم - الإمام الحسين عليه السلام - هو امتداد لأهل البيت عليه السلام فيكشف خطابه عن بنية إضمارية تدعو إلى محبة الإمام عليه السلام الخالصة لوجه الله ورسوله؛ لأنها - المحبة - دليل على الطاعة، وأن الطاعة دليل على رضا الله ورسوله، فنحصل على نتيجة نهائية: أن الإمام الحسين عليه السلام حبل الله الممدود إلى الأرض.

فاتباع نهجهم عليهم السلام والتحلي بسيرتهم ينجي من النيران، مثل قوم نوح فمن ركب معه السفينة نجا من الهلكة ومن تخلف عنه هلك.

فآلية الوصول إلى المضمرة تتم عن طريق قرائن تشير إلى المسكوت عنه، منها:

١. قرائن معجمية تبين تركيز بعض المفردات اللغوية، مثل: الحب، والقربى، والمعروف.

٢. قرائن مقالية يوضحها السياق الخارجي، ومنها، قوله عليه السلام: (كهاتين).

(١) الحج: : الآيتان ١-٢.

٣. القرائن التاريخية، التي تحمل تفسيرات لمتتالية الملفوظات الواردة في

الخطاب، ولها أثر بارز في الكشف عن المضمّر أو تأكيده، وأمثلتها

النصوص المتداولة في الثقافة الإسلامية التي استشهد بها البحث.

ومثال ذلك أيضاً قوله عليه السلام بهذا المعنى فيمن تكون عقيدته راسخة اليقين، ثابتة

في مبادئ الدين، وبمعرفة النبي والوصي وإطاعتها عليه السلام:

«مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَبَوَيْهِ الْأَفْضَلَيْنِ: مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَأَطَاعَهُمَا حَقَّ الطَّاعَةِ، قِيلَ لَهُ؛ تَبَخَّجَ

فِي أَيِّ الْجَنَانِ شُتَّتَ»^(١).

ومن يدقّ النظر في خطاب الإمام عليه السلام يجده يقوم على ثنائية متلازمة، يمكن

بيانها بالآتي:

يتمثّل بالبعد (النظري/المعرفي) يبيّنه قول الإمام عليه السلام: (مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَبَوَيْهِ

الْأَفْضَلَيْنِ).

يتمثّل بالجانب (التطبيقي/العملي)، ويمثّله قول الإمام عليه السلام: مَنْ (أَطَاعَهُمَا حَقَّ

الطَّاعَةِ).

ويؤسّس الإمام عليه السلام بمضمّرات هذا الخطاب إلى أنّ معرفة حقائق الدين بصورة

عامة، وحقّ أهل بيت النبوة عليه السلام بصورة خاصّة، لا تكفي وحدها للفوز بالجنة؛ بل

يجب أن تقرن هذه المعرفة بالتطبيق الفعلي لشرائع الدين عامة، والالتزام وطاعة

الأولياء الذين فرض الله - سبحانه وتعالى - طاعتهم خاصّة، وإذا تبيّن ذلك فإنّه

تأسّس عبر البنية الإضرارية لأمر عقائدي يؤكّد أنّ الإمام الحسين عليه السلام امتداد لخطّ

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٠، ويُنظر: المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٦٠، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم:

ص ٧٠٤، وما بعدها.

الإمامة، ويكشف الخطاب بذلك عن هدف مضمر، متمثل بنجاة المسلم من النار إذا ما اتبع المنهج الذي رسمه الإمام عليه السلام في خطابه.

ويظهر عند الربط بين الخطابين (من أحبنا لا لقراءة...)، (و هذا الخطاب: من عرف حق أبويه الأفضلين...) نجد بينهما ترابطاً؛ لأنه عليه السلام تكلم عن حبهم، وذكر الأسس التي ينبغي الأخذ بها لتوجيه هذا الحبّ وجهة بناءة، تهدف لخدمة العباد، ثمّ تكلم في هذا الخطاب على لزوم معرفتهم عليهم السلام، وأيضاً ذكر الضابطة المفيدة لهذه المعرفة، وهي مقرونة بالطاعة لهم، وهنا تلتقي الأقوال المضمرة التي نهض عليها الخطابان، فالحبّ يجب أن يكون لوجه الله، ومعرفتهم وطاعتهم التي تتمثل بطاعة الله، فنصل إلى غاية الخطاب، وهي أنّهم عليهم السلام رحمة للعالمين، وباب الله الذي منه يؤتى.

والأبوة المعنوية المنصوص عليها في خطاب الإمام عليه السلام، هي التي أوجب الله طاعتها أكثر من الأبوة الحقيقية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، وهنا تظهر المفارقة الجميلة، إذ تحتل الأبوة المجازية الأولوية على وفق مبدأ العقيدة، على الأبوة الحقيقية؛ لأنّ الأب الحقيقي النسبي - أيضاً - ملزم بطاعة (أَبَوَيْهِ الْأَفْضَلَيْنِ: مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ)؛ إذ إنّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله والإمام علياً عليه السلام فضلهما وطاعتها مترتبان مستمرّان على الأجيال كلّها إلى ما شاء الله؛ وفضلها وطاعتها لا يقاس بهما أحدٌ أبداً، فإذا لأبوتها على الأمة الإسلامية والإنسانية هذا الشأن العظيم، ويُستفاد من قوله عليه السلام: (مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَبَوَيْهِ الْأَفْضَلَيْنِ) تخلي الإمام عليه السلام عن السلطة الرسمية في خطابه؛ إذ استبعد مصطلحاتها المعروفة عند

(١) النساء: آية ٥٩.

المخاطبين - المسلمين - ومنها النبي، الإمام، الخليفة، الوصي...، وهذا نابع من «رغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه، مما يجعله يستنتج أن المرسل قدّم تنازلات عن سلطته التي يتمتع بها»^(١)، ولا تخفى تلك المنزلة العظيمة التي يتمتعان بها، فلا أعظم ولا أكرم من النبي والوصي، ويبقى البعد التضامني مع المرسل إليه مرهون بقصد المرسل، ويهدف الخطاب^(٢)، وهو السعي لبناء المجتمع وتنقيته من أدران الكفر والظلم والطغيان، فصدر الخطاب بلحن الأبوة لما تضمّر من معاني الرحمة والرافة والحنو.

ولكي يتبيّن أكثر وضوحاً، لا بدّ أن نقرب أكثر من مقصدية الإمام عليه السلام في تحديد تعبيره بـ(الأبوين) وما يلازمها من قول مضمّر، إذ إنّ الأبوة هنا على المجاز اللغوي بمقتضى التلازم الرساليّ القائم على النصيحة والهداية والتوجيه وكفالة الأيتام في أمته، وإنقاذ الناس من النار؛ بوصف الرسول وأهل بيته عليه السلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، فالنبي ﷺ هو (خاتم الأنبياء والمرسلين)، والإمام علي عليه السلام هو (نفسه ووصيه والإمام من بعده)، وفق ما جاء في قوله تعالى في هذا الشأن: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾^(٤)، في يوم المباهلة مع نصارى نجران، ولقول النبي الأعظم للإمام علي عليه السلام: «أَنَا وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٥)، وقوله كذلك: «كُلُّ سَبَبٍ

(١) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ص ٢٥٧.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٥٧.

(٣) الأنبياء: آية ١٠٧.

(٤) آل عمران: آية ٦١.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٤٠٢، ويُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٢٦.

وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي»^(١)، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(٢)، وقوله في حجة الوداع بغدير خم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»^(٣)، وقوله في بيان عظيم شأنهم على البشرية قاطبة: «نحن أهل البيت لَا يُقَاسُ بنا أَحَدٌ»^(٤)، وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت أفضلية الإمام علي عليه السلام وأحقّيته، إذاً للمكانة السامية، والدرجة الرفيعة، والمقام العالي لهما عند الله، وما قدّماه من فضائل عظيمة إلى الإنسانية على العموم، وإلى أمة الإسلام على الخصوص، أعطاهما الله هذه المنزلة العظيمة والأبوة الكبيرة، فَمَنْ أطاعهما بمعرفة ودراية لحقّهما، فجزاء طاعتهما إذاً الفوز بحرية تبجح الاختيار بين الجنان والتنقل في رياضها ونعيمها، لكلّ من يسير على نهج صراطهما المستقيم^(٥).

ثانياً: صفات الخليفة الشرعي

لا ينحصر دور الخطاب في التبليغ، بل يتجاوز إلى تأسيس الحقائق التي يروم

(١) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٧، ص ١٠١، الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٤٨.

(٢) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ج ١١، ص ٨٩٠، الطبراني، سليمان بن أحمد، معجم الأحاديث الكبير: ج ٣، ص ٤٣، الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٧٧.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٣٤٧-٣٦٦، النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٧، ص ٣٠٩.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ١٧٥، ويُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن، التبصرة: ج ١، ص ٤٥٨.

(٥) يُنظر: حبيب، حيدر محمود، نشر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليلية في جمالية بنية النص: ص ٩١-٩٢.

المتكلم تبليغها وتنقيتها من شوائب الملابس التي تشيع ضبابية الفهم الدقيق؛ لأنه إذا انبنى الكلام على علاقة لفظية، فينبغي أن تكون الألفاظ تابعة للعلاقة التخاطبية، التي تضيف دلالات جديدة على اللفظ المخاطب به، وبذلك لا يتحدد بالمدلول الموضوع له والمحفوظ في المعاجم وحسب، بل بالقصد الذي يعنيه المتكلم عند النطق به، ويدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقامياً، لا إلى تحقيق حده معجمياً^(١)، أو التمسك بدلالة الألفاظ فقط، بل لا بد من تقصي غاية الخطاب، والوقوف على مقاصد المتكلم على وفق ظروف المقام التخاطبي، حتى يتسنى لنا فهم الصورة المرتسمة لخليفة المسلمين في قول الإمام الحسين عليه السلام في مجلس الوليد بن عتبة، عندما طلب منه البيعة ليزيد بعد وفاة معاوية، ومعرفة أبعادها المضمرة:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَخُتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَحَلَّ الرَّحْمَةِ، وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا خَتَمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ خَمْرٍ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُغْلِنُ الْفُسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ لِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ نُصْبِحُ وَنُصْبِحُونَ وَنَنْتَظِرُ وَنَنْتَظِرُونَ أَيُّنَا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ وَالْبَيْعَةِ»^(٢)

إذ عرض مؤهلاته عليه السلام التي يتمتع بها بوصفه كبير أهل البيت عليه السلام، وبهذا الوصف ينتفي كون النزاع مؤداه الخلاف بين بني هاشم وآل أبي سفيان، بل تشخيص الأكفأ والأصلح لخلافة رسول الله والإمام علي عليه السلام في الأمة الإسلامية، وهذا مضمر في ثنائية (مثلي لا يبايع لمثله) لتكون حداً مفصلياً، وقانوناً ثابتاً، مفاده

(١) يُنظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ص ٢٦٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤، ويُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٧، ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٨، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٤٤.

من كانت هذه صفاته (= مثلي) لا ينقاد لشخصية (مثلته = صفات يزيد).

ويلاحظ أنّه ﷺ قد اقتصر على هذه الأمور من: شرب الخمر، وقتل النفس المحرّمة، والإعلان بالفسق، ولم يتحدّث عن أنّه يكذب، أو يغتاب، أو يسرق، أو يرتكب جريمة الزنى، وغير ذلك من موبقات؛ ولعلّ ذلك أنّ هذه الأمور التي ذكرها ﷺ هي الأكثر حساسية، فيما يرتبط بخلافة الأمة، ويجعل نفسه فيها، وهو الأكثر ارتباطاً بالقضايا المصيرية للأمة، وفي المقابل: أنّ الحسين ﷺ هو من أهل بيت النبوة، واختيار كلمة (النبوة) يحمل مقصدية الإشارة إلى الوحي الإلهي، الذي هو مصدر المعارف والعلوم الغيبية، ولم يقل: (أهل بيت النبي) حتّى لا يتوهّم أنّ المراد الإشارة إلى الارتباط به كشخص، لأجل نسب، أو سبب عادي قد يناله أناس آخرون غير الإمام الحسين ﷺ من بني هاشم، فإذا كان يزيد أو غير يزيد يدّعي أنّه خليفة لرسول الله ﷺ، وله صلاحيّاته، فمن أين يمكنه أن يثبت لنفسه هذا المقام إلّا من طريق الوحي والنبوة؟! وأهل بيت النبوة ﷺ ينكرون عليه ذلك، كما هو واضح من خطاب الإمام ﷺ^(١).

فقدّم دياجعة تحمل خطّ أهل البيت ﷺ، حتّى ختمها بجملته الحاملة تضادّ الحصر التأييديّ التي لا تبديل لها، وهي (وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا خَتَمَ) بدلالة المتعلّق المحذوف، وهو المفعول به المتضمّن معنى العموم والشمول في الفتح والختم في كلّ شيء كان وما يكون إلى يوم المحشر، ولا يخفى طابع الاختصاص والتأكيد الذي يمنحه أسلوب التقديم كمؤشّر تركيبي لقصد المتكلّم في قوله (بنا فتح) و(بنا ختم) فحمل وفق ثنائية تكراره مقترناً بصوت المدّ، ناقوساً يقرع الأسماع بحكم الله فيهم، ومنزلتهم التي أنزلهم الله سبحانه بها، بدلالة أنّ زمن حدث الفعل (خَتَمَ) ماضٍ،

(١) العاملي، جعفر مرتضى، مختصر المفيد: ج ١، ص ٦٦.

ولم يأت به الإمام عليه السلام فعلاً مضارعاً؛ لأنّه جسّد قضاء الله فيهم عليه السلام من حيث إنّ الله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١)، مع تيقّن حتميّة ما كتب في عصمة أهل بيت النبوة بوصفه (خَتَمَ) منذ أن بهم (فَتَحَ)^(٢).

(١) الأنعام: آية ١٢٤.

(٢) يُنظر: حبيب، حيدر محمود، نشر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليليّة في جماليّة بنية النصّ: ص ١٩٨.

المطلب الثاني: عالميّة الثورة الحسينيّة وأبعادها العباديّة

أولاً: عالميّة الثورة الحسينيّة

لو استعرضنا سيرة الأنبياء ﷺ لوجدنا هدفها الأساس هو محاربة الظلم، والدفاع عن كرامة الإنسان وحرّيته، ومن هو أفضل مجسّد لذلك غير وارث الأنبياء ﷺ^(١)، وأنّ عالميّة الثورة الحسينيّة واضحة بوصفها امتداداً لعالميّة الرسالة الإسلاميّة التي جاء بها النبي محمد ﷺ، ومن ثمّ عالميّة رسالة الأئمة ﷺ، لذا إنّ من يريد اختزال القضية الحسينيّة وحصرها بشعب معيّن أو طائفة معيّنة فهو خاطئ، ويحتاج إلى إعادة النظر في كلّ منظومته، فهي شاملة لكلّ بني البشر، إذ انطلقت وفق أهداف إنسانيّة بحتة، هدفها تحرير الإنسانيّة بما تحمله من أهداف وقيم وتضحيات ونماذج مشرّفة، لا تختصّ بزمان، ولا تحدّ بمكان^(٢).

وقد أضمر في كلام الإمام الحسين عليه السلام وأفعاله ما يوحي بهذا البعد العالمي لثورته، ويمكن استنباط هذا الإعلان من كلام الإمام عليه السلام في مضمون وصيّته لأخيه السيد محمد المعروف بابن الحنفية، واستثماره موسم الحج ثانياً، وما بين هذا وذاك مراسلاته للأشراف والوجهاء في الأمصار العربيّة، وكما يأتي:

١ - شعار الثورة الحسينيّة:

لا بدّ لكلّ نهضة تستهدف بناء المجتمع، وصيانته من أدران التخبط والتهيه والبعد عن النهج المحمديّ المرسوم، أن تستند إلى ركن رصين تأوي إليه، وتمثّل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٣٦.

(٢) يُنظر: أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٢، ص ٥٩-٦٠.

ذلك بانطلاقة الإمام عليه السلام؛ إذ رسم منهجه بصورة مختصرة تمثل بوصية كتبها لأخيه السيد محمد بن الحنفية، تحتوي على أقوال مضمرة، أودع فيها أهداف مسيرته، ولا شك في هذا من المقاصد بمكان سيجتهد البحث في بيانها، بوصفها ركائز مضمرة تقي أخيه محمد شر السلطة، وتمنحه حرية نشر أهداف ومنهج أخيه الحسين عليه السلام تحت طائلة مطالعة بنود وصيته، وهذا من ثمار الأقوال المضمرة التي تعالج أهدافاً يعد التصريح بها غير مرخص، أو تشكل خطراً على متكلمها، وإليك نص الوصية:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَضْبِرْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي - يَا أَخِي - إِلَيْكَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»^(١).

والمأمل في هذا الخطاب يجده يطفو على مقاصد مضمرة تعالج آفات العصر المستشرية، كما تمثل نقطة تحول في المسيرة الإسلامية التي أجهض مبادئها معاوية ومن بعده ولده يزيد، ولاستجلاء الأقوال المضمرة (الكامنة) في وصيته عليه السلام لا بد من الوقوف على مداليل عناصر الوصية، وما يؤطرها من مقام تخاطبي متمثلاً

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٣، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٨٢، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٩.

بزماتها، ومكانها، وشخصيات الحوار ومتعلقاته.

جاءت هذه الوصية بعد أن عزم الإمام عليه السلام على السفر إلى مكة المكرمة، وهذا نتيجة لمطالبة يزيد بن معاوية له بالبيعة، إذ أرسل كتاباً يأمر فيه والي المدينة الوليد بن عتبة بأن يأخذ البيعة من الإمام عليه السلام، فإن أبى يُضرب عنقه ويرسل ليزيد^(١)، كما تعالت بعض الأصوات بالإشارة على الإمام عليه السلام بأن ينزل لبيعة يزيد وألاً يشق عصا المسلمين^(٢)، فكان عليه السلام أمام مجتمع قد ركب مطية الخوف أو الطمع متجهاً إلى بيعة يزيد، متخلفاً عن نصره أولياء الله الذين فرض - سبحانه وتعالى - طاعتهم، فكان لا بد من تأسيس عقائدي ومنهجي ينطلق منه الإمام عليه السلام في ثورته ورفضه حكم بني أمية، يكون ردّاً على تقولات المريبين والمشككين بأهداف الإمام عليه السلام الإصلاحية، ويمكن بيان هذين الخطين على النحو الآتي:

أ - البعد العقائدي: إذ يشتمل قول الإمام عليه السلام على مضامين رئيسة بثها في متتاليات الألفاظ التي اشتملت عليها وصيته، شكلت ركيزة أساسية لثورته، ويمكن بيانها بالآتي:

١. التوحيد: ونلمس تمثله في قوله عليه السلام: (أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).
٢. العدل: ويمثله قوله عليه السلام: (فَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبُولِ الْحَقَّ فَإِلَهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ).

(١) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٤.

(٢) يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧٣، ٤٠٣، ٤٠١.

٣. النبوة: في قوله: (وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ).
٤. الإمامة: كما في قوله: (وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) إذ جعله امتداداً لسيرة جده عليه السلام.
٥. المعاد: ويمثله قوله عليه السلام: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ).

ب - البعد المنهجي: الذي وظّف فيه ماهية خروجه وأهدافه والأسس التي يستند عليها والمؤهلات التي توجب عليه التصدي، وهي:

١ - لم يكن خروجه طلباً للسلطة، وإنما للإصلاح وهداية الناس، وقد وضح ذلك بقوله: (وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي) والأشهر «المرح»^(١)، والبطر من «بطر: البطر: التَّبَخُّرُ، وَقِيلَ: قِلَّةُ اخْتِيَالِ النَّعْمَةِ، وَقِيلَ: الْبَطَرُ الطُّغْيَانُ فِي النَّعْمَةِ»^(٢). وإنما حتم عليه واجبه بوصفه امتداداً لسلالة النبوة.

أمّا دواعي الإصلاح وأسبابه فهي أسباب تقاسمتها مختلف مستويات الحياة ومراحلها، فعلى صعيد الجانب الديني، نجد الحدود قد عطّلت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد بدا متلكّناً عند من جلس على دفة الحكم منذ السقيفة صعوداً إلى الخروج على الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام، وما ضمّها من فتنة التحكيم، ثمّ معاهدة الصلح، حتّى وصل الانفلات في أوجه في سياسة معاوية بعد الصلح، فعلى مستوى السياسة عمل على اغتيال كلّ الصحابة والتابعين الذين يوالون أهل البيت عليهم السلام ويتصرفون لهم، وغيرها من العمليات الإرهابية التي

(١) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٢٠، مادة (مرح).

(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٦٨، مادة (بطر).

مارستها السلطة الأموية بحق المسلمين، وعلى مستوى الجانب الديني اتخذ سياسة التجهيل، وصرف المسلمين عن دور العلم التي دعا إليها النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام، كما اتبع أسلوب الإغراء والترهيب للسيطرة على المجتمع المسلم، وشاع الفقر المدقع بين طبقاته، ونشر الغناء والمجون حتى ينصرف الناس عن متابعة السلطة أو القيام ضدها، حتى كَوّن مجتمعاً لا يفرّق بين الناقة والجمال^(١)، وغير ذلك من الأسباب التي وقف الإمام الحسين عليه السلام أمامها.

٢- أدوات الإصلاح المتبعة، وهذا الإصلاح يكون عن طريق:

أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ).

ب - على وفق سيرة جدّه رسول الله وأبيه عليه السلام: (وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ).

إنّ هذا العرض الممنهج لأهداف ثورته عليه السلام يحلّي تسلسلاً منطقيّاً لبيان مكانته السامية وحقّه في قيادة أمة جدّه رسول الله ﷺ، وبه يخرس المتشكّكين والمتمسّكين بأذيال السلطة لمصالحهم الدنيويّة، ويرد على المعارضين لخروجه على يزيد بوصفه خليفة لهم.

وهناك قول مضمّر مفاده أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام لم يكن تحاشياً لبيعة يزيد وتفادياً من مواجهة السلطة الحاكمة، كما فعل عبدالله بن الزبير وعبد الله بن عمر^(٢)، وإنّما كان بهدف الإصلاح والعمل بسنّة جدّه وأبيه عليه السلام بما يمليه عليه

(١) يُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٤١، القزويني، محسن باقر، ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٠٦.

(٢) يُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٦.

الواجب الشرعي بوصفه إماماً مفترض الطاعة نقلاً عن رسول الله ﷺ، كما مرَّ بيانه.

ويبقى التساؤل، لماذا دبح الإمام عليه السلام هذه الوصية لأخيه محمد؟ وهل أن السيد محمد بن الحنفية غافل عن هذه المحاور والأهداف؟ وهل قصد الإمام الحسين عليه السلام أن تقف هذه الوصية عند أخيه فقط؟

تداولياً لا يُستساغ أن تكون غاية الوصية هو أخباره بمضامينها؛ وإنَّما هناك غاية أخرى وهي أن يكون السيد محمد بن الحنفية المنبر الإعلامي لأهداف الثورة، وبيان أسسها التي انطلق منها أبو الاحرار خدمة للإسلام وصيانة لدين جدّه رسول الله ﷺ، وأراد لها أن تعرف ويطلع عليها الناس، فيعلمون سبب خروجه وتضحيته، ومما يعزّز ذلك أنه أمره بالبقاء في المدينة؛ ليكون له عيناً فيها^(١). كما يعطي هذا الأسلوب المضمّر شيئاً من الأمان لأخيه السيد محمد بن الحنفية، فهي بالظاهر وصية كأي وصية متعارفة، وفي الباطن تضمّر المنهج والأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

وقد بنى المتكلم كلامه بصورة متفرّدة، تعطي قراءات متعدّدة، سواء كانت من حيث المضمون - كما مرَّ - أم من حيث هندسة الهيكل البنائي العام للوصية، إذ شكّل ملمحاً أسلوبياً جاء موافقاً لغرضها، وعند التأمل فيه يكشف عن فكرة مضمرة تدرج ضمن ما نحن بصده، إذ غلب على أسلوبها الخطابي الصوت المفرد؛ ليكشف عن فكرة متميّزة تتمثّل بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - مقابل واحدية الإمام المعصوم الذي يقع على عاتقه مسؤولية النهوض بالأمة، والسير بها

(١) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنور: ج ٤٤، ص ٣٢٤، وما بعدها، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ص ٥٩.

إلى الصلاح.

وما دام الحديث عن أهداف الثورة الحسينية والأسباب الداعية للإصلاح، يرى البحث - حتى تكتمل حلقة النقاش هذه - أن يعرج على السبب الرئيس لقيام الثورة، وإن كان مرتبطاً بسلسلة من العوامل التي لا بدّ لعلاجها بقيام يشمل كلّ أبعاد التغيير، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى سبب خروجه في عبارة تحمل أبعاداً إضمارية، تكشف عند متأملها حجم الخطر المحدق بالإسلام، تلك العبارة التي قالها عليه السلام لمرwan بن الحكم عندما طلب منه البيعة ليزيد، فقال:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»^(١).

فعبارة (إنا لله وإنا إليه راجعون) تشير بحسب تداولها إلى المصائب العظيمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك إشارة صريحة، بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، فقلوه: (إنا لله) يدلّ على كونه راضياً بكلّ ما نزل به في الحال من أنواع البلاء، وقوله: (وإنا إليه راجعون) يدلّ على كونه في الحال راضياً بكلّ ما سينزل به بعد ذلك، من إثابته على ما كان منه، ومن تفويض الأمر إليه على ما نزل به، ومن الانتصاب من ظلمه، فيكون مُدَلِّلاً نفسه، راضياً بما وعده الله به من الأجر في الآخرة^(٣).

ولا أعظم مصيبة من تولّي رجل مجاهر بالفسق، ومرتكب المحرمات، أمر المسلمين، بأن يكون الخليفة عليهم، فكيف يؤمنونه على أنفسهم وأموالهم وحرمة

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦، ويُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٩.

(٢) البقرة: آية ١٥٦.

(٣) يُنظر: فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج ٤، ص ١٣٣.

دينهم وتطبيق شرائعهم، وهو لا يملك عنان نفسه ومنعها عن المحرمات، لذلك قال الإمام عليه السلام: (وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد)، ومن هذا المنطلق لم يجد الإمام عليه السلام بُدّاً من الثورة ضد الانحراف والتصدي له بكلّ أبعاده وعلى مختلف الصعد، وهذا منوط بقوله عليه السلام: (إذ قد بليت) بهذا الرجل، «ويُلي بالشيء بلاءً وبلاءً وبئتي؛ والبلاء يكون في الخير والشرّ. يُقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، والله تعالى يُلي العبد بلاءً حسناً وبئليه بلاءً سيئاً، وبلاءه يئلوه بُلُوءاً، إذا ابتلاه الله ببلاء»^(١)، وعليه تضرر هذه العبارة الخطر المحقق والمترتب على بيعة يزيد، ومن هنا أعلن الثورة على هذه الآفات التي تتجه بالإرث النبوي إلى الهلكة.

٢. استثمار موسم الحجّ

شكّل دخول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة وخروجه منها صدى إعلامياً كبيراً، فاستطاع وبنقلة واحدة أن يلقي الحجّة على جميع المسلمين، وبذلك لا يبقى عذر لأحد في نصرته، فكان توجه الإمام عليه السلام إلى مكة مبنياً على تخطيط وقصد، ويمكن كشفه بالآتي:

أ- وقت دخوله إلى مكة المكرمة:

يشكّل موسم الحج ملتقىً إسلامياً كبيراً على مرّ العصور، يجتمع فيه المسلمون الوافدون من كلّ فجّ عميق، فقد استفاد منه دعاة الإصلاح والتغيير في بثّ الأفكار وكسب وتعبئة الأنصار. والإمام الحسين عليه السلام يعي ما لهذا المكان المقدّس من أهميّة استثنائية بوجود بيت الله الذي يشكّل أماناً للخائفين، ويمنح حرّية التحرّك والتبليغ، ولاسيما في أثناء موسم الحجّ الذي هو بمثابة مؤتمر إسلامي جماهيري

(١) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٨٤.

سنوي، يؤدّي فيه المسلمون فريضة الحجّ، ويتداولون فيه شؤون العالم الإسلامي. وقد أخذ الإمام عليه السلام يبتّ فيها دواعي نهضته، ويبيّن حقّانية موقفه، ويميط اللثام عن السلطة اليزيدية القائمة، وكشف للملأ بأنّها سلطة استبدادية وغير شرعية، تقوم على استعباد الناس وظلمهم، إذ إنّها قائمة على الغدر ونكث العهود والمواثيق^(١)، وكان ذلك لثلاث مضيّن من شعبان سنة ستين للهجرة، فأقام بها باقي شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة^(٢). وتركت آثارها على الرأي العام الإسلامي آنذاك، فثارت نائرة السلطة الحاكمة، وأرادت بشتّى السبل احتواء وتحجيم وإسكات الصوت الحسيني الهادر، تمثّل ذلك في مراقبة تحرّكات الإمام عليه السلام والتخطيط لاغتياله وحتى مناجزته. وبذلك استثمر عليه السلام مميّزات المكان، من توافد الحجاج، وعمل لقاءات مع رؤساء القبائل والأشراف، وخطب فيهم، ومن خطابه ما عرف بالمناشدة التي ناشد بها الجموع الغفيرة من المسلمين في منى، إذ قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال عليه السلام^(٣):

«اسمعوا مقالتي وكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن آمنتم من الناس ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا، فإنّي أتحوّف أن يدرس هذا الأمر، ويذهب الحقّ ويغلب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ولم يترك شيئاً ممّا أنزل الله فيهم من القرآن إلّا تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلّا رواه، وكلّ ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم، وقد سمعنا وشهدنا، ويقول التابعي: اللهم قد حدّثني به من صدّقه وأئمّته من الصحابة، فقال: أنشدكم الله

(١) يُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ١٨٣، جلال الدين السوطي، عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء: ج ١، ص ١٥.

(٢) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨١.

(٣) يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣١.

ألا حدثتم به من تثقون به وبدينه، وكان فيما ناشدكم الحسين عليه السلام وذكرهم أن قال: أنشدكم الله أتعلمون أن علياً بن أبي طالب كان أخا رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخى بين أصحابه، فأخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللهم نعم...^(١)، والخطبة طويلة ذكرهم بها بما كان، ودعاهم إلى ما سيكون، وأمرهم بدعوة قبائلهم عند عودتهم.

ب - وقت خروجه من مكة:

مثلاً كان لدخول الإمام عليه السلام إلى مكة على وفق مقصدية هدفها الإعلامي، كان لخروجه الوقع الإعلامي نفسه، إذ رحل عن بيت الله - ع - وتوجه إلى لقاء الله - ع - فخرج عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجة^(٢)، وشخصية مثل الإمام الحسين عليه السلام يترك الحج، ويعتمر ثم يخرج، فلا شك أن الأمر الذي خرج له أمر جليل، وحرّي بأن يكون مداراً للحوار، إذ كيف يترك أهل البيت البيت إلا لحدث يوازي أمر الحج أهمية. كما يدعو هذا الحدث - الخروج من مكة - إثارة فضول الترقّب لما سيلقيه الإمام عليه السلام بعد خروجه، فكلّ من حظر ودون أدنى شكّ أنّه سيراقب الأمر، سواء من قريب أم بعيد، ليستعلم حال ابن بنت رسول الله عليه السلام، وبذلك شكّل هذا الفعل بعداً تداولياً لصدى ثورته. فأدى عليه السلام ما عليه إعلامياً، ونصح وراسل الأمصار لنصرته لتي بها نصره الدين، فوظف البعد الزمني باختياره وقت الخروج بدقّة. وقد وسم خروجه بخطبة تاريخية، قرع بها أسماع الحضور، ودعاهم إلى مشاركة النبي وأهل بيته عليهم السلام في الجنة، فحين عزم على

(١) الجلاي، محمد رضا، الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ص ١٠٦، ويُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٠.

(٢) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨١.

الخروج إلى العراق، قال - بعد حمد الله والثناء عليه - :

«أيتها الناس، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراساً جوفاً، وأجرية سُنْبا، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله ﷺ لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بها عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطئاً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فيأتي راحل مصباحاً إن شاء الله»^(١).

إذ تثير الخطبة تساؤلاً؛ لأنّ عادة القادة وأصحاب الثورات أن يؤمّلوا الناس بالنصر والظفر حال دعوتهم لنصرتهم، ولذا نرى هنا أنّ الإمام شرع بنعي نفسه الزكية، وأنّه مقتول لا محالة، إلّا أنّ قراءة على وفق مقولة المضمّر، تنقل إلى حيّز آخر، يمكن توضيحه بالآتي:

١ - أخبر الإمام عليه السلام بأنّ الموت محقق ببني آدم مهما طال عمره، راسماً له أروع الصور، فإذا كان ذلك فما أروع من موت بين يدي ابن بنت رسول الله ﷺ، وهنا تكمن دعوته إلى الجهاد في سبيل الله - عزّ وجلّ - وتحت راية نبيه ﷺ، وبحسب ما تداول عندهم أنّ فضيلة الجهاد لا تعدلها فضيلة، وهم رجالها، وبذلك تعدّ هذه الديباجة محفزة لحثّهم ودعوتهم للجهاد.

٢ - بين عليه السلام اشتياقه إلى أسلافه الصالحين عليه السلام، تذكيراً للمتلقي بنهجهم في رعاية

(١) الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٣٩، ويُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، المهوف على قتلى الطفوف: ص ١٢٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٩٧.

الدين والذود عنه، وأنه ما استتبَّ إلّا بالجهاد ومحاربة أئمة الكفر، وهذا بعد آخر لتحفيزهم.

٣ - بين عليه السلام لهم أنّه ملاقي مصرعه ووحشيّة من يلاقي، وأنّ هذا اليوم مكتوب عليه وهو خارج له، وهنا يكشف عن قول مضمّر مفاده أنّه عليه السلام عازم على الخروج، لمحاربة الظلم، ومواصلة مسيرة أسلافه عليهم السلام، سواء خرجتم لنصرته أم لم تخرجوا، وما دعوته لهم إلّا لإلقاء الحجّة ولشموهم بمنقبة الشهادة.

٤ - قوله عليه السلام: (رضا الله رضانا أهل البيت)، إذ تحتل قراءتين^(١):

الأولى: بأن تكون (رضا الله) مبتدأ وما بعده خبره، فيكون المعنى: أنّ الذي يرضي الله - سبحانه - يرضينا نحن أهل البيت، ومضمّر القول فيه: يكشف عن روعة التسليم والانصياع لحكم الله - سبحانه - وقمة الذوبان في الذات الإلهية، وبذلك يكون الموت المحتوم نزهة في خلد المعبود.

الأخرى: على أن يكون (رضا الله) خبر مقدّم، وما بعده مبتدأ، فيكون المعنى: إنّ الذي نرضى به ونستسيغه يرضى به الله - سبحانه - ولا يبعد القول المضمّر هنا بأن تكون إشارة إلى أفعالهم وأقوالهم عليهم السلام كلّها تصبّ فيما يرضي الله - سبحانه - وأنّ ما يرضون عليه من عمل أو قول صادر من الناس يمثل رضى الله سبحانه وتعالى.

٥ - وفي ختام خطابه عليه السلام أكّد ما بدأ به من التزامه بخطّ الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا يضمّر التطمين والأمان لأصحابه.

وفي ختام هذه المرحلة، قد ختم عليه السلام مرحلته هذه في مكّة بكتاب صغير، لكن يحمل معاني كبيرة، بعثه من مكّة إلى بني هاشم في المدينة، جاء فيه:

(١) يُنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ٦٦-٦٧.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد، فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام»^(١). إذ تكشف هذه الملفوظات عن المنهجية المرتسمة أمام الإمام عليه السلام، فكلماته تنبئ عن تيقنه بالشهادة، ولكن بهذه الشهادة يتحقّق الفتح، ولو دقّقنا النظر في مفردة (الفتح) لوجدنا لها بعداً تداولياً قد عاشه المسلمون، وحضره أكثرهم، وذلك متمثّل بفتح مكّة، ودخل الناس على إثره أفواجا، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾^(٢)، وتحقّق هذا الفتح بعد جهاد وعناء بقيادة الرسول صلّى الله عليه وآله وأخيه ووصيه الإمام علي عليه السلام، ولعلّ ذكر الإمام عليه السلام هذه المفردة، تضمّر في طيّاتها الأحداث والأسباب التي دعت لذلك الفتح، ومقارنتها بأحداث عصره عليه السلام، ويمكن أن تكشف بعد ذلك إلى سوء الأوضاع التي اتسم بها الواقع الإسلامي كلّها، منذ أحداث السقيفة صعوداً في البلوى إلى أوجها عند يزيد، لذا كان لا بدّ من فتح يعيد الناس للإسلام، قرن بالشهادة، ويمكن بيان هذا المنطلق بالثنائيات الآتية:

- من لحق بي = استشهد.

- من لم يلحق بي لم يدرك = الفتح.

- الشهادة = الفتح.

لذا تبادر إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام أنّ المقصود به الفتح الذي لم يحرزّه غيره بعد الرسول صلّى الله عليه وآله من قادة العالم وأبطال التاريخ، فقد انتصرت مبادئه وانتصرت قيمه،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٧، ويُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٥٥.

(٢) النصر: الآيتان ١-٢.

وتألفت الدنيا بتضحيتها، وأصبح اسمه رمزاً للحق والعدل^(١).

ثانياً: البعد العبادي في أفعال الإمام الحسين عليه السلام وأقواله

إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تكليفاً إلهياً، ووظيفة شرعية، وعبادة عالية، مثلت الشخصية الأنموذجية التي اشتملت على كل جزئيات العبادة، فانصهرت في بوتقة واحدة، فأنتجت شخصيته عليه السلام، حتى لاح قدوة تجتليه أنظار المؤمنين. ويظهر البعد العبادي جلياً في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيما في عاشوراء، إذ يتمثل بصلاته عليه السلام في كربلاء تحت أسنة الحراب، وإكثاره من الدعاء والاستغفار، وتمسكه بالقرآن تلاوةً وعملاً من خلال محاوراته وسلوكه، وسيعرض البحث بعدين عباديين ظهرا بوضوح في مسيرة الثورة الحسينية، وهما: الصلاة، وتلاوة القرآن:

١ - صلاة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء:

تُعَدُّ الصلاة قناة الاتصال بين العبد وربّه، وباب استجابة الدعاء، وقد أكّدت الأحاديث الشريفة بيان فضل وفضيلة الصلاة، بوصفها عمود الدين، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، وهي آخر وصايا الأنبياء، وقد أشاد القرآن قبل ذلك بمكانتها، وذمّ أقواماً لاستهانتهم بها، فقال عزّ من قائل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٢)، على وجه التعريض بمن يراؤون في صلاتهم^(٣)، يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها، وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «وليكن أكثر همك الصلاة،

(١) يُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل: ج ٣، ص ٤٥.

(٢) الماعون: الآيتان ٤-٥.

(٣) يُنظر: ابن عاشور التونسي، محمد طاهر، التحرير والتنوير: ج ٣٠، ص ٥٦٧.

فإنَّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»^(١).

والإمام الحسين عليه السلام هو أحد أقطاب آل البيت عليه السلام الذي جسّد الصلاة بأروع ما تكون بوصفها بعداً عبادياً يناجي فيها العبد ربّه ويتقرّب إليه بها، إذ نرى هذه الشخصية الكبيرة تنصهر تماماً في بوتقة الصلاة، على الرغم من المعاناة التي كان يقاسيها، والمأساة التي نسجت من حوله خيوطها السوداء في كربلاء. كان - مع ذلك - عندما يقف للصلاة ينسى ما حوله ومَن حوله، ومن ذلك ما جرى في ليلة العاشر من المحرم، حيث اجتمعت كلّ الظروف والعوامل التي تبعث على اليأس والوهن والضعف، تراه يبدأ خطبته في مثل هذه الظروف بروح مختلفة تماماً، فجمع عليه أصحابه عند قرب المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

«فدنوت منه؛ لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثنى على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين»^(٢).

فهذا الثبات المنقطع النظير هو ثمرة يانعة من ثمار العبادة والصلاة، ولا يخلو من الدرس والعبرة، إذ يضمّر رسالة للأمة الإسلامية تدعو إلى الحثّ على الصلاة والالتزام بها في أصعب الأمور؛ لأنّها تعدّ هي الفرج بما تشيعه من ثقة المؤمن بالله جلّ وعلا، وهي - كذلك - العلاج النفسي الذي يبعث الاستقرار والطمأنينة والتسليم لأمر الباري عز وجل. فلا موقف أصعب وأكبر من موقف عاشوراء، فمثّلت

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٢٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤١٨، المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج ٢، ص ٩١.

صلاة الإمام الحسين عليه السلام أصدق مظاهر الإخلاص لله - سبحانه وتعالى - وتمسكه بمبادئ الشريعة، فهل يبقى هناك عذر للناس يبيح لهم تأخيرها؟

وتكشف ملفوظات الخطاب عن البعد العبادي المضمّر (وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين) إذ ذكر التفقه بالدين مقروناً بـ (وجعلت لنا أسماً وأبصاراً وأفئدة) فعلم أنّ الأحرى بالعبد أن تكون هذه الجوارح وسائل منجية له من الهلكة والضلالة، بوصفها قنوات لاستلهاام التفقه في الدين، وإن أخطأ المسلم توظيفها في تحصيل المعرفة اللازمة، أو التفكير الخاطيء، فإنّ نتيجته بأن يكون (من المشركين)، ويمكن أن نطبّق هذه المعادلة على أحداث الطف، فيتبيّن لنا أنّ أصحاب الإمام عليه السلام وأهل بيته كانوا على بينة من أمرهم، وعلى بصيرة راجحة نابعة من فكر سديد، وزنوا الأمور وعرفوا لمن الكفة الراجحة، فانضوا تحت رايتها، فأحسنوا شكر الله - سبحانه - الذي منحهم (أسماً وأبصاراً وأفئدة) تفكّروا بها، فكانت نتيجتهم من الفائزين. بينما كان الطرف المعادي، المتمثّل بعمر بن سعد ومن معه، مبصري العيون عمي القلوب، عقولهم معطّلة بحبّ الدنيا والسعي وراء مطامعهم، فلم تفدهم (أسماع وأبصار وأفئدة) فأصبحوا من الخاسرين.

ومن تأكيد الإمام عليه السلام على الصلاة وبيان أهمّيتها إرساله أخاه العباس عليه السلام، ليتفاوض مع القوم حتّى يؤخّروا القتال إلى الغدوة، لكي يجد متّسعاً إضافياً من الوقت يصلي فيه لربه، ويكثر من الدعاء والإنابة إليه، فقد قال لأخيه العباس عليه السلام: «ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى الغدوة، وتدفعهم عنّا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار»^(١).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ص ٢، ص ٩١.

يضمّر كلام الإمام عليه السلام - هنا - بعداً عبادياً مضمرّاً، ينطق عن أهميّة الصلاة بوصفها أئمن ما في حياة المؤمن، وبأنّ لها أثرها المتميّز لا سيّما في الظروف غير الطبيعيّة، حيث ترفد الإنسان بشحنات من البصيرة والنور، فتشدد من عزمه، وتحفّف من وطأة البلاء عليه. فقال عليه السلام: (نصليّ) بصيغة الجمع الذي شمل به أهل بيته وأنصاره، وفي قوله عليه السلام: (فهو يعلم أنّي قد أحبّ الصلاة) إذ صاغ تركيب يجليّ العلاقة بينه وبين ربّه، ويظهر لنا هذا التكرار أهميّة الصلاة والدعاء بوصفها سلاح العبد المؤمن في مواجهة الخطوب الجسام.

٢ - تلاوة القرآن الكريم:

سلك الإمام الحسين عليه السلام بعداً تطبيقيّاً في إرساء مبادئ الدين وتعميقها في المجتمع، وهو بذلك ينحو منحى تداوليّاً في تربية الأمة الإسلاميّة، وتثقيفها دينيّاً وحتى علميّاً، وقد مرّ آنفاً تأكيد على الصلاة وإظهار أهمّيّتها عبر تطبيقها في أحلك الظروف قساوة، وهنا يجتهد البحث لبيان بعد عبادي ورسالي آخر، إذ يدعونا الإمام الحسين عليه السلام بأقواله وأفعاله وحركاته أن نلتزم به، ونسير على خطاه في تطبيقه، وهو تلاوة القرآن الكريم، والتعبّد به بوصفه كلام الله، وعندما تردّد آياته فإنّك تناغم المعبود بكلماته، فكان تعلّق الحسين عليه السلام بالقرآن شديداً، يتلوّه في حلّه وترحاله، ويتخذ منه منهجاً في محاجة أعدائه، إذ إنّ من أقوى الحجج وأقواها افحاماً لمجادليه، ومثال ذلك: لما وجد الحسين عليه السلام مروان بن الحكم في طريقه ذات يوم، فأراد منه مروان أن يبايع يزيد، ولما كشف له الإمام عليه السلام عن معائب يزيد، غضب مروان من كلام الحسين، ثمّ قال: والله، لا تفارقني حتّى تباع ليزيد صاغراً، فإنّكم آل أبي تراب قد ملئتم شحناء، وأشربتم بغض آل بني سفيان، وحقيق عليهم أن يبغضوكم، فقال الحسين عليه السلام: إليك عنّي، فإنّك رجس، وإني من أهل بيت

الطهارة، وقد أنزل الله فينا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) ويبدو أنّ هناك تعانقاً بين دلالة الآية الكريمة التي استحضرها الإمام عليه السلام وبين الموضوع الذي دُعي إليه عليه السلام، إذ قابل كلام مروان بهذه الآية؛ ليشير إلى معنى مضمّر مجلّيه التقابل بين دلالة المصطلحات التي استعملها طرفا الحوار:

(إليك عني فإنّك رجس) وإني من أهل بيت الطهارة

ليمهد إلى دلالة الآية بدقّة؛ لأنّها اشتملت على كلا المصطلحين (الرجس وأهل البيت)، ومعنى الرجس في اللغة من رجس: «الرَّجْسُ: الْقَذْرُ، وَقِيلَ: الشَّيْءُ الْقَذِرُ، وَكُلُّ قَذَرٍ رَجْسٌ. وَرَجُلٌ مَرْجُوسٌ وَرَجْسٌ: نَجَسٌ، وَقَدْ يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْحَرَامِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ وَالْعَذَابِ وَاللَّعْنَةِ وَالْكَفْرِ، وَفِي اللُّغَةِ اسْمٌ لِكُلِّ مَا اسْتَفْذِرَ مِنْ عَمَلٍ فَبَالَغَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَمِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَسَمَّاهَا رَجْساً. وَيُقَالُ: رَجَسَ الرَّجُلُ رَجْساً وَرَجَسَ يَرْجِسُ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا قَبِيحًا»^(٢)، فيتبيّن أنّ بيعة يزيد ومن يدعو لها إنّما هي رجس، والمتأمل في صفات مروان ويزيد يجدهما خير مصداق لمصطلح الرجس، فالأوّل ملعون هو وأبوه على لسان رسول الله ﷺ، والآخر مجاهر بالفسق والفجور أمام الناس، والاتفاق بيّن؛ فمثلاً اشتمل مصطلح الرجس على أنواع القذارات والصفات السيئة، كذلك اشتمل مروان ويزيد على كلّ الصفات الذميمة أيضاً. فتبيّن للبحث دقّة تمثّل الآية ومطابقتها أيّاً مطابقة مع مجريات الموقف الخطابي. لذلك نكس مروان رأسه ولم ينطق بشيء^(٣).

ومن ذلك أيضاً وقوف الإمام عليه السلام عند قبر جدّه ﷺ يبكي، كما فعل أبوه الإمام

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٦، ص ٩٤-٩٥.

(٣) يُنظر: الخوارزمي، الموقّ بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٨٥.

علي عليه السلام عندما هددته زعامة بطون قريش بالقتل إن لم يبايع، فالتحق بقبر النبي صلى الله عليه وآله يبكي ويتلو الآية الكريمة: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ فِيكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ذكر المفسرون معنى الآية: (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي) يعنى: أنه لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار، وهذا ما فعله الإمام عليه السلام في قومه، ويظهر أنه لا يخلو أي عصر من هارون وفرعون، وما بذله من قوة وجهد في مضاداتهم حتى قهره واستضعفه، ولم يبق إلا أن يقتلوه^(٢). وإذا تأملنا أسلوب الآية الكريمة نجده يشير إلى وحدة المضمون بين مقامها آنذاك ومقام تلاوتها عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله، ففي كلا الموقفين انحرف الملاء عن جادة الصواب، وخالفوا وصايا نبيهم.

ومن تأملاته عليه السلام بأي الذكر الحكيم، قوله لما خرج من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين بنيه وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد ابن الحنفية، أخذ يتلو هذه الآية^(٣): ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، وتابع الإمام الحسين عليه السلام حالة التمثل بموسى عليه السلام، فلما وصل إلى مكة قرأ آية^(٥): ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٦).

إذ تكشف لنا هذه النماذج القرآنية التي تمثل بها الإمام عليه السلام أن مهمته التي يتحرك بصددتها ليست أقل من مهمة الأنبياء، بل هي ثمرة جهود الأنبياء والرسل، وعليه

(١) الأعراف: آية ١٥٠.

(٣) ينظر: جار الله الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: ج ٢، ص ١٦١.

(٤) يُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ص ٤٠٣.

(٤) القصص: آية ٢١.

(٦) يُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ص ٤٠٣.

(٦) القصص: آية ٢٢.

توقّف استمرار الدين وترسيخ مبادئه، فروى هذه المبادئ بدمه الطاهر؛ ليثبت به عرى الإسلام، فهمس بما همست به الأنبياء - عليهم وعلى نبينا السلام - فكانت إجاباته انتزاعات قرآنية، ومنها لما خرج من مكة واعترضه عمرو بن سعيد أمير الحجاز ليرده ويمنعه من المسير إلى العراق، رده ردّاً قرآنياً حاسماً^(١)، بقوله عليه السلام: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آَعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ولما انتهى إلى قصر مقاتل^(٣) نزل ورأى فسطاطاً مضروباً لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، فدعاه إلى نصرته لكنّه امتنع، عندها أعرض الإمام عليه السلام عنه، قائلاً: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾^(٤)، وقد حذّر الجيش الأموي من الخسران وسوء العاقبة، فلما طلب منه قيس بن الأشعث أن ينزل على حكم يزيد، قال له الحسين عليه السلام: «ولن معه: عباد الله»^(٥)، ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٥). ومع ذلك لم يستجيبوا لدعوته الحقّة بعدما غشيت الأطلع أبصارهم، وغشي الجهل بصائرهم. ولما تنهى إليه وهو في طريقه إلى الكوفة خبر

١ «يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٠١.

(٢) يونس: آية ٤١.

(٣) قَصْرُ بني مُقَاتِلٍ: قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطفطانة وسلام ثمّ القرّيات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف = بن عامر بن عصيّة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، قال ابن الكلبي: لا أعرف في العرب الجاهليّة من اسمه إبراهيم بن أيوب غيرهما، وإنّما سمّيا بذلك للنصرانيّة، وخبره عيسى بن علي بن عبد الله، ثمّ جدّد عمارته فهو له. يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٤) الكهف: آية ٥١.

(٥) غافر: آية ٢٧.

مقتل سفيره قيس بن مسهر الصيداوي^(١)، تلا الآية الشريفة^(٢): ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٣) وأثنى على وفاته، وترحم عليه. وردد هذه الآية نفسها عندما تناهى إلى سمعه مصرع مسلم بن عوسجة^(٤)، فمشى إليه ومعه حبيب بن مظاهر^(٥)، فقال له الإمام عليه السلام: (رحمك الله يا مسلم)، ثم قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٦)، وعن الضحّاك بن عبدالله المشرقي، قال: «فلما أمسى حسين عليه السلام وأصحابه قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا، وأنّ حسيناً عليه السلام ليقرا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ

(١) قيس بن مسهر بن خليلد الصيداوي: أرسله الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فقبض عليه عبيد الله بن زياد وأمره بأن يلعن الإمام الحسين عليه السلام، فلعن ابن زياد، فألقاه هذا من فوق القصر، فمات. يُنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٨، ص ٤٧.

(٢) يُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٤٠.

(٣) الأحزاب: آية ٢٣.

(٤) مسلم بن عوسجة الأسدي: من أبطال العرب في صدر الإسلام. شهد يوم (أذريجان) وغيره من أيام الفتوح. وكان مع الإمام الحسين عليه السلام في قصده الكوفة، فقتل وهو يناضل عنه، واستشهد معه ٦١ هـ. يُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٧، الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٧، ص ٣٣٣.

(٥) وهو حبيب بن مطهر، أو مظاهر، أو مطهر، بن رثاب بن الأشتر بن حجوان الأسدي الكندي ثم الفقعسي، تابعي، من القوّاد الشجعان. نزل الكوفة وصحب الإمام علياً عليه السلام في حروبه كلّها. ثم كان على مسيرة الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء، وعمره خمس وسبعون سنة. وهو واحد من سبعين رجلاً استسلوا في ذلك اليوم، وعرض عليهم الإمام عليه السلام، فأبوا وقالوا: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الحسين وفينا عين تطرف، حتّى قُتلوا حوله. يُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٠، الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٢، ص ١٦٦.

(٦) الأحزاب: آية ٢٣.

لَا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تراقبنا، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، مُيّزنا منكم. قال: فعرفته، فقلت لبُرير بن خُصَير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السَّبَيعي عبد الله بن شهر...، فقال له بُرير بن خُصَير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيّين! ﴿٢﴾. ومما يبدو أنّ الإمام عليه السلام كان يتعمّد رفع صوته عند قراءة القرآن؛ بغية التأثير في نفوس الأعداء، ولكن المطامع قد سدّت منافذ السمع لديهم.

ولمّا لمح الإمام ابنه علي الأكبر عليه السلام وهو يصول في الميدان، رفع شيبته نحو السماء، قائلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ذَرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴿٣﴾، وعندما دنا الجيش من معسكر الإمام، دعا الإمام براحلته فركبها، ونادى بأعلى صوته: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ ﴿٤﴾» ﴿٥﴾، ثم قرأ: ﴿إِن وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٦﴾

ما تقدّم يكشف لنا جانباً من عبادة الحسين عليه السلام في كربلاء القائمة أساساً على الصلاة التي أقامها في أتون هذه المأساة، وقراءة القرآن، الذي كان يكثر من قراءته،

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٦، ص ٢٢٦.

(٣) آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.

(٤) يونس: آية ٧١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٤.

(٦) الأعراف: آية ١٩٦.

والاحتجاج به، وتشخيص مصاديق بشرية تنطبق عليها آياته، وما تخلل ذلك من دعاء واستغفار، بقي الإمام عليه السلام يلهم به حتى لفظ آخر أنفاسه الكريمة، فجسد خير مصداق في العبادة، وتمثل دوره أيما تمثيل بوصفه القرآن الناطق الذي رسم منهجاً واضحاً للأجيال، وفي مختلف المجالات والأصعدة عبادية - كما مر - أو سياسية أو أخلاقية.

وبعد، فقد عرضت الدراسة نماذج من خطب الإمام عليه السلام ومراسلاته، رأينا أنها تتضمن أقوالاً مضمرة على وفق المنظور التداولي الحديث، وحاولنا بيان المضمرة فيها، وقد لاحظت الدراسة أن مفهوم الأقوال المضمرة يتجلى وفق أنساق معينة وظواهر لغوية مختلفة، ورأينا أنها تمثل جانباً أساسياً في فهم الخطاب ومقاصده فهماً سليماً، يتجاوز قيد المعجم ودلالة التركيب، وهي بذلك تعدّ الأوسع مدى في حمل الطاقات التعبيرية - أنفعالية، وجدانية، نفسية - المنصهرة في اللغة، «ولا عجب أن تكون المحتويات المضمرة، أي: الأمور التي يتم التلميح إليها والأفكار المبيتة المضمّنة في السطور، ذات أهمية في الأقوال، وأن تضطلع بدور جوهري في طريقة عمل الآلة التفاعلية»^(١).

(١) كاترين كيربات _ أوريكيوني، المضمرة: ص ٢٠.

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية : *speech act*

المبحث الأول : الأفعال الكلامية المباشرة

المبحث الثاني : الأفعال الكلامية غير المباشرة

توطئة

تعدّ نظريّة الأفعال الكلاميّة أحد أهمّ الأسس التي قامت عليها اللسانيّات التداوليّة في منظومة البحث اللغوي المعاصر، بل إنّ التداوليّة في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميّة^(١)؛ بوصفها «المجسّد الحقيقي للاستعمالات اللغويّة في الواقع، حيث تهتمّ بدراسة ما يفعله المتكلّمون باللغة؛ من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير، وكلّ ذلك بغرض إنجاح العمليّة التواصليّة بين المتحدّثين»^(٢)، وفحواها «كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن ذلك يُعدّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسّل أفعالاً قوليّة لتحقيق أغراض إنجازيّة كالطلب والأمر والوعد»^(٣)، وتعرّف أيضاً بأنّها «إنتاج جملة نمطيّة، أو إلقاؤها في ظروف معيّنة»^(٤)، وعرّفه سيرفوني: مجموعة الملفوظات التي لا تستعمل لوصف الواقع أو حالة الأشياء، وبذلك لا يمكن أن تُوصف بأنّها ملفوظات كاذبة أو صادقة^(٥)، في حين عرّفه كريمر بأنّه: «أصغر وحدة لاتصال لساني، يمارس فيها المتكلّم فعلاً تجاه السامع، وهو يتكوّن من مكونين، من محتوى قضوي، ووظيفة إنجازيّة»^(٦).

وتأتي أهميّة هذه النظريّة من إسهامها في تغيير تلك النظرة التقليديّة في معالجة

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٢.

(٢) لعور، أمنة، الأفعال الكلاميّة في سورة الكهف: ص ٩٨.

(٣) صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب: ص ٤٠.

(٤) المبخوت، شكري عياد، إنشاء النفي وشروطه النحويّة والدلاليّة: ص ١٥٥.

(٥) يُنظر: سيرفوني، جان، الملفوظيّة: ص ٩٥.

(٦) كريمر، زيبيلة، اللغة والفعل الكلامي والاتصال: ص ٨٩.

الظاهرة اللغوية التي كانت تنحاز بشدة للاستعمال المعرفي والوصفي للغة؛ إذ نظرت إلى اللغة بوصفها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وهي بذلك ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل، ولذلك فالمعلومات المتبادلة بين طرفي الحديث (المتكلم السامع) تكون ضرورةً مثارةً بواسطة شيء ما، وتسعى على تحقيق هدف ما، فهي عبارة عن حلقة ضمن سلسلة المحاورة الكلامية التي تدور في فلك الحياة الاجتماعية الواقعية^(١).

تبنى مبادئ هذه النظرية مجموعة من فلاسفة أكسفورد، وعملوا على تطويرها في ما بعد، لا سيّما أوستين الذي تأثر بشدة بما نبّه إليه فتغنشتاين، فتصدى للردّ على فلاسفة الوضعية المنطقية في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٤ المعنونة بـ (كيف تنجز الأشياء بالكلمات) وقد جمعها أرمسون، وعدّها اثنتا عشرة، في كتاب نشر بعد وفاة أوستين سنة ١٩٦٠، بالإضافة إلى جهود سيرل البنائية^(٢). وقد مرّت هذه النظرية في نشأتها وتطوّرها بمرحلتين أساسيتين، هما:

- مرحلة التأسيس مع أوستين.
- مرحلة البناء مع سيرل.

أولاً: مرحلة التأسيس

قامت نظرية أوستين على مبدأ التتبع لجميع ما يمكن أن نفعله باللغة^(٣)، انطلاقاً من أن «إنشاء جملة لسانية هو في حدّ ذاته فعل لغويّ ينتمي إلى نظرية اللغة، التي تعدّ

(١) يُنظر: غماري، نصيرة، نظرية أفعال الكلام عند أوستين: ص ٨٠.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٢.

(٣) يُنظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة: ص ٢٩٣.

جزءاً لا يتجزأ من نظرية الفعل، إذ يحقق فعل القول في إطارها أفعالاً اعتقادية من قبيل التأكيد أو الأمر أو النهي أو الاستفهام أو التعجب^(١)، وجوهر هذا الرأي مرده إلى نظرة أوستين للغة، فهي عنده «ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وعليه فموضوع البحث يركز على ما نفعله بالتعبير التي نتلفظ بها (أفعال كلام)»^(٢)، وبذلك عارض آراء فلاسفة اللغة الوضعيين الذين يعتبرون أن الملفوظات غير الوصفية هي ملفوظات لا معنى لها، وعليه لا يوجد داع لدراستها، حيث أطلق أوستين على هذا التحديد لنظرية المعنى بالمغالطة الوصفية؛ لأنها حصرت المجالات الواسعة لاستعمال اللغة في الجمل الوصفية فقط^(٣)، وأوصى بضرورة الاهتمام بالجانب الاستعمالي، أي: التداولي للغة، إذ المعنى عنده هو الاستعمال^(٤)، ورأى أوستين أننا في الكلام ننجز الأشياء، أي: نخرجها من حيز العدم إلى الوجود، وانتهى في هذه المرحلة من تفكيره إلى التمييز بين صنفين من العبارات اللغوية^(٥): العبارات الوصفية، التي تصف حدثاً أو حالة معينة، ويمكن لهذا النوع أن يوصف بالصدق والكذب، والعبارات الإنشائية - الإنجازية: وهي من جنس الخبر إلا أنها لا تصف ولا تخبر ولا تثبت أمراً، لكن التلفظ بها

(١) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية معرفية، آليات التواصل والحجاج: ص ٦٥.

(٢) الباهلي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ص ١٢٣، ويُنظر: عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية معرفية آليات التواصل والحجاج: ص ٦٢.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٦١.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٦١.

(٥) يُنظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم: ص ٣١، نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٦٥.

يساوي إنجاز فعل كلامي في الواقع الخارجي^(١)، وليس الحكم عليها متعذراً، وإن كانت لا تقبل الحكم بمعيار الصدق أو الكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق^(٢)، وقد وضع أوستين مجموعة من المعايير المقامية لضبط نجاح هذه الأفعال، أطلق عليها شروط الملاءمة، وهي^(٣):

- أ- ١. وجود إجراء عرفي مقبول وله أثر عرفي محدّد، وأن يشتمل على كلمات محدّدة، ينطق بها أشخاص محدّدون في ظروف محدّدة.
- أ- ٢. ينبغي أن يكون أولئك الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدّد، وأن تكون الظروف مناسبة.

- ب- ١. ينبغي أن يؤدّي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحاً.
- ب- ٢. ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملاً.
- ج- ١. على المشارك في الإجراء أن يكون لديه تلك الأفكار والمشاعر التي يتطلّبها الإجراء.

- ج- ٢. على المشارك في الإجراء أن يوجّه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر.

ثم مضى أوستين يتأمّل الأفعال الأدائية، فوصل إلى أنّها نوعان: أدائيات صريحة، نحو: أعدك أن أكون هناك، وأدائيات أوليّة، نحو: سأكون هناك، فالمثال الأوّل صريح الدلالة على الوعد، ولا يحتمل غيره، أمّا المثال الثاني قد يكون وعداً أو لا

(١) يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام: ص ١٧.

(٢) يُنظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداوليّة اليوم: ص ٣١.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٦٤.

يكون^(١). وبذلك «فإنَّ الأدائيات الضمنية تعتمد اعتماداً أساسياً على المقام؛ إذ به تكون أدائية أو لا تكون، ولا كذلك الأدائيات الصريحة»^(٢).

أمَّا المرحلة الثانية للنظرية الأوستينية فتمثَّلت في إمكانية التمييز بين العبارات الوصفية والعبارات الإنجازية، فتبيَّن له - بعد جهد - أنَّ الحدود بين هذين النوعين من الأفعال مازالت غير واضحة؛ إذ وجد أنَّ شروط الأفعال الإنجازية الأدائية تنطبق أحياناً على أفعال ليست أدائية^(٣)، فعدل في بحثه من إمكانية التمييز إلى إمكانية اختزالهما في صنف واحد من فكرة أنَّ العبارات المصنَّفة على أنَّها عبارات وصفية، ليست في الواقع إلَّا عبارات إنجازية، فعلها الإنجازي غير ظاهر للسطح^(٤)، وتوصَّل إلى أنَّ لكلَّ منطوق أو كلام - بما في ذلك المنطوقات الوصفية - بعداً أدائياً، واقترح اختزال ذلك في إطار نظرية شاملة توحد كلَّ العبارات اللغوية في مصطلح واحد هو (الفعل الكلامي)^(٥) الذي يمثل مرحلة فكرية ثالثة عند أوستين، وخلص بذلك إلى أنَّ تلفظاً أو قول كلام ما يعني إنجاز فعل كلامي^(٦)، وقدم أوستين تقسيماً جديداً لفعل الكلام بهذا المعنى، فحسب رأيه ينجز المتكلم - بأيِّ لغة طبيعية - ثلاثة أنواع من الأفعال في آن واحد، وهي^(٧):

(١) يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: ص ٩٣، ٤٧، نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٦٦.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ٦٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٦٧.

(٤) يُنظر: المتوكَّل، أحمد، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري: ص ٢٣، عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص ١٧٣.

(٥) يُنظر: المتوكَّل، أحمد، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري: ص ٢٠، فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٠٨.

(٦) يُنظر: مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٩٧.

(٧) حريّ بنا أن نشير إلى اختلاف الباحثين في ترجمة هذه الأفعال الفرعية: فترجمها د. عبد القادر

١ - الفعل اللفظي: وهو يتألف من أصوات لغوية تتنظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه، وبذلك يتشكّل هذا الفعل من:

أ - الفعل الصوتي: وهو مجموع الأصوات التي تشكّل الكلمات.

ب - والفعل التركيبي: وهو بناء الكلمات في تركيب نحوي سليم.

ج - الفعل الدلالي: ما ينتج عن هذا التركيب من معنى أولي^(١).

٢ - الفعل الإنجازي: وهو ما يؤدّيه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي^(٢).

٣ - الفعل التأثري: وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع^(٣)، وهذه النتائج أو الآثار تعتبر خارج نطاق اللغة ودراستها خارج دراسة اللغة، وهي ليست نتيجة ضرورية ولازمة في كلّ أفعال الكلام، فهناك أفعال كلام لا تتبعها

قيني في كتاب: نظرية أفعال الكلام العامة: ١٢٣، ب(فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام)، بينما ترجمها د. طه عبد الرحمن في كتابه: اللسان والميزان: ٢٦٠ ب(الفعل الكلامي، والفعل التكلمي، والفعل التكليمي)، أمّا مسعود صحراوي فيسمّيها في كتابه: التداولية عند العلماء العرب: ٤١، (فعل القول، والفعل المتضمّن في القول، والفعل الناتج عن القول)، وترجمه عادل فاخوري في محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٩-١١٠ ب(فعل القول، والفعل في القول، والفعل بالقول)، وقد اعتمد البحث على ما أطلقه د. محمود أحمد نحلة في كتابه آفاق جديدة: ص ٤٧، ود. أحمد المتوكّل، في اللسانيات الوظيفية: ص ٢٤.

(١) يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: ص ١٢٥، صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٤١.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٥، صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٤٢.

(٣) يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: ص ١٣١، نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٦.

تأثيرات كلامية سوى إدراك المقاصد^(١)، ويصنّف أوستين الأفعال الكلامية على أساس القيمة الإنجازية إلى خمسة أصناف عامة^(٢):

- أفعال الأحكام: وهي التي تمثّل في حكم يصدره قاض أو حكم.
- أفعال الأحكام والقرارات: وتتمثّل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن، والطرء، والحرمان، والتعيين.
- أفعال التعهّد: وتتمثّل في تعهّد المتكلّم بفعل شيء، مثل الوعد، والضمان، والتعاقد، والقسم.
- أفعال السلوك: وهي التي تكون ردّ فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر، والمواساة.
- أفعال الإيضاح: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي، مثل الاعتراض، والتشكيك، والإنكار.

إنّ ما قدّمه أوستين في مرحلة التأسيس لم يكن كافياً لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنّه كان كافياً ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديد عدد من المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصّة الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوماً محورياً في هذه النظرية^(٣).

الكلامية، بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين^(٤)،

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٦، الخليفة، هشام عبد الله، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ص ٩١.

(٢) يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: ص ١٨٦، الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: ص ١٥٦، فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١١١-١١٢.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٧.

(٤) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٧، عبد الحق، صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل: ص ٥٤.

وكانت دراسة اللغة عند سيرل في كتابه (أفعال الكلام) بمثابة خطوة أولى في رحلة طويلة، لا تعدو أن تكون اللغة معلماً واحداً من معالمها، أمّا بقيّة المعالم الأخرى فكانت الوعي، والقصدية^(١)، والواقع الاجتماعي^(٢).

ويعرّف سيرل أفعال الكلام بأنّها: «أقلّ الوحدات في التواصل اللغوي، أو قل: إنّ الفعل الكلامي هو أقلّ وحدة في استعمال اللغة الفعلي»^(٣). ويمكننا أن نلخص مجمل جهود سيرل بالآتي^(٤):

١- نصّ سيرل على أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأنّ للقوّة الإنجازيّة دليلاً يسمّى دليل القوّة الإنجازيّة، يُبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدّيه المتكلّم بنطقه للجملة، مثل: النبر والتنغيم، وعلامات الترقيم، وصيغة الفعل، وما يسمّى الأفعال الأدائيّة.

٢ - قام بتعديل التقسيم الذي قدّمه أوستين للأفعال الكلاميّة، فجعله أربعة أقسام:

- **الفعل النطقي:** وهو يشمل الجوانب الصوتيّة والمعجميّة والنحويّة.
- **الفعل القضوي:** الذي يشمل المتحدّث عنه أو المرجع، والمتحدّث به أو الخبر.

(١) ركز سيرل على مفهوم القصد باعتبار (فعل الكلام) مظهراً من مظاهر القصدية، ذلك أنّ معرفة الرسالة أو القول لا تنحصر في فهم نظام اللغة وحده، بل يتطلّب الأمر معرفة مسبقة بالسياقات التي تتجاوز حدود الدلالة اللسانية التقليديّة إلى خلق دلالات تتسجم وتتلاءم مع فعل الكلام بوصفه مظهراً للقصدية. ينظر في ذلك: عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نتغيّر، مقارنة تداوليّة معرفيّة آليات التواصل والحجاج: ص ٧١.

(٢) يُنظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل: ص ٤١-٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٤.

(٤) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٧-٤٨.

- الفعل الإنجازي: وهو ما يؤدّيه التلقّظ من إنجاز فعل في الواقع.
- الفعل التأثري: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقّيه.
- ٣ - الفعل الكلامي عند سيرل أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي.
- ٤ - قام سيرل بتطوير شروط الملاءمة فجعلها أربعة شروط^(١):
- شرط المحتوى القضوي: ويتحقّق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى قضية).
- الشرط التمهيدي: ويتحقّق إذا كان المتكلّم قادراً على إنجاز الفعل.
- شرط الإخلاص: ويتحقّق حين يكون المتكلّم مخلصاً في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع.
- الشرط الأساسي: ويتحقّق حين يحاول المتكلّم التأثير في السامع؛ لينجز الفعل.
- ٥- أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازيّة، فبيّن أوجه الضعف فيه^(٢)، فقدّم تصنيفه البديل على أسس منهجيّة ثلاثة: (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شروط الإخلاص)، وأبقاها خمسة أصناف على النحو الآتي^(٣):
- أ - الإخباريات *Assertives*: والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلّم واقعة ما

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٤٨. كما أشار إلى أنّ ثمة اثني عشر بعداً يختلف بها كل فعل إنجازي عن الآخر. فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١١٤-١١٥، ونحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٧٥.

(٢) وجه سيرل لتصنيف أوستين عدّة اعتراضات، منها: افتقاره بوجه العموم إلى مبادئ واضحة ومتناسكة يعتمد عليها للتمييز بين الأفعال الكلامية. للاستزادة يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١١٣، عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص ٢٢٩.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٧٨.

(بدرجات متفاوتة) من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، والإخباريات تحتل إحدى قيمتي الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، أما الحالة النفسية لها فهي الاعتقاد.

ب - التوجيهيات *Directives*: وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها دائماً هو فعل السامع شيئاً في المستقبل.

ج - الالتزاميات *commissives*: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو النية أو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل.

د - التعبيريات *Expressives*: وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة.

هـ - الإعلانيات *Declarations*: والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أدائها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وأنها تحدث تغييراً في الوضع القائم، فضلاً على أنها تقتضي عرفاً لغوياً، واتجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص^(١).

كان أوستين قد فرّق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، ثم جاء سيرل فخطأ في هذا الاتجاه خطوة واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسماها الأفعال

(١) سُجِّلَت بعض الانتقادات على تصنيف سيرل، للاستزادة يُنظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في اللغة العربية: ص ٥٠٨، الخليفة، هشام عبد الله، نظرية الفعل الكلامي: ص ١٣٠.

المباشرة (Direct) وغير المباشرة (indirect)^(١)، والأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أما غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

لذلك نظرية الأفعال الكلامية ترى في اللغة طاقة كامنة بوصفها وسيلة لإنجاز أعمال، فرسخت تحليل اللغة والدلالة في التناول الذي يعنى بقول المتكلم، فيعدّ عملاً حقيقياً يضاهي الحدث المادّي المنجز بواسطة اليد، وهذه النظرية تتقاطع مع الرؤية القديمة للغة التي تعدّها أداة لوصف الواقع، كما تتقاطع مع اللسانيات الأولى السوسيرية والبنوية، إذ ركزت النظر على قواعد اللغة الداخلية منفصلة عن الكلام، ويؤكد سيرل أنّ عملية توجيه التحليل للكلام ليست مجرد دراسة له بالمصطلح السوسيري، بل هي دراسة للغة في كليتها^(٢).

ولا تخفى جذور نظرية الأفعال الكلامية في الفكر العربي، إذ حفلت كتب علماء الكلام والمناظرة والأصول والنحو بإشارات مهمّة في هذا المجال، بل يمكن القول أنّ العرب قد عرفوا نظرية الفعل الكلامي بكلّ أبعادها، إذ كانت تشكّل عند علماء البلاغة الجزء الأكبر من علم مستقل بذاته وهو علم المعاني^(٣)، إذ تعدّ نظرية الخبر والإنشاء من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين، مع اختلاف طفيف، ولا يهمنّا هذا الاختلاف مادام اختلاف (عموم وخصوص) ولا يتعدّها إلى الخصائص الجوهرية، مع عدد من الفروق المنهجية بين النظريتين^(٤).

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٨٠.

(٢) يُنظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ٥٦-٥٥.

(٣) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٢٣.

(٤) يُنظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٥٠-٤٩.

المبحث الأول

الأفعال الكلامية المباشرة

هي الأفعال «التي يتلفظ بها المرسل في خطابه، وهو يعني حرفياً ما يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده من الإنتاج»^(١)، أو هو «الحدث الكلامي أو الخطابي الذي يدلّ عليه ملفوظ معيّن دلالة مباشرة وحرفيّة»^(٢)، وعليه فإنّ علاقة التركيب - الشكل - بالوظيفة التواصلية التي يؤدّيها، هو الفيصل في إضفاء صفة المباشرة لهذه الأفعال، فإذا قصد المتكلّم توظيف القوّة الإنجازيّة الحرفيّة لحمل غرضه من الكلام أصبح الفعل منزّهاً عن أيّ تأويل آخر، أو معنى إضافي، فيسدّ بذلك المتكلّم الثغوب التي تهبّي لأن يترشّح منها تأويلات إضافية، والسبيل إلى ذلك منوط بالمتكلّم عن طريق تقديم منطوق الفعل الكلامي بشكل محدّد وصيغة تركيبية واضحة للدلالة على المعنى المراد على وفق قواعد اللغة وأعرافها الاجتماعية، وبذلك يمكن أن يقال: إنّ الفعل الكلامي المباشر هو «الذي يعتمد المتكلّم من أجل تحقيقه، والمخاطب من أجل اكتشافه والتعرّف عليه، على ما تحتويه البنية اللسانية الشكلية للملفوظ مباشرة»^(٣)، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد

(١) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: ص ١٣٥.

(٢) سرحان، إدريس، طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربيّة وآليات التواصل والاستدلال: ص ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٤٢.

المتكلم بإدراكه لعنصرين مهمين، هما: معاني الكلمات التي تتكوّن منها الجملة (الرصيد المعجمي)، وقواعد التأليف التي تنظّم بها الكلمات في الجملة^(١).

أمّا عن أولويّة استعمالها أو فضلها على الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، فهذا منوط - من وجهة نظر البحث - بقصد المتكلم وغاياته الكامنة خلف إنتاج ملفوظاته، وهو بدوره محكوم بظروف المقام ودواعي الاستعمال؛ فلوّربّا تكون الأفعال الكلاميّة المباشرة هي الأنسب والأجدر بالاستعمال والتقديم في ظروف ومواقف معيّنة تتطلّب المباشرة والتصريح الصريح دون استبطان غايات أو سوق الكلام على وفق درجات تحتاج لقرينة حتّى يمسك المخاطب بالقصد، بينما تكون الأفعال الكلاميّة غير المباشرة الأنجح في مواقف تتطلّب تحاشي المحظورات أو التحايل على حواجز غير مرغوب فيها، يجعل استعمالها له مزيّة على غيرها، وبذلك لا يمكن تحديد أيّهما أفضل ماداماً يشكّلان أداة لإنجاز فعل يرومه المتكلم^(٢). ولعلّ المبحث الأساس لأعمال أوستين وسيرل التحليليّة هو الأفعال الكلاميّة المباشرة وشروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة، ويستعمل المخاطب صيغة المباشرة عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، ورغبته في أن يكلف المتلقّي بعمل ما، أو يوجّهه لمصلحته من جهة، وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي معيّن^(٣)، وسيعمل البحث مقارنة تطبيقية لأنواع الأفعال الكلاميّة على كلام الإمام الحسين عليه السلام، نعرضها في مطلبين بحسب اتجاه المطابقة في الأفعال الكلاميّة:

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٨١.

(٢) يُنظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: ص ١٣٥.

(٣) يُنظر: عكاشة، محمود، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): ص ٧٨.

المطلب الأول: الأفعال التي يكون فيها اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم

أولاً: الإيقاعيات^(١)

هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً للفظه في الوجود، فأنت تنجز بالقول فعلاً، ويقابل هذا النوع من الأفعال في تقسيم سيرل (الإعلانيات)^(٢)، وهي «تتسع لتشمل أفعال البيع والشراء، والهبة، والوصية، والوقف، والإجازة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار والدعوى، والإنكار والقذف، والوكالة، وإعلان الحرب، وهذه الأفعال كلّها يقع الفعل بمجرد النطق بلفظها»^(٣)، ولا يخفى أنّ هذا الصنف يمثل نقطة انطلاق النظرية كلّها، وتقتضي لتحقيقها أن يكون المتكلم يمتلك السلطة التي تؤهله لإنجاز كهذه الأفعال، إذ «يتوجب على المتكلم تسنّم دور مؤسّساتي في سياق معيّن لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة»^(٤)، ومن تجلياتها في كلام الإمام عليّ ما يأتي:

(١) سنعتمد على تصنيف الدكتور محمود أحمد نحلّه؛ لأنّه يعدّ أوّل محاولة عربيّة في تصنيف الأفعال الكلاميّة، والأخذ به يجنّبنا الانزلاق في بعض المخاطر الحافّة بتطبيق هذا المنهج الغربي على متن عربي مقدّس. يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٩٨.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ٨٠، ويقابلها الدكتور عادل فاخوري بـ(التصريحيّات) وهي ترجمة ثانية لمصطلح سيرل على هذه المجموعة نفسها. يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٢١.

(٣) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٩٨.

(٤) يول، جورج، التداوليّة: ص ٨٩.

١ - عقد الزواج:

من الأمثلة على هذا الصنف في كلام الإمام عليه السلام ما ورد في قوله عليه السلام لمروان بن الحكم عندما جاء ليخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ليزيد، في ختام محادثة جرت بينهما في المسجد: «فاشهدوا جميعاً أنّي قد زوجتُ أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر، على أربعمئة وثمانين درهماً، وقد نحلّتها ضيعتي بالمدينة، وأنّ غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله»^(١).

إذ صدر هذا الخطاب من الإمام عليه السلام وهو كبير أهل البيت عليه السلام، والقاضي في أمورهم، حتّى أنّه عندما خطب مروان بن الحكم أم كلثوم من أبيها جعفر أجابه بأنّ: «أمرها ليس إليّ، إنّما هو إلى خالها سيّدنا الحسين عليه السلام»^(٢)، فالإمام عليه السلام يحمل سلطة مطلقة بوصفه الخليفة الشرعي بعد أخيه الحسن عليه السلام، فضلاً عن سلطة القربى، فعند تلفّظه بـ (أنيّ قد زوجتُ أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر، على أربعمئة وثمانين درهماً) أنجز فعلاً كلامياً مباشراً، وانتهى بقوله هذا نقاشه مع مروان الذي كان يُصّرّ على تزويجها من يزيد، فالفعل الكلامي (زوجتُ...) استمدّ قوّته من سلطة الخطاب الحسيني، والمخاطب (عبد الله بن جعفر) قادر على إنجاز الفعل، بأن يزوّج ابنته لابن عمّها، والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجازهِ (الشرط التمهيدي)، وممّا زاد الفعل قوّةً وروده

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٠٤، ويُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم:

ص ٨٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٩.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٧.

بلفظ الماضي لفظاً، إلا أنه يدلّ على المستقبل معنى؛ لأنّ الزواج دخل حيّز الوجود بعد أن تلفّظ الإمام عليه السلام بالكلام، وقد أورده الإمام عليه السلام بلفظ الماضي؛ ليمنحه قوّة الإنجاز مستقبلاً، وهذا هو الأسلوب المتبع بحسب الفقه الإسلامي أن يرد التلفّظ بعقد الزواج بصيغة الماضي «فلا بدّ من وقوعها بلفظ الماضي الدالّ على الإنشاء»^(١)، إذ «التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيه على تحقيق وقوعه»^(٢)، زاد على ذلك اقترانه بـ (قد) ليضفي عليه سمة التحقق، إذ تستعمل (قد) مع الأشياء المترقّبة، قال الخليل: إنّ قول القائل (قد فعل) كلامٌ لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤدّن: قد قامت الصلاة، لأنّ الجماعة منتظرون، ووقتها قد تحقّق^(٣)، ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بذلك، بل حدّد المهر أيضاً، وهو بذلك يحاكي العرف الاجتماعي السائد، وقد ذكر سيرل أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي^(٤)، وقد تمثّلنا ذلك بقول الإمام عليه السلام عندما سار على سنّة رسول الله ﷺ في التلفّظ بصيغة العقد (بلفظ الزمن الماضي) وتحديد مهر بناته ونسائه وأهل بيته، وهو «اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمئة وثمانين درهماً»^(٥). وعليه:

- فالفعل النطقي هو: (زوّجْتُ) ويتكوّن من مجموعة أصوات منتظمة في

(١) المحقّق الحليّ، جعفر بن الحسين، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: ج ٢، ص ٤٩٨. ويُنظر: الشهيد الأوّل، محمد بن مكيّ العاملي، اللمعة الدمشقيّة: ص ١٦١.

(٢) البابرتي، محمد بن محمد، شرح التلخيص: ص ٢٦٢.

(٣) يُنظر: المصري المالكي، حسين بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٢٥٦.

(٤) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٧٣.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، المقنع: ص ٣٠٢، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٠٨، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٨٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٢٩٨.

تركيب اسنادي صحيح، متكوّن من: فعل ماضي (زوّج - تَ الفاعل)
= جملة مفيدة مرتبطة بمقام معيّن.

- الفعل القضوي: ويتمثّل بالمرجع المخبر عنه، وهو (أمّ كلثوم)، والخبر
هو زواج أمّ كلثوم، اللذان يشكّلان القضية، وهي تزويج أمّ كلثوم من
ابن عمّها القاسم.

- الفعل الإنجازي: هو إيقاع الزواج.

- الفعل التأثري: استجابة كلّ الأطراف المسؤولة عن القضية لتحقيق
الزواج أولاً، ورفض طلب مروان ثانياً.

والشرط هو الإخلاص في العمل، واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم؛ لأنّ
ما أنجز بالكلمات تحقّق في العالم، ومن ثمّ تحدث تغييراً في الوضع القائم.

٢ - الهبة:

لو عدّنا إلى قول الإمام عليه السلام لوجدناه يشتمل على فعل كلامي آخر، وهو
(نحلّتها) في قوله عليه السلام: (وقد نحلّتها ضيعتي بالمدينة)، إذ انتقلت ملكيّتها بمجرد
التلفّظ بلفظ الفعل إلى أمّ كلثوم، وبذلك يعدّ هذا الفعل من صنف الإيقاعيّات،
ومعنى (نحل): «عطاؤك الإنسان شيئاً بلا استِعاضة، وعمّ به بعضهم جميع أنواع
العطاء، وقيل: هو الشيء المعطى، وقد أنحلّه مالا ونحلّه إياه، وتقول: أعطيتها مهرها
نحلة»^(١)، وقد اتفق أسلوب الصياغة الصرفيّة لكلا الفعلين: (قد زوّجت أمّ
كلثوم) و(قد نحلّتها...) إذ وظّف التعبير بصيغة الماضي لفظاً لا معنى، ولو كان
هذان الفعلان ماضيين لفظاً ومعنى لانتقلا إلى صنف الإخباريّات، ولصحّ وصفهما

(١) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٦٥٠، مادة (نحل).

بالصدق أو الكذب، ولكن بمعينة القرائن المقامية امتنع أن يكونا من صنف الإخباريات، وتميّزا باقتضائهما عرفاً غير لغوي - اعتماد الصيغة اللفظية المعهودة في إتمام الزواج، وامتلاك الضيعة - لذلك كان اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم. فيكون:

- الفعل النطقي: يتمثل بنطق الأصوات المكوّنة للألفاظ على نسق نحوي، وهي: (نحلتها ضيعتي).
- الفعل القضوي: يتمثل بالمرجع لتكلم عنها، وهي (الضيعة)، والخبر وهو (نحلها لأُمّ كلثوم). ويشكّلان المحتوى القضوي، وهو: نحل الإمام عليه السلام ضيعته لأُمّ كلثوم.
- الفعل الإنجازي: الهبة.
- والفعل التأثيري: هو انتقال الملكية إلى أُمّ كلثوم.

والملاحظ على هذين الفعلين قد شكّلا فحوى خطاب الإمام عليه السلام الذي يؤدّي بدوره وظيفة - فكرة مستقلة - قصد الإمام منها توجيه رسالة إلى جميع الحضور في المسجد بصورة عامّة ومروان بن الحكم بصورة خاصّة، مفادها: رفض طلب مروان لأُمّ كلثوم، وبذلك ينتقل الفعل الكلامي من إطار الجملة إلى إطار النص، وهذا المعنى نجده في تحليل فان دايك (١٩٨٠) لأفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة عند مؤسّسها (أوستين) إلى طريق النصّ، واصطلح عليها (أفعال الكلام الكبرى) ويريد به: «فعل الكلام الإجمالي الذي يؤدّيه منطوق الخطاب الكلي، والذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة»^(١)، فيتبلور عندنا سلسلة من

(١) دلاش، الجيلاني، مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص ١٣٥.

الأفعال الكلامية المنفردة، تشير إلى مقصد إجمالي واحد، يمكن بيانها بالتوضيح الآتي:

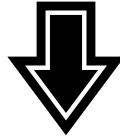
- طلب مروان أمّ كلثوم ليزيد من الإمام الحسين عليه السلام.
- وأجابه الإمام عليه السلام:



- الفعل الكلامي الأول: أني قد زوجتُ أمّ كلثوم من ابن عمّها القاسم.

+

- الفعل الكلامي الثاني: وقد نحلّتها ضيعتي في المدينة.



الفعل الكلامي الكبير الناتج من تسلسل الفعلين: الرفض لطلب مروان بن الحكم.

والفرق بين الأفعال الكلامية - الصغرى - التي تكوّن النصّ والفعل الكلامي الكبير الذي يقوم على تلك الأفعال الضمنية من وجهة نظر البحث هو: أنّ تلك الأفعال تكون مباشرة، والفعل الكبير يكون غير مباشر، يفهم من توحيد إنجازيّة تلك الأفعال في مقصدية موحّدة، وهذا الفرق ينعدم في الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ إذ يتوحد أسلوبها مع أسلوبه فينعدم الفرق، وتكون بذلك العلاقة بينهما في كلا النوعين علاقة الجزء بالكلّ.

٣ - الأمر التوجيه:

مثال ذلك أيضاً في كلامه عليه السلام مع مسلم بن عقيل^(١) عندما بعثه إلى الكوفة بكتاب ليتعرّف له حال أهل الكوفة، حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له، ثم طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلماً بن عقيل (رحمه الله) فدفع إليه الكتاب، وقال عليه السلام له: «إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فأنزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتّى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى»^(٢).

وقد خرج مسلم بن عقيل بعد إنجاز هذا الخطاب، من مكّة نحو المدينة مستخفياً؛ لئلا يعلم أحد من بنى أميّة، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد النبي ﷺ، فصلّى ركعتين، ثم خرج في جوف الليل، وودّع أهل بيته، ثم استأجر دليلين^(٣)، ولا يخفى الخطر الذي يحفّ بهذه السفارة، إلّا أنّه استجاب للأمر المترشّح من قول

(١) مُسْلِم بن عَقِيل (٦٠ هـ - ٦٨٠ م): وهو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، تابعي، من ذوي الرأي والعلم والشجاعة. كان مقيماً بمكّة، وانتدبه الإمام الحسين عليه السلام ليتعرّف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له. فرحل مسلم إلى الكوفة، فأخذ بيعة ١٨٠٠٠ من أهلها، وكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام بذلك، فشعر به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه، فمنعه الناس، ثم تفرّقوا عنه، فأوى إلى دار امرأة من كندة فأخفته. ولم يلبث أن عرف مكانه، فقبض عليه ابن زياد وقتله. يُنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٢.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٣١، ويُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٨٤، العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٣١٢-٣١٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٨٠.

(٣) يُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٨٤.

الإمام عليه السلام: (إني موجهك إلى أهل الكوفة) فحقّق بقوله هذا فعلاً كلامياً مباشراً، فمجرّد النطق به أحدث تغييراً في الواقع أو الخارج، لذا هو من عائلة الإيقاعيّات، والمتكلّم - الإمام عليه السلام - يمتلك السلطة المؤثّرة في السامع - مسلم بن عقيل - لينجز المهمّة الموكلة إليه (الشرط الأساسي) وفحوى هذه المهمّة إرسال مسلم بن عقيل لمعرفة حال أهل الكوفة من بيعة الإمام عليه السلام (المحتوى القضوي) والمتكلّم عالم بقدرة المخاطب على الامتثال للأمر وإنجازه (الشرط التمهيدي) وبذلك حقّق المتكلّم:

- الفعل النطقي: وهو انتظام ما استعمل من أصوات في مفردات وتراكيب صحيحة: (إني موجهك إلى أهل الكوفة).

- الفعل القضوي: ويتمثّل بالمرجع، وهو مسلم بن عقيل المشار إليه بضمير الخطاب (الكاف) في قوله عليه السلام: (موجهك)، والخبر (توجيه مسلم) وما تكوّن من قضية: توجيه الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة...

- الفعل الإنجازي: الأمر.

- الفعل التأثيري: امتثال مسلم بن عقيل لأمر الإمام عليه السلام.

والشرط الإخلاص في العمل، إذ الإمام عليه السلام يريد حقّاً أن يؤدّي مسلم المهمّة، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم.

٤ - رفض البيعة إعلان الثورة:

مّا جرى على هذا النحو من نصوصه المباركة، قوله في مجلس الوليد بن عتبة عندما طلب منه البيعة ليزيد بعد وفاة معاوية: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَحَلُّ الرَّحْمَةِ، وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ، وَبِنَا خَتَمَ، وَبِزَيْدٍ رَجُلٌ فَاسِقٌ، شَارِبُ خَمْرٍ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ لِثَلَاثَةٍ، وَلَكِنْ نُصْبِحُ

وَنُصَبِّحُونَ، وَنَنْتَظِرُ وَنَنْتَظِرُونَ، أَيَّنَا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ وَالْبَيْعَةِ»^(١).

لو عدنا إلى الأوضاع السياسية قبل هذه الخطبة لوجدناها مضطربة أيما اضطراب، وقد دعا خلق كثير من كبراء المسلمين الإمام عليه السلام لخلع معاوية بعد استشهاد أخيه الحسن عليه السلام إلا أنه التزم بنود الصلح، واستمر على عهد أخيه مع معاوية رغم نقض معاوية العهد، ومخالفة بنود الصلح في أكثر من نقطة، واستمر الإمام عليه السلام على عهده حتى أخذ معاوية بتنصيب يزيد خليفة، وإلزامه الناس بالبيعة له، فانتفض الإمام لهذه المخالفة الصارخة لبنود الصلح التي تقضي بتسليم الإمام الحسين عليه السلام الخلافة بعد معاوية، وخالف - أيضاً - الأعراف السائدة بين المسلمين، إذ الصيغة التي طرحها معاوية للخلافة مبتدعة، لم يسبق لها مثيل^(٢).

فتصدى الإمام عليه السلام لمعاوية، إلا أن معاوية أراد أن يمكر به، ولكنه توفى قبل أن يدرك ذلك، وكانت من آخر وصايا معاوية لابنه يزيد أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، كما كانت من أولى اهتمامات يزيد نفسه، فكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة، وهو والي المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي بن أبي طالب^(٣)، فلما بعث إليه الوالي، دار بينهم الحديث،

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤، ويُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٨، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٩٢، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٤، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٣، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٤٤.

(٢) يُنظر: الجلال، محمد رضا، الحسين عليه السلام حياته وسماته: ص ١٢٥.

(٣) يُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٧، ص ١٣٨، الجلال، محمد رضا، الحسين عليه السلام حياته وسماته: ص ١٢٧.

وأعلن رفضه للبيعة، ومن ثم أعلن ثورته على يزيد^(١).

ومن هنا يتضح علّة تسلسل الجمل الإخبارية التي أنتجها الإمام عليه السلام في خطابه للوليد، مع أنّ الوليد عارف بمضمونها؛ وإذ ذاك ينبغي الغرض الإنجازي الذي احتواه خطابه عليه السلام بقوله: (إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ) (وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ) (وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ) (وَمَحَلُّ الرَّحْمَةِ) (وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ، وَبِنَا خَتَمَ) (وَمِثْلِي لَا يَبَايِعُ لِمِثْلِهِ)

إذ وظّف الإمام عليه السلام غرضها الإخباري لإيقاع رفض البيعة، وإعلان الثورة من أروقة دار الإمارة، فقال (ومثلي لا يبايع لمثله) فانتج فعلاً كلامياً مباشراً مفاده رفضه عليه السلام ومن اتبعه لبيعة يزيد ومن مثله، وتحقيق إعلان الثورة بنجاح مذ نطق الإمام عليه السلام بهذه المتتاليات الإخبارية عامّة حتّى ختمها بالفعل الكلامي (ومثلي لا يبايع...)؛ إذ رافق هذا القول طقوس مصاحبة (فعل تأثيري) تمثّلت بتقلّد آل هاشم السلاح واجتماعهم عند باب قصر الإمارة، منتظرين الإمام عليه السلام وحمايته إن ألمّ به مكروه، وبعد أن سمعوا كلام الإمام عليه السلام وما رافقه من ارتفاع صوته (دليل القوّة الإنجازيّة) همّوا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الإمام عليه السلام سريعاً، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم^(٢)، وبذلك تكون اللغة وسيطاً لبناء الواقع والتأثير فيه، لا مجرد أداة للأخبار والوصف، فيكون التركيز على ما نفعله أو نقصده من إنتاج التعابير التي نتلفّظ بها، وبذلك رأينا كيف وظّف عليه السلام القوّة الإخبارية لخدمة فعل كلامي أو إنجازه.

- فالفعل النطقي: هو قوله (ومثلي لا يبايع لمثله).

(١) يُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج ٧، ص ١٣٨، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٤.

(٢) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٤٥.

- الفعل القضوي: ويتكوّن من المرجع وهو الإمام عليه السلام في قوله (مثلي)، والخبر (لا يبايع مثله = يزيد)، وبهما تتشكّل القضية (عدم بيعه الإمام عليه السلام ليزيد).
- الفعل الإنجازي: هو الامتناع عن البيعة.
- الفعل التأثيري: إعلان الثورة على الظلم، ممّا ترتّب على ذلك استعداد يزيد لحرب الإمام عليه السلام.

وقد جاء الفعل الكلامي بصيغة الجملة الإسمية؛ ليدلّ على الثبوت والدوام (ومثلي لا يبايع) وهو دليل على القوّة الإنجازيّة وتحقّقها. والشرط الإخلاص، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، أمّا الحالة النفسية فهي الرغبة والتصميم في إنجاز الفعل. ونظرة واحدة على الأفعال الكلامية من هذا الصنف (الإيقاعات) نجدها قد صيغت من الفعل الماضي، ومن الجملة الإسمية - كما تقدّم في الأمثلة - وهذا لعلّه يكشف عن مقصدية الإمام عليه السلام في التأكيد على إنجاز الفعل وتحقيقه، فهو بذلك لم يكتف بالقصد المركوز في ذهنه عليه السلام، بل وظّف العرف اللغوي لبيانه (الصيغ التركيبية التي تدلّ على الثبوت) والأعراف غير اللغوية لبيان ذلك القصد.

ثانياً: الإخباريات

هي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثاً في العالم الخارجي، والغرض الإنجازي لهذا الصنف من الأفعال هو نقل الواقع نقلاً أميناً، فإذا تحقّقت الأمانة في النقل فقد تحقّق شرط الإخلاص، وإذا تحقّق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازاً ناجحاً أو تاماً، وإلا أصبحت أخباراً معيبة، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم^(١)، بمعنى أنّ تطابق الكلمات الواقع الخارجي الذي تخبر عنه، والهدف المرجو من هذه

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٣-١٠٤.

الأفعال هو «تعهد المتكلم (بدرجات منوعة) بكون شيء ما حقيقة واقعة، وبصدق القضية المعبر عنها، وجميع أعضاء هذه الفئة قابلة للتقسيم في حدود الصدق والكذب»^(١)، أمّا الحالة النفسية المرافقة لها فهي الاعتقاد^(٢).

وتشمل الإخباريات عمل الإثبات والنفي، فإنّ «معاني الكلام كلّها معانٍ لا تتصوّر إلّا فيما بين شيئين، والأصل الأوّل هو الخبر، وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع. ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس، أنّه لا يكون خبراً حتّى يكون مخبراً به ومخبراً عنه، لأنّه ينقسم إلى إثبات، ونفي والإثبات، يقتضي مثبتاً ومثبتاً له، والنفي يقتضي منفيّاً ومنفيّاً عنه. فلو حاولت أن تتصوّر إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه، حاولت ما لا يصحّ في عقل»^(٣)، وقد ذكر الزركشي «أنّ الإثبات شطر الكلام؛ لأنّ الكلام إمّا إثبات أو نفي»^(٤). وسيتوخى البحث عرضهما على الوجه الآتي:

١- الإثبات:

الإثبات من جهة المحتوى القضوي «يحتمل أن يكون تعبيراً عن حالة أشياء وقعت قبل زمان إنشائه، أو عن حالة أشياء مزمنة لإنشائه، أو لحالة أشياء يعتبر المتكلم أنّها واقعة لا محالة بعد زمان الإنشاء»^(٥)، ونقارب ذلك ما جاء في كلام الإمام عليه السلام بالآتي:

(١) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص ٢٣٢.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١١٩.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ج ١، ص ٣٤٤.

(٤) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ص ٥٤٣.

(٥) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية: ص ١٨٤.

أ- الإخبار عن أشياء وقعت قبل زمان إنشاء الخبر:

من تجليات هذا النمط تلك الأخبار التي تصل إلى الإمام عليه السلام ويطالعه أفراد قافلته، وقد كان من أشد تلك الأخبار وقعاً على نفسه عليه السلام أثناء مسيره إلى كربلاء، هو خبر مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة^(١)، وعبد الله بن بقطر، فأتى ذلك الخبر الإمام عليه السلام وهو بزبالة^(٢)، فأخرج للناس كتاباً، فقرأ عليهم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَيْرُ فِطْيَعٍ، قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَهَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ بَقَطْرٍ، وَقَدْ خَذَلْتَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنْصَافَ فَلْيَنْصَرَفْ، لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ»^(٣).

(١) هانئ بن عروة (٦٠ هـ = ٦٨٠ م): هانئ بن عروة بن الفضفاض بن عمران الغطفاني المرادي، أحد سادات الكوفة وأشرفها. كان أول أمره من خواص الإمام علي عليه السلام. ثم كان عبید الله بن زياد (والي البصرة والكوفة) يباليغ في إكرامه إلى أن بلغه أن مسلماً بن عقيل مختبئ عنده، وكان ابن زياد جاداً في البحث عن ابن عقيل، فدعا بهانئ وعاتبه، فأنكر، فأثاه بالمخبر، فاعترف وامتنع من تسليمه. وغضب ابن زياد، وضربه، وحبسه، ثم قتلته، وصلبه بسوق الكوفة. وفيه وفي ابن عقيل، يقول عبد الله بن الزبير الأسدي قصيدته التي أولها:

إذا كنت لا تدري ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر، يهوي من طمار، قتيـل

و(طمار) كقطاع: المكان المرتفع، يقال: انصب عليهم فلان من طمار، أي: من عل، وموضع قبره في الكوفة. يُنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام: ج ٨، ص ٦٨-٦٩. (٢) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وقال أبو عبيد السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد. ويوم زبالة: من أيام العرب، قالوا: سميت زبالة بزبلها الماء، أي: بضبطها له وأخذها منه، يقال: إن فلاناً شديد الزبل للقرب والزمل إذا احتملها، ويقال: ما في الإناء زبالة، أي: شيء، والزبال: ما تحمله النملة بفيها، وقال ابن الكلبي: سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العماقة نزلتها، وإليها ينسب أبو بكر محمد بن الحسن بن عياش الزبالي. يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٩٧-٣٩٨. وينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام: ج ٥، ص ١١.

والمأمل في خطاب الإمام عليه السلام، يجده يقوم على ثيمتين ونتيجتهما، فأخبر عليه السلام: (فإنه قد أتانا خبر فظيع، قتل)، ثم أردف خبراً آخر: (وقد خذلتنا شيعتنا)، بعد ذلك خلص إلى الغرض من الخبر وهو التمهيص، بمعنى تنقية من رافقه واختبارهم؛ ليبقى معه المخلصون فقط، الذين خرجوا عن عقيدة وإيمان مطلق بأنه الخليفة الشرعي لرسول الله ﷺ، وقد صاغه المتكلم عليه السلام بقوة إنجازية عالية تمثلت بأداتي التوكيد (إن، وقد) ومعلوم أن واسم التوكيد يأتي لدفع شك أو توهم، ولا يحتاجها المتكلم في الخبر الذي ليس للمخاطب ظن في خلافه^(١)، واستعمال التوكيد في هذا الخبر ليس لدفع شك على ما يبدو، وإنما لتقديمه بقوة لا يقبل معها النقاش، وجعله يحمل طابع التسليم لما يقال، وهو تمهيد، لقوله: (فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف^(*))، ليس عليه مزام، فالخبر هنا يحمل مقصدية معينة إذ جاء مقدّمة لفعل كلامي آخر من نوع الإيقاعات، يروم به اختبار من جاء معه، فأحدث تغيراً في الواقع الخارجي، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: «تفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنّا فعل ذلك لأنه ظنّ أنّا اتبعه الأعراب، لأنهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم

(١) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٣٢٥.

(*) يميّز كلام الإمام عليه السلام بالتركيز في الصياغة، ولا يخفى هنا التداخل بين صنفَي الإخباريات والإيقاعات، إذ قامت الثانية على ثيمتي الأولى، فعندما أخبرهم عمّا حدث ونقل الواقع - كما هو حال أفعال الإخباريات - أنتج بعدها الغرض الذي يروم بقوله: (فانصرفوا)، وهذه التركيب هو من صنف الإيقاعات الذي أحدث بعد النطق به تغييراً في الخارج، وبذلك حقق فعلاً، متمثلاً بانصراف أهل المطامع والموالي عنه وتفرّقهم عن قافلة الشهادة، فكان اتّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.

يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه^(١)؛ إذ أيقن الإمام عليه السلام أن نصره مرهون باستشهاده ومن معه، وأراد أن يصحبه من وطن نفسه على طاعة الله - سبحانه - وحدّ السيف، وهي رحلة خالصة لله - سبحانه - ليس فيها من مطامع الدنيا شيئاً، فكان يردّد هذا القول - كما مرّ ذكره - حتّى يقع على أصحاب العقيدة الصادقة الذين يستحقّون المنزلة الرفيعة معه، وعليه يعدّ هذا الخبر من الأخبار التي وقعت قبل زمن التكلّم بها أو إخبارها، وهو فعل كلامي تضمّن الإخبار بما جرى، ولم يكن لدى المخاطبين علم بهذا الخبر قبل تبليغه، فأنّج به فعلاً كلامياً، نقل الواقع نقلاً أميناً فهو من الإخباريات، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص الدقّة والأمانة: وما يميّز هذا النمط من الأخبار أنّها معلومة لدى أشخاص قبل أن يخبر بها الإمام عليه السلام من معه، وهناك أخبار تصدر عن الإمام عليه السلام مباشرة، فيكون هو المنشئ لها، فينقل واقعاً أو يصف شيئاً أنياً، لم يتبّه له أو ينقله غيره، وهو ما ستناقشه الفقرة الآتية.

ب - الإخبار عن حالة أشياء مزمنة لإنشاء الخبر:

ومثال ذلك ما دار بين الإمام عليه السلام والحرّ بن يزيد الرياحي عندما اعترضه عن الكوفة، وأخذ يسايره في الطريق، وكان يسير بأصحّابه في ناحية والإمام عليه السلام في ناحية أخرى، حتّى انتهوا إلى عذيب^(٢) الهجانات، وكان بها هجائن النعمان ترعى

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٩٩.

(٢) العذيب: تصغير العذب، وهو الماء الطيّب، وهو ماء بين القادسيّة والمغيثة، بينه وبين القادسيّة أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاجّ الكوفة، وقيل: هو حدّ السواد، وقال أبو عبد الله السكوني: العذيب يخرج من قادسيّة الكوفة إليه، وكانت مسلحة للفرس، بينها وبين القادسيّة حائطان متصلان بينهما نخل، وهي ستة أميال،

هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحهم، ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عدي على فرسه، فلما انتهوا إلى الحسين عليه السلام، أقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال: إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادّهم^(١)، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «لَا مُنَعَنَّهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي، إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَنْصَارِي وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَاءَ مَعِي، فَإِنْ تَمَمَّتْ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَإِلَّا نَاجَزْتُكَ»^(٢).

إذ قدّم الإمام عليه السلام أخباراً آنيّة، تمثّلت بوصف ظاهرة معيّنة (الذين التحقوا به من الكوفة) وذلك بقوله عليه السلام: (إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَنْصَارِي وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَاءَ مَعِي) فأنجز فعلاً كلامياً صور الواقع أو الخارج بدقّة، فهو من صنف الإخباريات، واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم، والمتأمل في هذا الخبر يجده معزّزاً بقوة إنجازيّة منحتة بعداً حجاجياً، تمثّل بمنع الحرّ من التعرّض لهم، أو ردّهم عن الإمام عليه السلام، وهذه القوة التي جعلت الحرّ يكفّ عنهم^(٣)، متمثلة بالتوكيد في قوله عليه السلام: (لَا مُنَعَنَّهُمْ) إذ وظّف مؤكّدين: اللام، ونون التوكيد الثقيلة. وختمه بأسلوب الشرط الذي يذكره بالكتاب الذي بعثه لعبيد الله يستشير به بأمر الإمام عليه السلام. فأضفى

فإذا خرجت منه دخلت البادية، ثمّ المغيثة. يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٤، ص ٩٢.

- (١) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٠٤-٤٠٥، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٠.
- (٢) ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٠. ويُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٠٤-٤٠٥.
- (٣) يُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٠.

على الخبر بعداً حجاجياً، انتهى به النزاع لصالح الإمام عليه السلام، وتحقق نقل الواقع بدقة. وهو خبر تكوّن أثناء الحديث، بمعنى يعد المنشئ له الإمام عليه السلام ولم يتطلّع لنقله أو وصفه غيره؛ أو بالأحرى لا يوجد شخص يستطيع أن ينجزه كإنجازه.

ج- الإخبار عن أشياء يعتقد المتكلم أنّها واقعة لا محالة بعد زمان إنشاء الخبر:

وقد ورد هذا النوع من الأخبار بكثرة في كلام الإمام عليه السلام، ومن أمثلته ما جاء في خطبته عندما أراد الخروج من مكة إلى العراق، نذكر منها: «وخير لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النوايس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جَوْفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين؛ لن تشدّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مُهَجَّتَه، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله»^(١).

وأراني أمام ديباجة رسمت مستقبل الإمام عليه السلام؛ إذ قدّم سلسلة من الأخبار التي تحاكي المستقبل، فهي لم تنجز قبل وقت التكلم أو في أثنائه، ولكن قدّمها المتكلم لجزمه القاطع بوقوعها وتحقيقها فعلاً في المستقبل، ومنها قوله عليه السلام: (وخير لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النوايس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جَوْفاً وأجربة سغباً) فهو يخبر عن مقتله الذي لم يتحقّق بعد، وهنا يظهر

(١) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٨٦، ويُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٥٧، الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٢٣٩، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧.

علم الإمام عليه السلام الذي ورثه عن جدّه وأبيه عليه السلام، وأنّه على يقين بما سيواجهه من ابتلاءات في سبيل الله، وهو بارز بكلّ إيمان وصبر، ويمكن القول هنا إنّ الفعل الكلامي نقل أخبار ما سيكون وليس ما كان، وإنّما أخبر عليه السلام بهذا الخبر (كأنّي بأوصالي..). لبيان نفاق الأعداء ومكرهم، إذ ضلّوا عن السبيل عن طريق نصرتهم أهل الظلم ومحاربتهم أهل البيت، ولم يقصد بها عسلان الفلوات من ثعالب أو ذئاب، بلحاظ الثقافة الإسلاميّة الشائعة عن أهل البيت عليه السلام أنّ لحومهم محرّمة على السباع، فانطلق الإمام عليه السلام من هذه المسلّمة لإنشاء قناة تواصل مع المخاطبين؛ لنقل الواقع الغيبي وتصويره.

ويستمرّ الإمام عليه السلام بتقديم هذا النمط من الأخبار حتّى يختمه بقوله: (فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله) وبذلك تكتمل سلسلة الأخبار التي تشكّل المحتوى القضوي للأفعال.

والملاحظ على هذا النمط الأخير من الإخباريّات أنّه وإن كان من صنف الإخباريّات إلّا أنّه لا يمكن وصفه بالصدق أو الكذب وقت إنشائه، والأمثلة السابقة تؤكّد ذلك، فخير مثل: (فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله) وما شابهها، يتعذّر نعته بأنّه صادق أو كاذب؛ لأنّه لم يصف حدثاً كائناً، بل يخبر عن أحداث ستتحقّق في المستقبل، وليس لها علاقة بإنجازها. أمّا اتجاه المطابقة في هذه الأفعال (الأخبار بالغيب أو المستقبل) فهو من الكلمات إلى العالم، وإن لم يتحقّق تجلّيات الخبر واقعاً، فهو متحقّق في عالم المتكلّم الغيبي وعلمه، وبذلك يكون شرط الإخلاص في الإخباريّات هو الاعتقاد.

٢ - النفي:

من صنف الإخباريات النفي، وهو من «فرع الإثبات، فجرى مجراه وألحق به»^(١)، إذ يُعدّ «من الأعمال اللغوية الأساسية لحاجة الإنسان مطلقاً إلى أن يخبر إثباتاً ونفياً»^(٢)، على أنّ الإثبات إيقاع النسبة، والنفي انتزاع لتلك النسبة، وهذا يوصلنا إلى القول بأنّ الإثبات هو إنشاء خبر، والنفي يكون بنفي ذلك الخبر، أو إعادة توجيهه بصورة مختلفة عن سابقه، وهو - النفي - وإن كان قائماً على سابق، لكنّه يشتمل على إخبار - محتوى قضوي - بوصف يوجّه الخبر بنفيه عن طريق إعادة تقديمه بصياغة مختلفة دلاليّاً، فيسهم في نقل تصوّر جديد عن الواقع وبيانه، ويخضع لاتجاه المطابقة نفسها، فتكون فيه من الكلمات إلى العالم، ومن أمثلته قوله ﷺ في أصحابه وأهل بيته الذين شهدوا معه وقعة كربلاء: «أُثْنِي عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ، وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَأَفئِدَةً، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْلَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعاً خَيْرًا»^(٣).

فجاء خطابه ﷺ بين ثنائية الإثبات والنفي، وهما يخدمان غرضاً واحداً هو المدح والثناء على أهل بيته وأصحابه، والمتأمل في تتابع وتناسق هذه الأخبار يجدها قد وُظِّفَ فيها النفي بقصده الإيجابي؛ ليخبر عن حسن ولائهم، وصبرهم، وطاعتهم،

(١) الاسترآبادي، رضی الدین، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٢٧٠.

(٢) المبخوت، شكري عیاد، إنشاء النفي وشروطه النحویة والدلالية: ص ١٩.

(٣) ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٦. ويُنظر: العطاردي، عزيز

الله، مسند الإمام الحسين ﷺ: ج ٢، ص ٦.

فقال: (ولم تجعلنا من المشركين) فأثبت بهذا النفي الإخلاص في توحيدهم الله سبحانه وتعالى، والعمل بما يرضيه، ثم باشر عليه السلام الغرض من الخطبة بقوله: (فإني لأَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْلَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي)، فجاء الخبر نافياً وجود أصحاب كأصحابه وأهل بيت كأهل بيته عليه السلام، معضداً بقوة إنجازية تمثلت بالتوكيد (إني) وتكرار حرف النفي (لا) أربع مرات، أضف إلى ذلك الاستمرارية التي اتصف بها الخبر؛ إذ دخلت أداة النفي (لا) على الفعل المضارع (أعلم) لينفي كل الأزمنة (ماضيحاضر مستقبل) فينتج عدم وجود أفضل منهم على اختلاف الدهور، فقدّم لنا بطريقة النفي خبراً وصف الخارج بدقّة متمثلاً نقاء أصحابه وأهل بيته، وشرط الإخلاص فيه هو الاعتقاد.

المطلب الثاني: الأفعال الكلامية التي يكون فيها اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات

أولاً: الطلبيات

تضمّ الطلبيات كلّ الأفعال الكلامية «الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، والغرض الإنجازي من الطلبيات هو التأثير في المخاطب؛ ليفعل شيئاً ما أو يخبر عن شيء»^(١)، واتجاه المطابقة يكون «من العالم إلى الكلمات، والمسؤول عن ذلك هو المخاطب، وشرط الإخلاص يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة»^(٢)، «ويدخل في هذا القسم الأمر، والنهي، والاستفهام، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، وما شابه ذلك»^(٣)، ويمكن بيان ما ورد من صنف الطلبيات في كلام الإمام عليه السلام بالآتي:

١- الأمر:

هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة^(٤)، ومنه ما جاء في كلام الإمام عليه السلام مع عمرو بن قيس المشرفي وابن عمّه في قصر بني مقاتل، فقال لهما عليه السلام: (جئتما لنصرتي) فقالا: إنّنا كثيرو العيال، وفي أيدينا بضائع للناس، ولم ندر ماذا يكون، ونكره أن نضيّع

(١) نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٠، ١٠٣.

(٢) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ص ٧١.

(٣) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) يُنظر: النحوي، ابن يعيش، شرح ابن يعيش: ج ٧، ص ٥٨.

الأمانة^(١). فقال لهما الحسين عليه السلام: «انطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا ترياً لي سواداً، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا، فلم يجبنا أو يغشنا، كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار»^(٢)، فالخطاب موجّه بصورة مباشرة إلى المخاطبين، وكذا الأمر في قوله عليه السلام: (فانطلقا) أريد به دلالة الحرفية، والذي يهّمنا هنا موضع الشاهد (فانطلقا) وهو فعل كلامي مباشر، يراد به إنجاز فعل مخصوص بالقول المعلّل لسبب انطلاقهما (حتى لا يسمعا واعيته عليه السلام فيدخلنا النار)، وقد استند المتكلم إلى العرف اللغوي لبيان خطورة الموقف وحساسيته، فقال لهما: انطلقا، ولم يقل لهما: اذهبا؛ لأنّ «الانطلاقَ سُرْعَةُ الدَّهَابِ فِي أَصْلِ الْمُحَنَّةِ»^(٣)، وهو فعل مستقبلي منوط بامتنال المستمعين له، بوصفهما قادرين على إنجاز الفعل (شرط المحتوى القضوي)، لكنّهما لا ينجزانه دون أمر الإمام عليه السلام لهما (الشرط التمهيدي)، فجاء الأمر بمثابة توجيه المخاطبين لإنجاز فعل القول الذي فيه خلاصهما (الشرط الأساسي) لذا فهو من صنف الطلبات، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها جميعاً هو الإرادة والرغبة الصادقة.

وقد اشتمل خطاب الإمام عليه السلام في كربلاء على أفعال أمر، أنجزت أفعالاً كلامية مباشرة، وقد اتسمت بأبعادها الحجاجية التي أعيت الطرف الآخر من الردّ عليه، فأعداء الإمام الحسين عليه السلام قد أنعم الله - سبحانه وتعالى - عليهم بنعمة الإسلام

(١) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٤، موسوعة كلماته عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٤٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٤. ويُنظر: بحر العلوم، مهدي، الفوائد الرجالية: ج ١، ص ٣٤٢، أبو سعيدة، حسين، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٤٤٧.

(٣) ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٣٠.

والهداية بجده عليه السلام، فكيف يجوز لهم دينهم قتل آل بيته؟! فعلى هذا يأتي معنى قوله عليه السلام: «أما بعد، فانسبوني، فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا؛ هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسن ابن بنت نبيكم عليه السلام...، أفتشكون أثراً ما أتى ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة»^(١). ولو استنتقنا كتب التاريخ عن الهيئة التي خرج بها الإمام الحسين عليه السلام عند مخاطبتهم بهذا الخطاب، لوجدناه خرج متقلداً عمامة جده رسول الله عليه السلام ورايته، راكباً راحلته، وكلّ هذه عوامل تنقلهم إلى تذكّر رسول الله عليه السلام، وتمدّ خيوطاً تربط المواقف عبر التاريخ، فجاءت مطابقة لغرض كلامه، بل شكّلت هيأته عنصراً من مكونات القوّة الإنجازيّة، فقدّم سلسلة من أفعال الأمر (فانسبوني، فانظروا...) و(ثم ارجعوا...، وعاتبوا، فانظروا) أنتجت مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة، تصبّ في خدمة غرض رئيسي وهو (حرمة قتل ابن بنت نبيهم) إذ يمكن اعتبارها في مجموعها من نوع الفعل الكلامي الكبير الذي يقوم على سلسلة من الأفعال الكلامية الصغرى بحسب فان دايك، ونرى الإمام عليه السلام قد اعتمد على القوّة الإنجازيّة الكامنة في صيغة فعل الأمر المباشر عند مخاطبة الأعداء ومحاججتهم، موظّفاً الروابط الملائمة لذلك، ولو عدنا إلى الأفعال لوجدناها مقدّمة على مستويين:

الأوّل: (فانسبوني، فانظروا من أنا)، إذ جاء بحرف العطف (الفاء) الذي يفيد

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٤، ويُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج ٢، ص ٩٧-٩٨، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٩٦، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠١-٣٠٢، ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٥٣٤-٥٣٦.

«التعقيب، فإذا قلت: قام زيد فعمر، دلّت على أنّ قيام عمرو بعد زيد، بلا مهلة، فتشارك (ثمّ) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنّها تفيد الاتصال و(ثمّ) تفيد الانفصال»^(١).

والآخر: (ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا...) إذ فصل بين المستويين بحرف العطف (ثمّ) الذي يفيد «الترتيب بمهلة»^(٢)، فيترشّح من ذلك أنّ إنجاز الفعل الكلامي في المستوى الأوّل (النسب) لا يتطلّب طول تأمل؛ إذ المتكلّم معروف لدى المخاطبين - الأعداء - من هو، الأمر الذي وافق توظيف الرابط (الفاء) الذي رتبّ الأفعال دون فاصل زمني، ثمّ ربط بين المستويين بالرابط (ثمّ) الذي يمتلك بحسب العرف اللغوي برهة زمنيّة يستطيع الفرد وفقها محاكاة ضميره وانتشال نفسه من برائن الضياع، وبه أنجز المتكلّم أفعال كلاميّة مباشرة، تبلورت من قصد المتكلّم والعرف اللغوي، وهي منوطة بالمتلقّي وامتناله المستقبلي لها، بوصفها تدور في فلك القاء الحجّة على الأعداء، ومحاولة توجيههم.

٢ - النهي:

من صنف الطليّيات ما يندرج تحت مفهوم النهي، وهو «أسلوب يطلب به الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منهية، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية»^(٣)، ومثاله في كلام الإمام عليه السلام ما ذكره الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ) صاحب تفسير (مجمع البيان لعلوم القرآن) في أثناء تفسيره معنى (الصمد) في سورة الإخلاص، أنّ أهل البصرة سألو

(١) المصري المالكي، حسين بن قاسم، الجنى الداني: ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٦.

(٣) بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغيّة ونقدية لمسائل المعاني: ج ٢، ص ١٠٢.

الإمام الحسين عليه السلام عن معنى الصمد، فأجابهم عن ذلك مبتدأ جوابه بمقدمة، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

فقول الإمام عليه السلام: (فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تكلموا فيه بغير علم) اشتمل على فعلٍ كلامي إنجازي مباشر وهو (النهي)؛ لإبعادهم عن الخوض في القرآن، والمجادلة فيه، والتكلم به بغير علم، «وفي ذلك دلالة على أن أهل البصرة لم يُراسلوا الإمام الحسين عليه السلام ليستفسروا عن معنى (الصمد) إلا بعدما وقع بين مفسّريهم ما وقع من جدالٍ، واختلافٍ في وجهات النظر؛ لذا التجأ الناس إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ ليعيّن لهم معنى (الصمد) الوارد في سورة الإخلاص، بعدما وجدوا مفسّريهم عاجزين عن بيانها، والوقوف على كنهها»^(٢)، وبذلك يعدّ النهي هنا فعلاً كلامياً موجّهاً إلى المسلمين عامة وأهل البصرة خاصّة، بأن يكفّوا عن مثل هذا الجدل والمناقشات التي يعوزها العلم والمعرفة في القرآن، وأن يرجعوا في ما اعتاص عليهم إلى أولي العلم الذين جعلهم الله - سبحانه وتعالى - عدلاً لكتابه، وهذا الفعل مستقبلي من تصرّف المخاطب القادر على إنجازه - بمجرد الالتزام بقول الإمام عليه السلام - وهو فعل كلامي من صنف الطلبات، وجليّ فيه اتجاه المطابقة؛ إذ تكون من العالم إلى الكلمات^(٣)، أي: أن على الخارج أن يوافق الكلام، وشرط الصراحة هو الإرادة والرغبة.

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن: ج ١٠، ص ٥٥٠-٥٥١.

(٢) حنّون، عايد جدّوع، الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٨.

(٣) ذكر الدكتور عادل فاخوري أن اتجاه المطابقة في التوجيهات أي: (الطلبات) يكون من الألفاظ إلى العالم، ثم يقول: أي: إنّ على الخارج أن يوافق الكلام. يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١١٩.

٣ - الزجر:

قريب من النهي ما يسمّى بالزجر، وهو النهي بشدّة وقوّة وتعنيف، ومن أدواته (كلّا) وتكلّم عنها سيبويه بقوله: «وأما (كلّا) فردع وزجر»^(١)، فضلاً عن الألفاظ الصريحة التي تدلّ عليه، ومن أمثلتها في كلام الإمام عليه السلام ما جاء في جوابه لعبيد الله بن عمر، لما عرض له الخلافة لو خالف أباه عليه السلام، فقال له عليه السلام: «كلّا والله، لا أكفر بالله وبرسوله وبوصي رسول الله، إخساً، وملك من شيطان مارد، فلقد زين لك الشيطان سوء عملك فخدعك، حتّى أخرجك من دينك باتباع القاسطين ونصرة هذا المارق من الدين...»^(٢)، «فضحك عبيد الله بن عمر، ثمّ رجع إلى معاوية، فقال: إنّي أردت خديعة الحسين، وقلت له كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته. فقال معاوية: إنّ الحسين بن علي لا يخدع، وهو ابن أبيه»^(٣).

فقد جاء ردّ الإمام عليه السلام شديد اللهجة، مشحوناً بالزجر والردع الذي يواكب أصحاب النفوس الضعيفة التي تحاول شقّ عصا المسلمين بالتفريق بين الإمام وأبيه عليه السلام رغم علمهم باستحالة هذا الأمر؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام لم يجاهدوا لمطامع شخصيّة، بل كان غاية مرادهم الإصلاح ورعاية الدين، فأول ما تفوّ به الإمام عليه السلام هو (كلّا) لما تكتنزه هذه العبارة من قوّة الردع والتهكّم على المخاطب، فأنشأ فعلاً كلامياً مباشراً، مفاده (الزجر والردع) جاء معزّزاً ومؤكّداً بالقسم الذي يزيد من

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٤، ص ٢٣٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٣، ص ٣٩، ويُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٣، ص ٣٩، ويُنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ١٨٣.

وقعه في نفس المخاطب، وهو «يمين يُؤتى به من أجل توكيد الخبر»^(١)، ليمثل الرفض المباشر من أول لفظ، ف (كلّا) هنا ردع لعبيد الله بن عمر بن الخطاب عن دعوته، فأفادت فعلاً كلامياً مباشراً.

ثانياً: الإلزاميات

هي أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الالتزام طوعاً بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، بحيث يكون المتكلم مخلصاً في كلامه، عازماً على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والضمان والنذر وغيرها، واتجاه المطابقة في هذا النوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات، فالإلزاميات والطلبية تشتركان في اتجاه المطابقة، لكن المرجع فيها مختلف، فهو في الإلزاميات المتكلم، وفي الطلبية المخاطب^(٢)، ومما يقارب هذا النوع من الأفعال كلام الإمام الحسين عليه السلام مع أصحاب القافلة، الذين التقى بهم في منطقة التنعيم^(٣) إذ قال:

«لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هَذَا أعطيناه من الكراء عَلَى قدر مَا قطع من الأرض»^(٤). فهذا الخطاب يحمل وعداً صريحاً لهم، وذلك بقوله: (من أحب أن

(١) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح السيرافي: ج ٤، ص ٢٣٧.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٤.

(٣) التَّعْنِيمُ: بالفتح ثم السكون، وكسر العين المهملة، وياء ساكنة، وميم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة، وقيل على أربعة، وسمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له نعم، وآخر عن شماله يقال له ناعم، والوادي نعان، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة، وسقايا على طريق المدينة، منه يحرم المكيون بالعمرة. يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٩.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٦.

يمضي معنا... أوفينا كراهه)، (ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطينا من الكراه)، فجاء الفعل مسنداً إلى المتكلم (المحتوى القضوي)، و(الشرط التمهيدي) متمثل بحرية الاختيار التي يتمتع بها الموعود في تحديد وجهته وقيام الوعد بالفعل، فهو من الالتزاميات، التي تنص على التزام المتكلم بفعل شيء بإرادته لمخاطبه في المستقبل، والمقصود بالمستقبل - على ما يبدو - هو ذلك السقف الزمني الذي يبدأ بعد زمن التكلم، بغض النظر عن صيغة التركيب الذي يحمل الوعد، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، بمعنى أن يطابق العالم الخارجي المتضمن مصداق تحقق الوعد، الكلمات التي أنجز بها فعل الوعد، وهذا ما حدث فعلاً، إذ يطالعنا أبو مخنف بقوله: «فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقّه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراهه وكساه»^(١)،

ومما يندرج تحت هذا الصنف من الأفعال الوعيد، ومن تجلياته في كلام الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«هَذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُفَّةِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاهُمْ إِلَّا قَاتِلِي، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَدْعُوا اللَّهَ حُرْمَةً إِلَّا أَنْتَهُكُوهَا، فَيَسْلُطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ مَنْ فَرَمَ الْأَمَةَ»^(٢)،
 إذ تمثل الوعيد بقوله: (فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَدْعُوا اللَّهَ حُرْمَةً إِلَّا أَنْتَهُكُوهَا، فَيَسْلُطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ) فأنجز فعلاً كلامياً متمثلاً بالوعيد، الذي مثله جواب الشرط وما بعده (فَإِذَا فَعَلُوا...) لم يتركوا الله حرمة... فیسلّط الله عليهم من يذلهم)، وقد وسم العرف اللغوي دلالة (إذا) بأنها «تكون ظرفاً للمستقبل مضمّنة معنى الشرط،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٨٦.

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٢. ويُنظر: ابن كثير، أبو الفداء دمشقي، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٥١٥.

وتختصّ بالدخول على الجملة الفعلية^(١)، وذكر الفراء: أنها تحيي للدوام والدأب^(٢)، فشرطها كثير الوقوع، فقوى باستعمالها تحقق الفعل في المستقبل، ولذلك:

- الفعل القولي: فإذا فعلوا... فيسلط الله عليهم من يذلهم.
- الفعل القضوي: ويتكوّن من المرجع المشار إليه بالضمير (واو الجماعة) في (فعلوا) وهو إحالة إلى أهل الكوفة، المذكور في أول الكلام، والخبر المتمثّل بتسليط من يذلهم عليهم، وبها يكون المحتوى القضوي وهو (يسلط الله على أهل الكوفة من يذلهم؛ لأنهم لم يرقبوا حرمة الله بقتل الحسين عليه السلام).

- فالفعل الكلامي هو الوعيد.
- الفعل التأثري: تحقّق الوعيد، بالاقتصاص من قاتليه.
- واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، والشرط الاعتقاد.

ثالثاً: التعبيرات^(*)

هي أفعال كلامية يعبر بها المتكلّم عن مشاعره في حالات الرضا والغضب والسرور والحزن والنجاح والفشل، ولا تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلّم من أحداث، بل تتعدّها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلّم^(٣). والغرض منها هو التعبير عن الحالة النفسية

(١) ابن هشام، عبد الله بن أحمد، مغني اللبيب: ج ١، ص ٩٢-٩٣.

(٢) يُنظر: الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن: ج ١، ص ٢٤٤.

(*) التعبيرات - وهي أفعال كلامية - لا يوجد فيها اتّجاه مطابقة، لذا رأى الباحث أن يدرجها آخر هذا المبحث؛ لتوحي الترتيب في عرض المادّة.

(٣) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٤.

المحددة في شرط الصراحة تجاه الواقعة الممثلة في المحتوى القضوي^(١)، ويدخل فيها أفعال الشكر والاعتذار والتهنئة والمواساة والشوق والحب والكره...، وليس لهذا النوع اتجاه للمطابقة، إذ يغني عنه شرط الإخلاص، فإذا تحقق أنجز الفعل إنجازاً ناجحاً^(٢)، ويمكن مقارنة ما ينضوي تحت هذا الصنف من الأفعال بالآتي:

١ - المدح والذم:

من التعبيريات أفعال المدح والذم، إذ يُنجز فعل المدح بـ (نعم)، وفعل الذم بـ (بئس)، ويشركهما في المحتوى القضوي أيضاً تعابير مثل: حبذا، ولا حبذا، وحسن، وساء^(٣)، وقد ذكر السيرافي في شرح الكتاب: «اعلم أنّ (نعم وبئس) فعنان ماضيان موضوعان للمدح والذم، فـ (نعم) للمدح العام، و(بئس) للذم العام»^(٤)، والمدح أو الذم نوع من العمل المباشر الذي يحققه المتكلم وهو يريد أن يثني على من يمدحه أو يذمه بالألفاظ الموضوعية لذلك^(٥)، ومثال ذلك في خطاب الإمام عليه السلام، إذ قال:

«أراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد اسخطتم الله فيه، فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نعمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربُّ ربُّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمتم بالرسول محمد ﷺ، ثم إنكم زحفتُم إلى ذريّته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم وما تريدون، إنّنا لله وإنّا

(١) يُنظر: الطباطبائي، طالب، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ص ٣٤.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ١٠٤.

(٣) يُنظر: البغدادي، محمد بن سهل، الأصول في النحو: ج ١، ص ١١٥.

(٤) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح السيرافي: ج ٣، ص ٩.

(٥) يُنظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في اللغة العربية: ص ١٧٦.

إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين»^(١).

فالاجتماع من الأمور المحموده لكنّها تكون مذمومة إذا كانت على أمر يسخط الله - سبحانه - ونرى الإمام في خطبته هذه أسند كلا الفعلين إلى المخاطبين بقوله ﷺ: (اجتمعتمأسخظتم = الله) فاستحقّوا أن يُقال لهم: (بئس العبيد أنتم) فالفعل الكلامي المنجز في قول الإمام ﷺ: (وبئس العبيد أنتم) وهو فعل الذم، ويصنّف ضمن التعبيريات، وقد واكب هذا الفعل جملة مصطلحات تدلّ على الذم أيضاً، وهي: لقد استحوذ عليكم الشيطان أنساكم ذكر اللفهتّباً لكم هؤلاء قوم كفروا بعداً للقوم الظالمين، وكلّ منها هو فعل كلامي مباشر، يدلّ على ذمّ هؤلاء القوم الذين خرجوا لقتال ابن بنت نبيّهم. أمّا متتالية (نعم الربّ ربّنا) فهو في مصافّ المدح والشكر لله سبحانه وتعالى، وقد جاء المخصوص بالمدح الصفة (ربّنا) مضافاً إلى المتكلّم؛ يشعر بلطف الباري إذ «الرّبُّ: المُصْلِحُ لِلشَّيْءِ». وَالله جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرَّبُّ؛ لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوَالِ خَلْقِهِ»^(٢)، فالمدح الوارد في قول الإمام ﷺ هذا أنتج فعلاً كلامياً مباشراً من التعبيريات، ولا يوجد فيها اتجاه مطابقة بين اللفظ والعالم «إنّما تنشئ المدح وتحديثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إياه حتّى يكون خبراً، بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الموجودة خارجاً»^(٣)، فقوله: (تنشئ المدح) مؤشّر على أنّه يتكوّن هذا الفعل (المدح) وكذا (الذم) حال النطق به، بمعنى أنّه ليس له واقع خارجي يمكن أن يُوصف

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥، ويُنظر: موسوعة كلماته ﷺ، معهد باقر العلوم: ص ٥٠٤.

(٢) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) الاسترآبادي، رضی الدين، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٢٣٨.

بالصدق أو الكذب؛ لأنّه حاصل باللفظ، فهو عمل لغوي إنشائي^(١).

٢ - التعجّب بأسلوب النداء:

من التعبيريات التعجّب الذي يبيده المتكلّم حيال موقف معيّن أو سلوك ما، ومن الأساليب التي يتمظهر بها هو التعجّب بالنداء، وهو أكثر تجسّداً للتعجّب والاستغراب؛ إذ يتعجّب بالنداء، وذلك بإدخال لام جرّ مفتوحة على المتعجّب منه، مسبوقة بحرف النداء (يا) نحو يا للماء!، يا للعجب!، وقد تحذف اللام فيجاء بألف في آخر المتعجّب منه، فيقال: يا عجباً^(٢)، ومّا يقارب ذلك في كلام الإمام عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منى، نذكر منها:

«ولو صبرتم على الأذى، وتحملتُم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكّنتُم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسIRON في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستبعد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، في كلّ بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد وذو سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجباً ومالي لا أعجب، والأرض من غاش غشوم ومتصدّق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه

(١) يُنظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في اللغة العربيّة: ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٤، ص ٢٤٩.

فيما شجر بيننا»^(١).

إذ عرض الإمام عليه السلام في خطابه هذا أسباب ذلهم وهوانهم، المتأقّي من تقاعسهم عن نصرّة المظلوم، ومطالبتهم بحقوقهم حتّى تسلّط الظلمة عليهم، ولا يتطلّعون إلى تحرير أنفسهم من طوق الظلم باتّباع الإمام عليه السلام ونصرته، وهي أمور تستدعي العجب، ومن هنا ينبغي الإشارة أنّ تعبير التعجّب الوارد في قول الإمام عليه السلام: (فيا عجباً ومالي لا أعجب) لا يدخل تحت مفهوم التعجّب الذي هو «انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولهذا قيل إذا ظهر السبب بطل العجب»^(٢)؛ لأنّ أسبابه - التعجّب - معروفة، وعلله واضحة عند الإمام عليه السلام، وفصلها أيّما تفصيل، ثمّ قال: (فيا عجباً...) لما «للتعجّب من قوّة إنجازيّة، تقوم إلى جانب القوّات الإنجازيّة: الإخبار والاستفهام والأمر»^(٣)، فأنتج بذلك فعلاً كلامياً مباشراً هو التعجّب والاستغراب من استسلامهم وانقيادهم إلى شرار الخلق، والصدود عن الذين يمدّون يد العون لهم؛ لينقذوهم من هوان العيش الذي هم فيه، وهو تعبير عن حالة نفسيّة، فهو من صنف التعبيرات، وليّان شدّة استنكار الإمام لحالهم وظّف التعجّب بالنداء الذي وسم النحاة وظيفته بقولهم: أن ترى أمراً عظيماً فتتعجّب منه بندائه، والتعجّب بالنداء قياس مطّرد، وقد حذف المتكلّم اللام التي تدخل على المتعجّب منه (يا للماء) وعوّض عنها بألف في آخره^(٤)، (فيا عجباً...) ليوفّر إمكانيّة مدّ الصوت ما شاء المتكلّم، وليؤشّر دليلاً على القوّة الإنجازيّة، إذ

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٣٧.

(٢) الاسترّابادي، رضی الدین، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٢٢٨.

(٣) المتوكّل، أحمد، التركيبات الوظيفيّة، قضايا ومقاربات: ص ١٠٣.

(٤) السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ص ٢٤٩.

يعدّ مدّ الصوت والنبر والتنغيم دليلاً على القوّة المتضمّنة في القول^(١)، ولا اتجاه للمطابقة فيه؛ لأنّه تعبير عن حالة نفسيّة تجاه واقع مرير خالية من وصفه أو تغييره. نخلص ممّا تقدّم أنّ استعمال الأفعال الكلاميّة المباشرة في النصوص السابقة، كان في المقامات التخاطبيّة التي لا تحتمل تأويل الكلام على أكثر من وجه، لذلك وظّف الإمام فيها - المقامات التخاطبيّة - أفعالاً كلاميّة مباشرة، يفهم الغرض منها مباشرة بمجرد نطق الملفوظات، وقد حرصت الدراسة على انتقاء أمثلة تقرّب هذا المعنى وتوضّحه، وهي في عمومها تمثّل أفعالاً مؤسّساتيّة، كإيقاع الزواج، ونحل الضيعة، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة، أو الأمر والنهي المباشرين اللذين جاء الغرض من استعمالهما مطابقاً للمعنى الحرفي الذي كوّنهما، فلا تحتمل هذه المواقف استعمال أفعال تحمل مستويين من التحليل: معنى حرفي قريب، وقصد بعيد، إلّا إنّنا لا ندّعي أفضليّة أحدهما على الآخر، بل إنّ هناك مقاماً تخاطبياً يكون الفعل الكلامي غير المباشر هو الأرجح له، والأدقّ في علاجه، وهذا ما سيتضح بالتطبيق في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

(١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٧٣.

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية غير المباشرة

توطئة

تتحقق الأعمال اللغوية لسانياً بتجسّمها في أقوال^(١)، فتكون هذه الأعمال مطابقة للقوة الحرفية المنجزة، وتعرف حينها بـ (الأفعال الكلامية المباشرة)، ولكن لا يسري هذا الأسلوب في كلّ المقامات التخاطبية؛ إذ نجد المتكلّم لا يقول ما يقصده في كلّ مناسبات المنطوق على نحو مباشر، وبذلك يعزو إلى ملفوظاته مقاصد تتعدّد نوعاً ما عن الدلالة الشكلية الحاملة لها، لا يمكن لسامعيه الوصول إليها إلاّ بمعية ظروف مقامية وعرفية، وقد اصطلح على هذا النمط بـ (الأفعال الكلامية غير المباشرة)، وفيها تتعدّد المسافة التحليلية الواصلة بين القول والمقصد وطبقات المعنى المتعدّدة بين معنى قضوي حرفي، والفعل الذي ينجزه المتكلّم في السياق^(٢)، لذا «نقول عن لفظ أنّه فعل كلامي غير مباشر - وهو اختزال لقولنا فعل كلامي مصاغ صياغة غير مباشرة - إذا عبّر عن قيمته تحت عمل آخر»^(٣)، وتتميّز باختلاف «قوّتها الإنجازية عن مراد المتكلّم، أي: يؤدّي فيها المرء فعلاً كلامياً بصورة غير مباشرة عن طريق أدائه فعلاً كلامياً آخر»^(٤)، فالأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدلّ هيأتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنّما الزيادة فيما أطلق

(١) يُنظر: مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٢٣.

(٢) يُنظر: مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٣١٤.

(٣) مجموعة باحثين، معجم تحليل الخطاب: ص ٢٣.

(٤) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: ص ٢٢١.

عليه سيرل معنى المتكلم^(١)، والمشكلة في هذا النوع من الأفعال الكلامية غير المباشرة هي معرفة كيفية إمكان المتكلم أن يقول شيئاً ما ويعني شيئاً آخر، ومن ثم كيفية إمكان المخاطب أن يفهم المعنى المراد مع أن ما يسمعه يدلّ على شيء آخر، وحلاً لهذه المشكلة يطرح سيرل فكرته، مفترضاً أن المتكلم يستطيع أن يبلغ المخاطب أكثر ممّا يقوله بالفعل باستناده إلى معلومات خلفية لغوية أو غير لغوية مشتركة بينهما، وإلى مقدرة المخاطب العقلانية والاستدلالية^(٢)، وبمعنى آخر: فالأنموذج التفسيري لما هو غير مباشر من الأفعال الكلامية يتضمّن نظرية الأفعال الكلامية وبعض المبادئ العامة للمشاركة في الحديث على غرار تلك المبادئ التي وضعها غرايس، وكذلك خلفية المعلومات الواقعية الأساسية المشتركة بين المتكلم والمخاطب، كما أنّه يفترض مقدرة من المخاطب على إقامة الاستدلالات^(٣)، لذلك يرى غير باحث «أنّ قوّة المنطوق الإنجازية هي ما يعمد إليه المستمع، لا ما يقصد إليه المتكلم؛ وذلك أنّ أحداً من المستمعين أو محلّي الخطاب، لا يمكنه أن يتأكّد من مقصد المتكلم؛ لأنّه لا يقبل الفحص. أمّا تفسير المستمع، فإنّه يتجلّى في استجابته، وهذا ما يحدّد التفاعل اللغوي أو نجاحه»^(٤).

وهناك بعض الضوابط أو الفروق التي تميّز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة، نجملها بالآتي^(٥):

-
- (١) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٨٢.
 (٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٨٢، مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٣١٤-٣١٥.
 (٣) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ١٢٨.
 (٤) مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٣١٣.
 (٥) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٨٢-٨٣، ويُنظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: ص ١١٧.

١. القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أمّا الأفعال غير المباشرة فموكلة إلى المقام، فلا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

٢. القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة، لا يتوصّل إليها إلا عبر عمليّات ذهنيّة استدلالية، أمّا القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها.

٣. القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة تأخذ وضعاً ثانوياً، إذ يمكن إلغاؤها، بينما الأفعال المباشرة تأخذ وضعاً أولياً ومتميّزاً ولا يمكن إلغاؤها.

وبذلك يُعدّ جون سيرل واضع الأسس المنهجية في تحليل أفعال الكلام غير المباشرة، وكلّ من جاء بعده عالمة عليه في ذلك الباب، سواء من كان منهم من أصحاب تداولية أفعال الكلام (فاندرو فيكن وجانيت هولز) أم من أصحاب تحليل الخطاب (بول غرايس)^(١)؛ لأنّه انفرد بمحاولة إعادة بناء مؤسّسة على مقتضيات العملية التخاطبية، وأسس التعاون الخطابي، ونظريّة أفعال الكلام،

(١) تجلّت معالجة بول غرايس للمنطوقات التي تتضمّن معنى غير معناها الأصلي بعيدة عن معالجة (سيرل) لاختلاف آليات المعالجة، فما رآه سيرل أنّه من الأفعال الكلامية غير المباشرة تتضمّن قوتين إنجازيتين، وجده غرايس مجرد استلزام حوارى، يتمّ عند خرق المتكلم لإحدى القواعد التخاطبية في مبدأ التعاون، فالأمر عند غرايس يتعلّق باستلزام حوارى، لا بإنجاز فعل في العالم الخارجى؛ إذ أصبح يميّز بين القوة الإنجازية الحرفية المدركة مقالياً، والقوة الإنجازية المستلزمة المدركة مقامياً. يُنظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم: ص ٥٩-٦٠، إدواري، العياشي، الاستلزام الحوارى في التداول اللساني: ص ٩٥-٩٧.

وخلفيّة المعلومات المشتركة بين المتخاطبين، ومبدأ الاستدلال^(١).
وسيقارب البحث تجلّيات الأفعال الكلاميّة غير المباشرة من منظور الخبر
والإنشاء، وحسب الآتي:
المطلب الأوّل: الأفعال الكلاميّة غير المباشرة المنبثقة عن الخبر.
المطلب الثاني: الأفعال الكلاميّة غير المباشرة المنبثقة عن الإنشاء.

(١) يُنظر: مجموعة باحثين، التداوليّات علم استعمال اللغة: ص ٣١٥. ويُقصد به (مبدأ الاستدلال) هو «العملية المنطقية لربط المعطيات الملفوظة والسياقية والمحادثيّة والتداوليّة، من أجل إنشاء دلالة، ويقع مفهوم الاستدلال أساساً من جهة المتلقّي، غير أنّه ليس مجرد تفكيك، ولا هو منبت عن الباتّ أو المرسل، بما أنّ الدلالة هي حصيلة تلفّظ مشترك في السياق». بلانشيه، فيليب، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان: ص ١٥٣، ويُنظر: إدواري، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٠٧.

المطلب الأول: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الخبر

الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته^(١)، وقيل «هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً، والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية»^(٢)، وقد يعتمد المتكلم إلى تقديم أخبار تحمل أكثر من بعد إنجازي، فيخرج خلافاً لمقتضى الظاهر، فيكون لفظ الفعل خبراً، ومعناه غير الخبر كالأمر والنهي والدعاء، وغيرها من المقاصد والأغراض التي لا يمكن حصرها؛ لأنها تعرف من القرائن وسياق الكلام^(٣)، وخطاب الإمام الحسين عليه السلام زاهر بهذا النوع من الأفعال التي انبثقت من تراكيب الخبر، فأنجز بها أفعالاً كلامية غير مباشرة لدواع مقامية، نعرضها بالآتي:

أولاً: الأمر

لا يخفى أن من أهم البواعث إلى استعمال الأفعال غير المباشرة هو التأدب في الحديث، والإيقاعات بوصفها أفعالاً كلامية، يُفترض عند إنجازها أن يحدث تغييراً في العالم الخارجي، أكثر نصيباً روعي فيها هذا المبدأ في خطاب الإمام عليه السلام، لا سيما تلك الموجهة إلى أهل بيته عليه السلام وأصحابه، ومن أمثلتها ما جاء في مضمون وصيته إلى أخيه السيد محمد بن الحنفية:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ

(١) يُنظر: بسيوني، عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني: ص ٢٤.

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٨١-٨٢.

(٣) يُنظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٣٧٦، بسيوني، عبد الفتاح، بسيوني، علم المعاني:

مُحَمَّدَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًّا، وَلَا بَطِرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَالَهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي - يَا أَخِي - إِلَيْكَ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»^(١).

المتأمل في هذا الكتاب يجده قد بدأ بعبارته: (هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه...) وختَمَ بقوله عليه السلام: (وهذه وصيَّتي - يا أخي - إليك)، إذ افتتح النصَّ باسم الإشارة (هذا) وختمه به أيضاً (هذه) وهو في الموضعين يشغل الموقع الإعرابي نفسه، فجعله مبتدأ وما بعده خبره، وقد اختلف المشار إليه بحسب اللفظ في الاستعمالين: فكان الأوّل إشارة إلى مضمون الوصيَّة، وبنودها، وهدفها، فقال عليه السلام: (هذا ما أوصى به الحسين...) ف (هذا): في محلّ رفع مبتدأ، و(ما) اسم موصول مبني في محلّ رفع خبر، والجملة بعده صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، ويحتمل حضور اسم الإشارة هنا للإشارة إلى متقدّم يفسّره متتاليات الألفاظ بعده، وهذا يضيفي سمة الترقّب والتطلّع للخبر، إضافة إلى التعظيم لما يقال، أمّا ما ورد في ختام الوصيَّة (وهذه وصيَّتي - يا أخي - إليك) فهي إشارة إلى الوصيَّة التي كُتِبَتْ، بمعنى إشارة إلى كتاب الوصيَّة، وهنا الإشارة إلى متجسّد

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٣، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٨٢، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٧٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم: ص ٣٥٤.

شاخص للمتكلم والمستمع، ولتعظيم الأمر في الاستعمال الأول استحضر اسم العلم للمتكلم، وقال: (هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد) وبذلك وظف الإشاريات الشخصية بما تحتزله من أبعاد تداولية التي يعظمها السامع ويحلّها، وبعد فهو يلتزم بما يصدر منهم من وصايا، فجعل عظمتها مقابل مضمون الوصية؛ لتكتسب بنود الوصية السلطة اللازمة للأمر غير المباشر، سواء كان للمتلقّي المباشر (السيد محمد بن الحنفية) أو للمتلقّي غير المباشر المتمثل بعامة المسلمين، وحتى وقتنا هذا، فهو نصّ يتحرّك في كلّ وقت وزمان، ترتشف منه الأجيال مقومات الحرية والإباء، فمضمونها لا يُراد بها الوقوف عند أخيه (محمد بن الحنفية) لأنّه عالم بمضمونها، أمّا (هذه) الختامية رأيناها جاءت بصيغة المؤنث للدلالة على الكتاب.

ولو أمعنا النظر أكثر نجد قول الإمام عليه السلام: (هذا ما أوصى به الحسين بن علي) جاء بلفظ الخبر الذي يحمل في طياته أمراً ضمناً غير مباشر، مؤداه التأدّب والتفنّن في الخطاب؛ إذ بلغ أخيه السيد محمد بن الحنفية وصيته، ومن ثمّ أمره بالبقاء في المدينة، دون أن يشتمل خطابه على فعل أمر شكلي مباشر واحد، وهذا يعدّ في منتهى البلاغة، فلم يقل عليه السلام: (أوصيك) بلفظ مباشر، ولم يقل له أيضاً: ابقَ في المدينة وبلغ رسالتي، إذ وصلت الرسالة بمضمون الأمر غير المباشر إلى السيد محمد بن الحنفية بمجرد أن قال عليه السلام: (هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد) لأنّ الموصى لا يتأتّى له تحقيق بنود الوصية إلّا بالبقاء في المدينة والعمل على بثّها - كما مرّ بيانه في الفصل الثاني - وقد ارتبط شرط المحتوى القضوي بفعل في المستقبل مطلوب من المخاطب، وهو الالتزام بالوصية، ويقوّي هذا (الشرط التمهيدي) أنّ المخاطب (السيد محمد بن الحنفية) قادر على إنجاز الفعل بمجرد انتهاء التلفّظ من الفعل القولي (هذا ما أوصى به) ويتأكّد الفعل الإيقاعي بشرط الإخلاص، والمتكلم يريد حقاً من المخاطب أن ينجز هذا الفعل؛ لأنّه يترتّب عليه

بيان الثورة الحسينية ومنهجها، وبذلك يتحقق (الشرط الأساسي) - الفعل التأثيري - في إرادة المتكلم، وهو التأثير في السامع ليقوم بفعل ما، وبذلك تجلّى الفعل التأثيري بامثال السيد محمد بن الحنفية وصيّة الإمام عليه السلام، وانتهى بها حوار، ولا يخفى التعظيم الذي منحه الإمام الحسين عليه السلام لأخيه السيد محمد بن الحنفية، فهو قرنه بنفسه، وإذ ذاك فإنّ الإمام عليه السلام أنجز فعلاً كلامياً غير مباشر بتحقيق الوصيّة وبقاء أخيه في المدينة، فهو من صنف الإيقاعيّات، فاللفظ بهذا القول وهو فعل خبري لم تقف دلالته عند الإخبار؛ وقد تظافرت في إنجاز ذلك العوامل الحافّة بالمقام التخاطبي من: سياق، وقصد المتكلم مع القدرة الاستدلاليّة للمخاطب في الكشف عن القصد المراد، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.

ثانياً: الدعوة لبيعته عليه السلام

من أمثلتها ما ورد في كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد...، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلماً بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ: أنّه قد أجمع رأيي ملئكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل في الكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه في ذات الله، والسلام»^(١).

يمثل هذا الكتاب خاتمة المراسلات التي جرت بين الإمام عليه السلام وأهل الكوفة،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٣٥٣، ويُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٨، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٢٨، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٤٨٥، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٨٤.

وقد تضمّن في كتابه دعوة إلى نصرته، والتأكيد على ما جاء في كتبهم السابقة، إذ جاء في قوله عليه السلام: (وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم) بصيغة الخبر مراداً به - إضافة إلى الخبر - دعوتهم وتحفيزهم لنصرته، عن طريق وقوفهم إلى جنب مسلم بن عقيل وملازمته، ومعلوم أنّ الدعوة تنضوي تحت الطلب، وبذلك أنجز بالخبر (وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي...) فعل كلامي غير مباشر من نوع الطلبيّات، واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات^(١).

ثالثاً: الدعاء

ومن ذلك أيضاً ما ورد في كلام الإمام عليه السلام حين استشهد ولده علي الأكبر عليه السلام: «قتل الله قوماً قتلوك، يا بني! ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة رسول الله، على الدنيا بعدك العفا»^(٢).

فجملته: (قتل الله قوماً قتلوك...) في محتواها الدلالي تدلّ على الإخبار، في هذا

(١) يطالعنا التأريخ أنّ مسلم بن عقيل كتب إلى الإمام عليه السلام باجتماع المسلمين حوله بعد قراءته لكتاب الإمام عليه السلام في أعلاه، وأجابه الإمام بكتاب آخر مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملبّكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألْتُ الله أن يُحسّن لنا الصنع، وأن يُثبّتكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شحّضت إليكم من مكّة ثلاثاً لثمان مضيّن من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدّم عليكم رسولي فأكمّشوا أمركم وجِدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٦٧، ويُنظر: ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨١، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٩.

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٣٦، ويُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ١١٥، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٣.

المقام، إذ إنَّ المتكلم قالها بصيغة الفعل الماضي الذي يدلُّ على الحدوث والتحقُّق، والأعداء الذين قتلوا ولده عليه السلام مازالوا شاخصين في المعركة، فالشرط التمهيدي لفعل الإخبار لم يتحقَّق هنا، لذلك فالجملة تتضمَّن فعلاً كلامياً آخر، يفهم من مقام التواصل وسياق الكلام، فالمقام التخاطبي الذي أنتج فيه الخطاب لا يشمل الإخبار لولده المقتول، لذا حُجِّل الخبر على الدعاء عليهم، وهذا ما يعلِّل وروده بصيغة الماضي؛ ليشعر بتحقيق الفعل، وأنَّ هذا مصيرهم المحتوم مذ تناصروا على قتل أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً، وعليه يمكن القول هنا أنَّ الدعاء فعل كلامي غير مباشر؛ لأنَّه أُنجز بلفظ الخبر، وقد تبين ذلك بمعية المقام التخاطبي، وبذلك تعد هذه الأفعال - الدعاء - من صنف الطلبيات.

ويمكن مقارنة جواب الإمام الحسين عليه السلام للحرَّ بن يزيد الرياحي على هذا المعنى، عندما قدم إليه نادماً يسأل هل له من توبة، فأجابه عليه السلام بقوله: «نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك»^(١)، فجملة (يتوب الله عليك ويغفر لك) جاءت بصيغة الخبر، وقد يراد به الدعاء، ومما يؤكِّد هذا قول الإمام عليه السلام بعد عبارته هذه: «أنت الحرَّ كما سَمَّتك أمك، أنت الحرَّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة»^(٢)، فصَّرح هنا بالدعاء بلفظ مباشر (إن شاء الله في الدنيا والآخرة)، وبذلك خرج الخبر إلى معنى الدعاء فأُنجز عليه السلام فعلاً كلامياً من الطلبيات، وقد جاء بصيغة المضارع الذي يتحرَّك في كلِّ زمان، فيكون باب التوبة والإنابة إلى الله مفتوحاً، بخلاف الخبر الذي خرج للدعاء

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٨، ويُنظر: مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ج ٢، ص ٧٧، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٢، العصامي، المكِّي، عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل: ج ٣، ص ١٧٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٨.

على قتلة ولده علي الأكبر عليه السلام الذي جاء بصيغة الماضي؛ لتنتهي مقصديته عند ذلك المقام الخاص بالقتلة فقط، وهنا يتبين دقة توظيف اللغة بحملها أدق المقاصد الكلامية من جهة، وعمق الرحمة المودعة في الإمام عليه السلام وبلاغته في تقديم التراكيب الدقيقة التي تفسح الأمل أمام الناس، ليتوجّهوا إلى خالقهم بمطية التوبة، وما يندرج تحتها من القيم البناءة.

رابعاً: الوعد والوعيد

تتجلى الأفعال الكلامية من هذا النوع في الأخبار التي تتضمن وعوداً أو بشارة تخرج لتطيب النفس وتطمينها بأمر ما، أو وعيداً لهم، فيرتّب على منتج الخطاب الالتزام بتحقيق ما أُلزم به نفسه، وهذا متوقّف على السلطة التي يتمتّع بها منتج الخطاب، ومثال ذلك لما اشتدّ الأمر بالإمام عليه السلام «نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنهم إذا اشتدّ بهم الأمر تغيّرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلّت قلوبهم، ووجبت جنوبهم. وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خواصّه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم. فقال بعضهم لبعض: أنظروا إليه لا يبالي بالموت»^(١). فقال لهم عليه السلام:

«صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّ إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة، فأَيْكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وهؤلاء أعداؤكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله: إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم، وجسر هؤلاء إلى

(١) المفيد، محمد بن محمد، الاعتقادات في دين الإمامية: ص ٥٢، ويُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٣٥١.

جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»^(١).

إذ افتتح الإمام عليه السلام خطابه بلفظ الصبر، ثم أعقبه بمتتالية من الجمل الإخبارية التي تتضمن وعوداً طيبة لهم في الجنان، وهي تنتظرهم بعد موتهم، فالصبر على الموت هنا وسيلة لتوصلهم إلى نعيم الآخرة وقصورها، وتضمن الخطاب وعيداً لأعدائهم، لما ينتظرهم بعد الموت من عذاب أليم، وفي ذلك كمال التكريم لأنصاره، والتعريض بأعدائه عليه السلام، ولو تأملنا خطاب الإمام نجده يشتمل على مصطلحات متقابلة، شكّلت ثنائية: منها ما يتعلق بأصحاب الإمام عليه السلام، ومنها ما يتعلق بالطرف الآخر (أعدائه) يُعدّ الموت المعبر لها، يمكن بيانها بالآتي:

* الموت قنطرة تعبر بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام من:

- البؤس والضراء ← الجنان الواسعة، والنعيم الدائم.

- سجن ← قصر.

* أمّا الجيش في الطرف الآخر بقيادة عمر بن سعد، فالموت ينتقل بهم من:

- قصر ← سجن وعذاب.

وعليه تصنّف هذه الأفعال (الوعد، والوعيد) بناء على قصد المتكلّم في الالتزامات، حيث يلزم المتكلّم نفسه بفعل أو تحقيق شيء في المستقبل، وإنّما صدر هذا الفعل الكلامي (الوعد، والوعيد = الالتزامات) من الإمام عليه السلام مع أنّ الذي يحاسب الناس ويدخلهم الجنة لينعموا بنعيمها أو النار ليعذبهم بجحيمها، هو الله سبحانه وتعالى؛ وذلك بناءً على عهد الرسول ﷺ إليه، فاستند على علم مسبق، مكّنه من انتاج هكذا أفعال مستقبلية (الشرط التمهيدي) وليمنح الإمام عليه السلام كلامه

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٧، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٣٥١.

السلطة اللازمة عمد إلى استحضار حديث الرسول ﷺ بقوله: (إنَّ أبي حدَّثني عن رسول الله: إنَّ الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنَّاتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذَّبت) أضف إلى ذلك وضوح طريق الحقِّ الذي اتبعه أنصار الإمام ﷺ، وضبابية وتخبُّط الطريق الذي اتبعه أنصار الطرف المعادي، فكان لزاماً أن يقابل ثنائية (الخير والشرِّ) في الدنيا، ثنائية (الجنان الواسعة والنعيم الدائم)، و(العذاب بالجحيم)، في الآخرة. وهذه الثنائية التي طرحها الإمام ﷺ سارية المفعول إلى يومنا وحتى قيام الساعة، والحرَّ من ترجمها لخلاص نفسه ولم يمرَّ عليها مرَّ الكرام.

خامساً: الشكوى

الشكوى نوع من الأفعال نابع من وجدان المتكلِّم وما يجيش في داخله من مشاعره الخاصَّة، فيترجمها إلى أفعال قولية تؤدِّي حال النطق بها فعلاً كلامياً، وهذا يمثِّل الإطار العامَّ لمتظهر هذا النوع من الأفعال، إلَّا أنَّه في مواقف مخصوصة يتَّخذ إنتاج هذه الأفعال وغيرها من الأفعال الكلامية عند متكلِّم يتمتَّع بسمات تكوينية مثل الإمام الحسين ﷺ الذي يعدُّ رافد النبوة إلى المسلمين، ووارث الأنبياء، لا يقف تعبيره عن انفعالاته عند مشاعره الشخصية فقط، بل يؤسِّس لمبانٍ عقديَّة وفقهيَّة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر وقوفه عند قبر جدِّه وتردِّده عليه، وعندما ضايقه أصحاب السلطة على أخذ البيعة أتيَّ ﷺ عند قبر جدِّه ﷺ يشكو إليه ما لاقاه من هذه الأمَّة، فقال ﷺ: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد خرجت من جوارك كرهاً، وفُرق بيني وبينك، حيث أتى لم أباع ليزيد بن معاوية، شارب الخمر،

وراكب الفجور، وها أنا خارج من جوارك على الكراهة، فعليك مني السلام»^(١).
 إذ استهلّ خطابه بنداء الصفة (يا رسول الله) ولم يقل (يا جدّي) فاستثمر
 الإشارات الاجتماعية بوصفها تضيف الطابع الرسمي بين المتخاطبين^(٢)، ليفهم أنّ
 قبره وأهل بيته عليهم السلام هم ملاذ العباد في حياتهم وبعد استشهادهم، يسمعون النداء،
 ويردّون السلام، فيكونوا أبواب الله التي منها يؤتى^(٣)، ثم يبيّن الصلة الوثيقة بينهما
 بقوله (لقد خرجت من جوارك كرهاً) وهي جملة خبرية، مؤكّدة بالحال التي
 صوّرت طبيعة هذا الخروج (كرهاً) وقوله عليه السلام: (وفُرق بيني وبينك) إذ جاء بالفعل
 مبنياً للمجهول؛ ليفهم اهتمامه بالفعل لا من فعله أولاً، ولكراهة ذكر اسم يزيد
 معها، فلم يقل: فرق يزيد بيني وبينك، ثم أكّد الخبر بتكراره، فقال عليه السلام: (وها أنا
 خارج من جوارك على الكراهة، فعليك مني السلام)، والمتأمل لمتتالية المفوضات
 يجدها لا يقف غرضها عند الإخبار، بل خرجت لإنجاز فعل كلامي آخر، وهو
 الشكوى للرسول ﷺ ممّا لاقاه عليه السلام من أمته بعده، والشكوى تندرج تحت مصطلح
 التعبيريات، ولا اتجاه مطابقة فيها؛ لأنّها تمثل اختلاجات نفسية سجّلها الإمام عليه السلام
 عند جدّه ﷺ، وقد عزّز عليه السلام الفعل التعبيري غير المباشر بواسطة القوى التي تؤثر
 مقصد المتكلّم، فتكون عبارة عن قوة متضمّنة في القول، يصل بمعيّتها الحضور أو
 السامعون إلى غرض الخطاب، ومنها أداة التنبيه (ها)، التي هي «للتنبيه بمنزلتها في

(١) الطريحي، فخر الدين النجفي، المنتخب في جمع المراثي والخطب: ص ٤١٠، موسوعة كلماته عليه السلام،
 معهد باقر العلوم: ص ٣٥٠.

(٢) يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة: ص ٢٥.

(٣) كقوله ﷺ مسنداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام: (من سلّم علي في شيء من الأرض أبلغته، ومن سلّم علي
 عند القبر سمعته) وقول الصادق عليه السلام لأبي بكر الحضرمي: (تأتي قبر رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم،
 قال: أما أنّه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك إذا كنت نائماً) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار
 الأنوار: ج ١٠، ص ٤٤١، البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٠، ص ٣٢٢.

هذا^(١)، والغرض منها لربما تنبيه المخاطب غير المباشر - أي منم كلامه - يصل إليه على ما يساق إليه من كلام^(٢)، وكذلك تفيد التوكيد^(٣)، لأهمية المُلقَى وبيانه، دليلاً على القوة الإنجازية للفعل.

وبذلك يُنجز بواسطة الأسلوب الخبري أفعال كلامية غير مباشرة، تشكّل القصد من بثّ الخطاب، وتأتي مؤطرة بعرف اللغة، ويتمّ استنتاجها بمعينة الظروف المقامية، وكان لحضور هذا النوع من الأفعال السمة المميزة لخطاب الإمام عليّ، وتلوّنها بألوان الموقف الخطابي، وهناك رافد آخر يعدل هذا الرافد - الخبر - وهو الإنشاء، إذ خرج هو الآخر عن دلالاته الحرفية، ليقدم لنا أفعالاً لغوية غير مباشرة، سيجتهد المبحث القادم في بيانها.

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٣٥٤.

(٢) يُنظر: ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ٤٣٨٠.

(٣) يُنظر: الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن: ج ١، ص ١٤٠.

المطلب الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الإنشاء

الإنشاء: هو «أسلوب يُقصد به إنشاء الكلام وإيجاده ابتداءً، فليس الهدف منه الإعلام أو الوصف، وإنما هو عبارات تصاغ ابتداءً وتنشأ ليطْلَبَ بها مطلوباً، وتمتاز بالحثّ وإثارة الذهن وتنشيط العقل وتحريك المخاطب»^(١)، وهو بذلك قول لا يحمل الصدق والكذب؛ لأنّ القصد فيها إنشاء المعاني.

وعرّف أيضاً بأنّه «الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً الذي يريد المتكلّم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية»^(٢).

وهذا الأصل في التراكيب الإنشائية التي تحقّق نسبتها في الخارج مذ ترك التلفظ بها، ولكن قد ترد تلك التراكيب أو الأساليب الإنشائية ولا يقصد منها الدلالة المعروفة وحسب، إنّما تحمل مقصداً آخرأ، يودعه المتكلّم في طيّاتها، ويتوسّمه المتلقّي على وفق الظروف التداولية، وبذلك يندرج الإنشاء ضمن الأصناف الكلامية التي بحثها سيرل، وهي كثيرة ومتشعبة، وستقف الدراسة عند: الأمر، والاستفهام، بوصفهما نموذجين شكّلا حضوراً متميّزاً في كلام الإمام عليه السلام، وتجنّباً للإطالة من عرض بقية أنواع الأساليب الطلبية، ومن ثمّ بيان المقاصد التي تخرج لها وتؤدّي بها أفعالاً كلامية غير مباشرة:

أولاً: الأمر

«وهو طلب حصول الفعل على وجهة الاستعلاء، حيث يكون من الأعلى إلى

(١) بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ج ٢، ص ٧٧.

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٨٢.

الأدنى»^(١)، والأصل في صيغ الأمر أن تستعمل في طلب حصول الفعل على سبيل التكليف والإلزام من الأعلى للأدنى؛ لأنَّ هذا هو المتبادر إلى الذهن عند سماعها^(٢)، وقد تستعمل في غير هذا الأصل الذي وضعت له، فتؤدّي أغراضاً تداوليةً يتوصّل إليها باستحضار المقام التخاطبي والقرائن اللغوية، ومنها:

١ - الدعاء:

الدعاء هو طلب على سبيل التضرّع والخضوع، ويكون في أسلوب الأمر إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة^(٣)، ويقارب ذلك في كلام الإمام عليه السلام، عندما جاء أهل الكوفة إلى الإمام علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق. فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، وقال: «اللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً، واسقنا غيثاً مغزراً، واسعاً، غدقاً، تنفّس به الضعف من عبادك، وتحبي به الميّت من بلادك، آمين ربّ العالمين»^(٤)، فقول الإمام عليه السلام: (أرسل السماء...) و(أسقنا غيثاً...) إذ صدر كلامه عليه السلام بفعل أمر في كلّ جملة، وهو خطاب إلى الله سبحانه، وبذلك خرج للدعاء، فأنجز فعلاً كلامياً غير مباشر، إذ الأسلوب المستعمل هو الأمر والغرض

(١) بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ص ٨٤.

(٢) يُنظر: الباقري، محمد بن محمد، شرح التلخيص: ص ٣٦٢، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ص ٨٥.

(٣) يُنظر: بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ج ٢، ص ٨٥.

(٤) يُنظر: ابن عبد الوهاب، حسين، عيون المعجزات: ص ٥٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٨٧، البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٥١، المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ج ٧، ص ٨٣٤.

منه هو الدعاء، وإنّا فهم ذلك من الرتبة بين المتخاطبين واتجاه الخطاب، والدعاء هو طلب تغيير في العالم الخارجي، تمثّل في الخطاب بطلب الاستسقاء (نزول المطر) فهو من صنف الطلبيّات واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، «فما فرغ عليه السلام من دعائه حتّى غاث الله تعالى غيثاً بغيته»^(١).

ومّا يقارب ذلك أيضاً، دعاء الإمام عليه السلام على مالك بن حوزة، لما خاطبه الأخير بقوله: يا حسين، أبشر بالنار، فقال عليه السلام: «اللهم حُزّه إلى النار، وأذقه حرّها في الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة» فلم يكن بأسرع أن شَبَّتِ الفرس فألقته في النار، فاحترق. فقال الإمام عليه السلام: «ما كان أسرع إجابتها»^(٢). فصيغتا الأمر الواردة في خطاب الإمام عليه السلام (حُزّه، أذقه) أنجزتا فعل الدعاء؛ لأنّ الخطاب صادر من منزلة دنيا إلى منزلة عليا، وبذلك فمحال أن تحافظ صيغة الأمر على دلالتها الحرفيّة على وجه الاستعلاء، بل يحمل خضوعاً وتذلّلاً، ولذا خرج إلى الدعاء، فالفعل المنجز إذن، وهو الدعاء، مرتبط بمكوّنات لسانية ومقاميّة، ويصنّف وفق سيرل من الطلبيّات.

٢ - المواساة:

من تجلّيات خروج فعل الأمر لإنجاز أفعال كلاميّة أخرى، ما جاء في كلام الإمام الحسين عليه السلام مع أخته زينب عليها السلام، إذ قال:

«يا أختي، تعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا

(١) البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٥١، ويُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٨٧.

(٢) يُنظر: أبو مخنف الأزدی، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٧، ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٩٧، المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٠٢، ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٣٥، ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٦.

ييقون، وأنَّ كلَّ شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منِّي، وأمِّي خير منِّي، وأخي خير منِّي، ولي ولهم ولكلَّ مسلم برسول الله أسوة، يا أخية، إنِّي أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً...»^(١).

والكلام في معرض التصبّر والمواساة، إذ بادر الإمام عليه السلام يعطي مختطفات ما سيكون، فحيناً ينعى نفسه، وحيناً يبادر إلى تقليد أهل بيته مهامهم بعد استشهادهم، ولذلك تكون صيغ الأمر الواردة في الخطاب (تعزّي، اعلمي، أبري) خرجت من دلالتها الحرفيّة على الأمر إلى المواساة، والتصبّر في ذات الله، فأنجز بصيغ الأمر فعلاً كلامياً ينضوي تحت صنف الإيقاعيّات.

ثانياً: الاستفهام

الاستفهام هو استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك^(٢)، فالتكلّم في الاستفهام يصبح سائلاً، يريد أمراً يطلبه من المخاطب، فهو - الاستفهام - طلب مجاله الإرادة (القصّد)، إذ يريد به التكلّم من المخاطب أمراً لم يستقرّ عنده، وما يميّز هذا الحدّ هو انبناؤه على عناصر قوليّة ومقاميّة، أبرزها التكلّم والمخاطب، وحال كلّ من هذا وذاك من حيث استقرار الأمر المستفهم عنه أو عدم استقراره في علم كلّ منهما^(٣)، وهذا الإجراء يؤسلب الاستفهام الحقيقي، ويحدّه بشروطه التي

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٠-٤٢١، ويُنظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٧، ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٥٣١-٥٣٢، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥.

(٢) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١٤٠.

(٣) يُنظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في اللغة العربيّة: ص ١١٣.

يتوازعها توافر طرفي الخطاب سائل (متكلم) ومجيب (مخاطب) وما بينهما القضية المستفهم عنها، وأمّا المخاطب فلا يخل امتلاكه المعلومة المستفهم عنها من عدمها في نجاح الاستفهام وديمومة حقيقته الوضعية، بينما يعدّ المتكلم المحور الأساس في تلون الاستفهام وانتقاله من الحقيقة الوضعية . طلب المعلومة الغائبة - إلى استفهام يخرج لأغراض يقصدها المتكلم، ويودعها الظروف المقامية الكاشفة عن كنه مقصديته، «ومعنى ذلك أنّ عمل الاستفهام يشتمل على عنصري المتكلم والمخاطب بالوضع، ويعدّ المتكلم فيه مَنْ لم يستقرّ في علمه ما يستفهم عنه، وهو أساس وضعي أيضاً، ويفترض أن يكون المخاطب عالماً بما يُسأل عنه أو غير عالم، ولكن إجابهته مطلوبة وضعاً أيضاً»^(١)، وقد تميّز الاستفهام الوارد في كلام الإمام عليه السلام بخروجه عن النمط الحقيقي في النصوص التي تحرّكت على وفق توجيهها إلى المتلقّي، ودخلت في منظومة الخطاب، فأنجز به أفعالاً كلامية متنوعة بين التقرير، والتوبيخ، والنفي، والأمر، إلى غير ذلك من «الإنجازات اللغوية، الذي يكون فيها المتكلم قد قام بإنجاز جملة مع القصد إلى دلالتها الحرفية، دلالة أخرى غير حرفية، أي: دلالة مدركة مقامياً، وبالتالي نكون بصدد قوتين إنجازيتين اثنتين لمنطوق جملي واحد»^(٢) قوة إنجازية حرفية (الاستفهام)، وقوة إنجازية مستلزمة، ويمكن عرضها بالآتي:

١ - التعجّب:

يتوخّى منتج الخطاب سبلاً شتى للتعبير عن أفكاره، وللموقف الخطابي الأثر الكبير الذي يؤطر الخطاب بطابعه القصدي، وقد استثمر الإمام عليه السلام طاقة أسلوب

(١) المصدر نفسه: ١١٤ .

(٢) مجموعة باحثين، التداوليات علم استعمال اللغة: ص ٥٢٦ .

الاستفهام التعبيريّة لبيان سريرة القوم وتقلّبهم من حال إلى حال، الأمر الذي يثير العجب والدهشة من مواقفهم هذه، فهم يعرفونه حقّ المعرفة، وكتبوا إليه يسألونه القدوم حتّى يبايعوه خليفة عليهم، وعندما قدم لهم نصبوا أنفسهم لمحاربته، لذا عدل إلى أسلوب الاستفهام في خطابه لمحاجتهم، فقال عليه السلام:

«أفتشكّون أثراً ما أتى ابن بنت نبيّكم! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيّكم خاصّة. أخبروني، أطلبوني بقتيل منكم قتلته!، أو مال لكم استهلكته!، أو بقصاص من جراحة! قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنادى: يا شُبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجنب، وطمت الحمام، وإنّا تقدم على جند لك مجنّدة، فأقبل!، قالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم، ثمّ قال: أيّها النّاس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض»^(١).

لا شكّ في سيطرة أسلوب الاستفهام على بنية الخطاب، متمثلة: (أفتشكّون أثراً ما أتى...، أطلبوني بقتيل منكم قتلته...، أو مال...، أو بقصاص...، ألم تكتبوا إليّ) ولو تأملنا الغاية التي خرج لها الاستفهام لوجدناه غادر دلالاته الوضعيّة؛ إذ إنّ منتج الخطاب يمتلك المعلومة المستفهم عنها، وبذلك لا ينتظر إجابة من متلقّي الخطاب، وكذا المتلقّون - الجيش المعادي - يمتلكون المعلومة المستفهم عنها أيضاً، ويعلمون أنّ المتكلّم لا يريد جواباً لمكانته وعلمه بحقائق الأمور، فتعيّن أنّ المتكلّم

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٢٥، ويُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٣٥، ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٠، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٩.

وظَّف أسلوب الاستفهام لإنجاز أغراض أخرى، متمثلة بالتعجب من حالهم وإصرارهم على حرب ابن بنت رسول الله ﷺ، وجاء هذا الخطاب الذي يحمل التعجب والاستغراب من القوم، بعد جملة مواقف وقف فيها الإمام الحسين عليه السلام ناصحاً وموجهاً وداعياً إلى الحق ذكرها في كربلاء - قد سبق عرضها في الفصلين المتقدمين - وبعد أن طُبِعَ على قلوبهم واختاروا انتهاك حرمة الإمام بقتله وقف محاججاً إليهم، متخذاً من الاستفهام آلة لقرع أذهانهم، فهو - الاستفهام - عند إفادته معاني تداولية - تعجب مثلاً - يظلّ باقياً في معنى التنبيه وإثارة ذهن المخاطب ولفته إلى موضع التعجب أو الإنكار أو التقرير، حتّى يتأمل ويتدبّر ويعلم أنّه لا جواب لهذا الاستفهام إلّا بالإذعان للمعنى الذي يلفته إليه المتكلّم^(١)، وعند إمعان النظر في جزئيات الملفوظات الاستفهامية الواردة في الخطاب نجدها تشير إلى أفعال قد ارتكبتها أجناد السلطة الحاكمة، الأمر الذي يقوّي سبب التعجب من فعلهم، فهم يناصرون من لا يمتّ إلى رسول الله بصلة ولا بعمل ولا بخلق (يزيد)، ويحاربون ابن وصيّهِ وابن بنته، وينصرون من يقتل بالظنّة ويسفك الدماء دون مسوّغ، ويقتلون من يدعو إلى حقن الدماء وصيانة الدين، وينصرون من صادر أموال الرعيّة لمصالحه وتوطيد حكمه، ومحاربة أولياء الله سبحانه وترك أكثر الناس تتصوّر جوعاً، ويحاربون من يهدف إلى إفشاء العدل والمساواة بينهم، فكلّ هذه المتناقضات أدّت إلى سوق هذا الاستفهام الذي خرج للتعجب والاستغراب من أفعالهم وتفكيرهم، وبه أنجز الإمام عليه السلام فعلاً كلامياً غير مباشر من صنف التعبيريات.

(١) يُنظر: بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني: ١٢٨.

٢ - التقرير:

قد يخرج الاستفهام مغادراً دلالاته الوضعية إلى مقاصد خطابية متمثلة باستنطاق المخاطب بأفعال فعلها، وهي معلومة لطرفي الخطاب وغيرهم، والاستفهام عنها في معرض الحوار يُعدُّ نوعاً من التقرير والاعتراف بفعلها، لا السؤال عنها أوقعت أم لا، وقد حمل كلام الإمام عليه السلام هذا اللون من الاستفهام في النص الذي وجهه إلى معاوية، إذ قال عليه السلام:

«ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهده، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال، أو لست المدّعي زياداً في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلّطته على أهل الإسلام، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك. أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زيادة أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمّه عليه السلام، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منّة عليكم، وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، وإني - والله - ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى

ربّي، وإن لم أفعله فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى»^(١).

فما ورد من استفهام في الخطاب لا ينتظر منه المتكلم جواباً؛ لأنّه معلوم لديه ولعامّة الناس، وإنّما ساق هذه المتتالية من الجمل الاستفهامية لما تملكه من طابع حجاجي مكنتز، ولو عدنا إلى الموقف الخطابي الذي استدعى هذا الردّ لوجدناه متمثلاً بمبادرة معاوية لأخذ البيعة من الناس لولده يزيد وبه أمر عمّاله، وحين امتنع أكثر الوجهاء منهم بنو هاشم، كتب معاوية للمعتضين كتباً، منها كتابه للإمام الحسين عليه السلام يخبره أنّه قد انتهت إليه - معاوية - أمور لم يكن يظنّها بها رغبة عنها، وأنّه أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في شرفك، ومنزلتك التي أنزلك الله فيها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله، ولا تردنّ هذه الأمّة في فتنه، وانظر لنفسك ودينك وأمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٢)، فأجابه الإمام عليه السلام جواباً كان منه النصّ موضع الشاهد، الذي بيّن فيه انتهاك معاوية حرمة الإسلام، والولوج في سفك الدماء، واغتيال كبار الصحابة والتابعين المناصرين لأهل بيت النبوة عليه السلام، فجاء الردّ بمثابة صعقة أرجفت معاوية، وأخذت تطلّعه في أخذ البيعة ليزيد، وبذلك يظهر غرض الاستفهام، فظاھر الحرفي الشكلي أو الوضعي استفهام عن مقتل ثلّة من المؤمنين، إلّا أنّ المعنى المنجز هو فعل التقرير - الاعتراف - الذي يُستدلّ عليه بالقرائن السياقية التي ذُكرت، وعلم المتكلم يمنع حمل الاستفهام على حقيقة؛ لأنّه

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٦، ويُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٣، الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٨٣، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنور: ج ٤٤، ص ٤٠٨-٤٠٧، الجلال، محمد رضا، الإمام الحسين عليه السلام حياته وسيرته: ص ١١٨.

(٢) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٦، البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٣، الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٧.

قدّمه - الاستفهام - معضداً بالتفاصيل التي لا ينكرها منكر، فقال: (ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المختبين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً...)، وقوله عليه السلام: (أو لست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهد...) فتعاوض السياق الخارجي واللغوي على بيان غرض الاستفهام الذي حقّق به تقرير المخاطب وسكوته، والتقرير هو تغيير في الخارج، لذا ينضوي تحت الإيقاعات.

٣- النفي:

قد ينجز بفعل الاستفهام فعل النفي الذي يصنّف ضمن الإخباريات، ومما يقارب ذلك قول الإمام عليه السلام لما سمع عمرو بن الحجاج يقول: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَلْزَمُوا طَاعَتَكُمْ وَجَمَاعَتَكُمْ، وَلَا تَرْتَابُوا فِي قَتْلِ مَنْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَخَالَفَ الْإِمَامَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام:

يَا عَمْرُو بْنَ الْحَجَّاجِ، أَعَلِي تَحْرُضُ النَّاسَ؟ أَنَحْنُ مَرَقْنَا وَأَنْتُمْ ثَبْتُمْ عَلَيْهِ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ لَوْ قَدْ قَبِضْتَ أَرْوَاحَكُمْ، وَمَتَّمَّ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، أَيُّنَا مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَمَنْ هُوَ أَوْلَى بِصَلِيِّ النَّارِ»^(١).

فقوله: (أنحن مرقنا وأنتم ثبتتم عليه) تصدّر بحرف الاستفهام الهمزة، الذي يرقم ما بعده بدلالته على الاستفهام، وقوله (نحن) إشارة إلى الإمام عليه السلام وأصحابه بدلالة قول عمرو بن الحجاج: (ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين). و(مرق)

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥، ص ٤٣٥، ويُنظر: أو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٣٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧.

«الْمَيْمُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. مِنْهُ الْمَرْقُ لِأَنَّهُ شَيْءٌ يَمْرُقُ مِنَ اللَّحْمِ، وَمَرْقُ الْبَيْضِ، أَيْ: فُسْدٌ»^(١)، فعُدل الإمام عليه السلام في جوابه إلى أسلوب الاستفهام؛ لأنَّه «كثيراً ما يستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام، وذلك إذا امتنع إجراؤها على حقائقها الأصلية بسبب قرائن الأصول»^(٢)، وبمعنى المقام التخاطبي القائم على الحجاج، نقل دلالة الاستفهام من معناه الحرفي إلى إنجاز فعل النفي والاستبعاد، وكأنَّه يقول: ما مرقنا وأنتم ثبتم...، كما يحتمل معنى الاستنكار والرفض لقوله، وأيَّ هذه التقديرات اخترت فهي لا تتجاوز صنف الأخباريات، وعليه أنجز الإمام عليه السلام بأسلوب الاستفهام فعلاً كلامياً، وهو النفي الذي يندرج ضمن قائمة الإخباريات.

(١) القزويني الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٣١٣، ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٣٤٠.
 (٢) الاقسرائي، جمال الدين بن محمد، إيضاح الإيضاح: ص ٧٧٣.

الخاتمة

ختاماً نَحْطُ الرحال بعد هذه السباحة في مصاف كلام الإمام الحسين عليه السلام لنستجلي ما عَنَ للبحث من نتائج وصل إليها في أثناء معالجته كلام الإمام عليه السلام بمنهجه التداولي، بما يمتلكه من آليات وأدوات تحليل موسَّعة تحيط بالخطاب، وترتشف عبقات مقاصده أو تقترب منها، ولا تدَّعي الدراسة أنَّها وقفت على المقاصد جميعها التي يحتويها المتن موضع الدراسة، وإنَّما تذكر ما بدا لها بعد جهد من التأمل ودقَّة في العمل، وقد خرجت بجملة نتائج، نجملها بالآتي:

١ - بدا واضحاً للبحث عناية الخطاب الحسيني بالتعاون التحتي في ربط أواصر الحوار، ومن ثمَّ توطيد التواصل، وهذا ما انكشف عند خروقات القواعد المتفرَّعة عن مبدأ التعاون الاغرايسي، على وفق مقتضيات المقام التخاطبي، التي اجتهد البحث لبيانها على وفق خطوات متسلسلة، وبيَّن البحث كذلك أثر العرف اللغوي في تسويق الخرق، من قبيل الكنايات والاستعارات المتعارف عليها تداولياً، حتَّى شكَّلت هذه الخروقات الخطابيَّة طاقة حجاجيَّة مكثَّفة، تمثَّلت بتثبيت حقيقة أو كشف زيف، أو نقض دعوى، وغير ذلك من المقاصد التي اشتغل عليها البحث في طيَّات فصوله.

٢ - حمل الكلام الذي جاء على وفق قواعد مبدأ التعاون الأمور الحساسة التي لا تحتلّ تعدّد القراءات، ومنها في أوضح صورها رسائله عليه السلام إلى وجهاء الكوفة والبصرة، وما تضمَّنَّته وصيَّته عليه السلام لأخيه السيد محمد بن الحنفية لما تحمله من أهداف وغايات حساسة، وعليه لا يقلُّ الاستلزام الناتج من اتباع القواعد أهميَّة

من الاستلزام الناتج عن خرقها، وبكلمة أدق لا يمكن التفاضل بين الأسلوبين؛ لأنّ لكل استعمال مبرراته ومقاصده، أمّا ما حظي به استلزام الخرق من أهميّة؛ لعلّه متأّت من تكوينه الذي يحدث بمخالفة المؤلف، ممّا يحدث ردّة فعل وانتباه لدى متلقّي الخطاب، فيحمله على تتبّع خواصّه - مقامياً لا شكلياً أو معجمياً - فيشابه المجاز من حيث الأهميّة، بينما لا يحتاج النوع الآخر إلى هذا التتبّع؛ إذ يتمّ التوصل إليه من دون الحاجة إلى سياق مقامي معيّن.

٣ - شكّل خرق قاعدة الكم النسبة الأكبر في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، على وفق استقراء عمله البحث لكلّ النصوص التي تناولها بالتحليل، وقد كان لخرق قاعدة الكم بتقديم أخبار أكثر من القدر المطلوب، الحظّ الأوفر في خطاب الإمام عليه السلام، ولاحظ البحث أنّ السمة المميّزة لهذا الخرق أنّه ينتج في المحافل العامّة، والتجمّعات التي تضمّ أعداداً كبيرة من المسلمين، وفي أماكن مقدّسة تمثّلت بالمسجد النبوي، وبيت الله الحرام، وفي كربلاء، وعند التأمّل في مجريات الخرق ومقتضياته، بأنّ للبحث أنّه يهدف إلى بيان وتوطيد مسلمات عقديّة، ومنها بشكل واضح عقيدة الإمامة. أمّا الخرق القائم على تقديم أخبار أقلّ من المطلوب، فقد رصد البحث تكوينه، فوجده منوطاً بالمحاورات الفرديّة التي أجراها الإمام عليه السلام مع مخاطبيه على شكل لقاءات فرديّة.

٤ - رصد البحث ظاهرة الخرق المركّب، الذي عمد إلى عرضه عن طريق مستويات بحسب القصد من الخرق، ومقابلته بالمقام الجزئيّ الحاضن له، وهذا التقسيم قد انفردت به هذه الدراسة؛ لأنّ جميع من عرض لتطبيقات الاستلزام الحوارية القائم على الخرق، لم يفصح عن مراتب الخرق وغاياته ومستوياته، وهذه الظاهرة نجدها حتّى عند المنظرين لنظريّة الاستلزام الحوارية، فهم عند وصولهم إلى الأمثلة التطبيقية نجد أكثرهم يعمد إلى الأمثلة المصطنعة المفصّلة على غرار

القاعدة، لذا جاءت هذه الدراسة بفيض من التطبيقات مع بيان الهدف من الخرق، والأسباب الكامنة خلفه، وطبيعة المقام الذي سوّغه، ومدى التأثير المترتب عليه.

٥ - يّين البحث أثر المنهج التداولي في حلّ بعض التصادم بين الخطب والمقام أو الموضوع الذي أنتجت فيه، وقد ساهمت قاعدة الكيف في تفسير الأقوال والأفعال التي دارت بين الإمام عليه السلام ومحاوريه، وتوجيهها حسب مقاربة مقصدية، سهر البحث على دقّتها، منها ما سلك الأسلوب الحكيم في التعبير، ومنها ما خرج لتهكّم واستنكار. وقد انمازت قاعدة الملاءمة في الكشف عن التوافق التحتي أو المضمر بين الخطاب وغرضه، وتجلّى ذلك واضحاً في خطبة الدعوة لنصرته في مكّة قبل خروجه، وخطبة الترخيص قبل استشهاده، وكشف البحث عن الغاية - حسب نظر البحث - من ذلك، وعليه قدّم المنهج التداولي الحلّ لهذه الملفوظات، بعد أن تعذّر على غيره من المناهج أن تمسك بهذه النتائج.

٦ - كشف البحث عن أثر الافتراض المسبق في الحجاج، وما يوفّره من اقتصاد لغوي وجهد، إذ وظّفه الإمام عليه السلام في خطابه، بما يتوافق في طيّ المعلومات المسبقة والبدئية، التي تضيف أثراً كبيراً على المحاوره بصدد إثبات الحقائق، وفرض الحجج، والتبليغ، بما يتضمّنه - الافتراض - من معاني جديدة مبنية على معارف مسبقة غير قابلة للإنكار، فهي كالمسلّمات التي تفرض نفسها على المخاطب من دون نقاش، وهذه طريقة ناجحة في تقديم المعلومات، وتشكّل طاقة حجاجية كامنة، إذا ما سلّم بها المخاطب أقرّ على نفسه بالحجّة. وتبيّن للبحث في هذا الصدد أنّ بناء الخطاب يكون على وفق معطيات تأخذ بنظر الاعتبار ثقافة المتلقّي، وهو بذلك يقرّ ضمناً بحق المتلقّي في تحليل خطابه؛ ليكون عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى.

٧ - يّين البحث دقّة الافتراض المسبق الذي استند إليه الإمام عليه السلام في بناء خطابه، إذ مثّلت مادّة حيّة وحقيقية أفحمت متلقّيه وأسكتتهم، وبه انكشف مأساوية

الوضع المحقق بالأمة الإسلامية التي تعلم علم اليقين بحق ومكانة الإمام عليه السلام وتنهض لقتاله وقتله.

٨ - كشف البحث عن أثر العرف اللغوي في بيان الافتراض المسبق، وكيفية الاستدلال عليه من التراكيب والأدوات اللغوية، إضافة للثقافة الاجتماعية.

٩ - بين البحث أهمية ارتباط الخطاب الحسيني بظروف إنتاجه، لما له من أثر في بيان الأقوال المضمرة التي يراد تبليغها، ومدار الكشف عن هذه المضمرات يتطلب تتبعاً تداولياً ممنهجاً، يستحضر أقطاب الحوار ومقامه، لينتج قراءة ثانية مترسّحة عن القراءة المباشرة للخطاب، كما لمسناه في وصية الإمام عليه السلام لأخيه السيد محمد ابن الحنفية، وخطبته في مكة وليلة العاشر من محرم، وغيرها من الأمثلة التي كشفت عنها الدراسة.

١٠ - عرضت الدراسة نماذج من خطب الإمام عليه السلام ومراسلاته، رأينا أنها تتضمن أقوالاً مضمرة على وفق المنظور التداولي الحديث، وحاولنا بيان المضمرات فيها، وقد لاحظت الدراسة أن مفهوم الأقوال المضمرة يتجلى عبر أنساق معينة وظواهر لغوية مختلفة، ورأينا أنها تمثل جانباً أساسياً في فهم الخطاب ومقاصده فهماً سليماً، يتجاوز قيد المعجم ودلالة التركيب، وهي بذلك تعدّ الأوسع مدى في حمل الطاقات التعبيرية - انفعالية، وجدانية، نفسية - المنصهرة في اللغة.

١١ - كشف البحث عن الآلية التي يتمّ الوصل عبرها إلى المضمّر في كلام الإمام عليه السلام، متمثلة بقرائن تشير إلى المسكوت عنه، منها: قرائن معجمية: تبين تركيز بعض المفردات اللغوية.

قرائن مقالية: يوضحها السياق الخارجي، ومنها، قوله عليه السلام: (كهاتين).

القرائن التاريخية: التي تحمل تفسيرات لمتتالية الملفوظات الواردة في الخطاب ولها أثر بارز في الكشف عن المضمّر أو تأكيده، وأمثلتها النصوص المتداولة في الثقافة الإسلامية التي استشهد بها البحث.

١٢ - كان الخطاب الحسيني معيناً لا ينضب لجميع محاور المنهج التداولي، ورأينا في النموذج الواحد كيف تتجلى فيه كلّ الأبعاد التداولية، وقد عمد البحث إلى تكرار أكثر من مثال ومناقشتها في مواطن مختلفة من زوايا مختلفة، لنجلي فكرة مفادها: أنّ الخطاب الحسيني خطاب مركّز ومختزل، يفيض بالمعاني الضمنية والصريحة التي تنهض لتكون بيئة خصبة لمختلف أنواع التحليل والقراءات التي تتميز بها محاور المنهج التداولي.

١٣ - بينت الدراسة عبر الأقوال المضمرة وغيرها عالميّة الثورة الحسينية، ودقّة برنامج الثورة الذي حمله خطاب الإمام (عليه السلام)، وتمّ بيانه بوضوح عبر التفاعل بين الخطاب والظروف الحافّة به، لنقارب القصد الذي تضمّنه.

١٤ - كشفت الدراسة عن دقّة توظيف الخطاب، وانتقاء العبارات التي جاءت بحسب ما يقتضيه المقام التخاطبي ومتلقّي الحوار، حتّى تنوّع أسلوب الإمام (عليه السلام) في المقام الواحد إلى طبقات أو مستويات بحسب مخاطبيه، وهو ما يعرف حديثاً بتعديل القوّة الإنجازيّة التي فصلتها الدراسة في موضعها.

١٥ - تميّز الخطاب الحسيني في إنتاج الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة، بما يتمتّع به منتج الخطاب من سلطة عليا، يعيها كلّ متلقّيه، وبانت هذه السلطة واضحة في الإيقاعيّات والطلبّيّات بشكل جليّ.

١٦ - رصد البحث تنوّع الأخبار التي قدّمها الإمام (عليه السلام)، وقد تمثّلت في ثلاثة مستويات: منها ما أخبر بها قبل وقوعها، وبها اتضح الجانب الغيبي الذي يتميّز الإمام (عليه السلام) بمعرفته، ومنها ما وقع أثناء زمن التكلّم، ومنها ما وقع قبل زمن التكلّم، ليتّبع الإمام (عليه السلام) بذلك دائرة معلومات تحيط بالواقع وتكشفه للمتلقّي بغرض النصّح والإرشاد والإصلاح.

١٧ - تبيّن للبحث أنّ الأفعال الكلاميّة من صنف الإيقاعيّات، قد صيغت من

الفعل الماضي، ومن الجملة الإسمية - في أكثر الأمثلة - وهذا لعله يكشف عن مقصدية الإمام عليه السلام في التأكيد على إنجاز الفعل وتحقيقه، فهو بذلك لم يكتف بالقصد المركوز في ذهنه عليه السلام، بل وظّف العرف اللغوي لبيانه (الصيغ التركيبية التي تدلّ على الثبوت) والأعراف غير اللغوية لبيان ذلك القصد.

١٨ - الأصل في فعل التعجب وما ينطوي تحته في الوظيفة، أن يعبر عن حالات نفسية، فهو والحالة هذه من صنف التعبيريات، ولكن لا يصح نسبتها بهذا المعنى للإمام عليه السلام؛ لما فيها من عوارض النقص التي ينزّه عنها منتج الخطاب، وبلحاظ المقام التخاطبي، تعيّن أن يكون التعجب خرج لغرض التنبيه على ما هم عليه من ذلّ وهوان، لا التعجب من أمر خفي.

١٩ - شكّلت الأفعال الكلامية المتسلسلة الواردة في خطاب الإمام عليه السلام فعلاً كلامياً كبيراً بحسب ما بيّنه (فان دايك)، وهذا يكشف دقّة الاتساق والترابط الشكلي والمعنوي الذي ميّز الخطاب الحسيني.

٢٠ - إنّ القصد في الخطاب الحسيني هو الموجه الأساس للأفعال الكلامية، ويبدو ذلك واضحاً في الوضع اللغوي الذي تجلّيه الدلالة الزمنية التي دبجت بها الأفعال، وما تحيل إليه أدوات الربط.

٢١ - كشفت مقاربتنا عن البون الكبير بين المنهج التداولي والمناهج التي تقف عند البنى التركيبية، والبنى السطحية، وتعذّر الأخيرة عن المسك بالمعنى المراد، والحلّ الأمثل هو ما قام عليه المنهج التداولي الذي يقوم على جميع معطيات الفعاليات الخطابية، متخذاً من مقامها الخطابي إطاراً لتحليلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

١. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٢٠هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢. أحكام الجنائز، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٤. أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥. استراتيجيّات الخطاب مقارنة لغويّة تداوليّة، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.
٦. الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيّات النوعيّة للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي إدواري، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط ١، ٢٠١١م.

٧. الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠٠٦ م.
٨. الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، طبعة منقّحة ومشفوعة بيغلورافيا الدراسات الأسلوبية والبنوية، ط ٣، (د. ت).
٩. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت: ٣١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ٣، (د. ت).
١٠. أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، محمد الصدر، تحقيق: كاظم العبادي، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
١١. الاعتقادات في دين الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣.
١٢. أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، جون إي جوزيف نايجل لف تولبت جي تيلر، ترجمة: د. أحمد شاكر الكلاي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٦ م.
١٣. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
١٤. أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت: ١٣٧١ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٥، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
١٥. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.

١٦. الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
١٧. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، تقديم: د. تمام حسان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١٨. الأكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي (ت: ٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٩. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة مركز الطباعة والنشر، طهران، ط٢، ١٣٩٣م.
٢٠. الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، دار مكتبة التبرية، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٧٢م.
٢١. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) علق عليه ووضح حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. ت).
٢٢. أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، شخصيته وعصره، علي محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، (د. ط)، (د. ت).
٢٣. إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، شكري عياد المبخوت، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والفنون الإنسانية، جامعة منوبة، (د. ت).
٢٤. الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد، جامعة منوبة، كلية الآداب واللغات، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥. إيضاح الإيضاح، جمال الدين بن محمد الآقسرائي، تحقيق: ميلاد إبراهيم القذافي، دار ومكتبة الشعب، مصراته، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
٢٦. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، قدّم له وبوّبه وشرحه: علي أبو ملحّم، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، طبعة ٢٠٠٠م.
٢٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي، تحقيق وتصحيح: لجنة من العلماء والأخصائيين، طبعة منقّحة ومزوّدة بتعليق العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
٢٨. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهاء بن عبد الله الشافعي الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)، تحرير: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، راجعه د. عمر سلمان الأشقر، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع - بالقردة، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٩. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزيرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٠. البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د. محمود عكاشة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.
٣١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٣٢. بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد، كمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، (د. ط)، (د. ت).

٣٣. البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، صور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن جنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٤. البلاغة والأسلوبيّة، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونغمان، ط١، ١٩٩٤.
٣٥. البيان والتبيين، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٣هـ.
٣٦. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٣٧٣هـ-١٩٧٣م.
٣٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣٨. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٩. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) محمد بن جرير الطبري (ت: ٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م.
٤٠. تاريخ يعقوبي، أحمد بن إسحاق يعقوبي البغدادي، (ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، دار الاعتصام للطباعة والنشر، قم، إيران، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٤١. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د-ط)، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٤٢. التبصرة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٣. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط ٢، ٢٠٠٠ م.

٤٤. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، ١٩٨٤ هـ.

٤٥. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني (ق ٧)، قدّم له وعلّق عليه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٧، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٦. تحليل الخطاب المسرحي (في ضوء النظرية التداولية)، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠٣ م.

٤٧. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م.

٤٨. التداوليّات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط ١، ٢٠١٥ م.

٤٩. التداوليّات، علم استعمال اللغة، مجموعة باحثين، إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ٢٠١١ م.

٥٠. تداوليّة الخطاب السردي، دراسة تحليليّة في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠١٢م.
٥١. التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل، آن ريبول، وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيق زيتوني، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
٥٢. التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.
٥٣. التداوليّة في البحث اللغوي النقدي، مجموعة باحثين، تحرير: د. بشري البستاني، مؤسّسة السيّاب، لندن، ط ١، ٢٠١٢م.
٥٤. التداوليّة من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا - اللاذقية، ط ١، ٢٠٠٩م.
٥٥. التداوليّة، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتّاي، الدار العربيّة للعلوم، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
٥٦. التداوليّة، مقاربات في المفهوم والتأصيل، إعداد وتحرير: محمد امطوش، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع - العراق، ط ١، ١٠١٤م.
٥٧. التركيبات الوظيفيّة، قضايا ومقاربات، د. أحمد المتوكّل، مكتبة دار الأمان، مطبعة الكرامة - الرباط، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٨. التصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينيّة من مكّة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلويّة المقدّسة، مكتبة الروضة الحيدريّة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٥٩. التصوير المجازي، أنماط ودلالة في مشاهد القيامة في القرآن، د. إياد عبد الودود عثمان، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ط ١، ٢٠٠٤.

٦٠. التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٨٣ م.
٦١. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب للإمام العسكري عليه السلام (ت: ٢٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم المقدسة، مهر - قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٦٢. التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٦٣. ثورة الإمام الحسين عليه السلام، محسن باقر القزويني، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط ٢، ٢٠١٥ م.
٦٤. الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
٦٥. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق - الطائف، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٦٦. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٦٧. جهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
٦٨. جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٦٩. الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م.
٧٠. الحسين عليه السلام سماته وسيرته، محمد رضا الحسيني الجلاي، دار المعرفة للطباعة والنشر، قم، (د. ط)، (د. ت).
٧١. الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهلي، أفريقيا الشرقية، المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٤م.
٧٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، كربلاء، ط٢، ٢٠٠٨م.
٧٣. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٢ (د. ت).
٧٤. الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد) د. بنعيسى عسو أزييط، المملكة المغربية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.
٧٥. خلاصة عبقات الأنوار، حامد النقوي (ت: ١٣٠٦هـ)، مطبعة سيد الشهداء، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية، طهران - قم، (د. ط) ١٤٠٥هـ.
٧٦. دائرة الأعمال اللغوية، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١، ١٠١٠م.
٧٧. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، يوسف بن أحمد البحراني (ت: ١١٨٦هـ)، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى صلوات الله عليه وآله لإحياء التراث للطباعة والنشر، مكتبة فخرآوي، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٨. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي (ت: ٤٧١هـ، أو ٤٧٤هـ)، علّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤م.
٧٩. دليل الناقد الأدبي، سعد البازي وميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٨٠. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين الطبريّ (ت: ٦٩٤هـ)، تحقيق: جميل إبراهيم حبيب، بغداد، (د. ط)، ١٩٨٤م.
٨٢. سرّ الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة: محمد علي صبح وأولاده، الأزهر، مصر، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
٨٣. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل، عبد الملك بن حسين العصامي المكيّ (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٤. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسّسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٨٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٦. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين جعفر بن

- الحسن، المحقق الحلّي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، انتشارات الاستقلال، طهران، مطبعة أميرة - قم، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
٨٧. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى (ت: ٩٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربيّة، (د، ط)، (د، ت).
٨٨. شرح التلخيص، كمال الدين محمد بن محمد البابرقي، (ت: ٧٨٦هـ) دراسة وتحقيق: د. محمد مصطفى رمضان صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس - ليبيا، ط ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٨٣م.
٨٩. شرح الرضي على الكافية، رضى الدين، محمد بن الحسن الاسترابادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس - بنغازي، ط ٢، ١٩٩٦م.
٩٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط ١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
٩١. شروح التلخيص للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، مطبعة عيسى البابلي وشركاه [كذا]، مصر، (د. ط)، (د. ت).
٩٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
٩٣. الطراز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، المكتبة العصريّة - بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
٩٤. العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: د. سعيد الغنامي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٩٥. علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه القمّي، الصدوق (ت: ٣٨١هـ)،

- قدّم له وعلّق عليه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ت ٢٠٠٧م.
٩٦. علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيّد، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة - مصر، ١٩٩٢.
٩٧. علم المعاني، دراسة بلاغيّة ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٩٨. عندما نتواصل نتغيّر، مقارنة تداوليّة معرفيّة، آليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرقية، المغرب، (د. ط)، (د. ت).
٩٩. العوالم، عبد الله البحراني (ت: ١١٣٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليه السلام، أميرة للطباعة، قم - إيران، (د. ط) ١٤٠٧هـ.
١٠٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).
١٠١. عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق، دار المرتضى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٠٢. عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب (ت: ق ٥)، نشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكلتي، (د. ط)، ١٢٦٩هـ.
١٠٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني، تحقيق: دار إحياء التراث العربي، بإشراف السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٠٤. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ)، تحقيق: شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١١هـ.

١٠٥. الفروق اللغويّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حقّقه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (د. ط)، (د. ت).
١٠٦. فضائل الصحابة، أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسّسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٠٧. فلسفة التواصل، جان مارك فيري، ترجمة: د. عمر مهيل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٠٨. فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة كوين، صلاح إسماعيل، دار المعارف، (د. ط)، (د. ت).
١٠٩. الفوائد الرجاليّة، مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، مكتبة الصادق - طهران، آفتاب، ط ١، ١٣٦٣ هـ.
١١٠. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
١١١. في اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩ م.
١١٢. في المعنى مباحث دلاليّة معرفيّة، د. صابر الحباشة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٨ م.
١١٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسّسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١١٤. القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، السحب الثاني، منشورات دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس، (د. ط)، ٢٠١٠م.

١١٥. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٤، ١٤٦٢هـ.

١١٦. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الشيباني (ابن الأثير) (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٧. الكتاب، عمرو بن عثمان، المعروف بسيويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي في القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.

١١٨. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي، دار قهرمان للنشر والتوزيع، استانبول، (د. ط)، ١٩٨٤م.

١١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

١٢٠. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت: ٦٢٥هـ) دار الأضواء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢١. الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني (أبو البقاء الحنفي) (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسّسة الرسالة - بيروت، (د. ط)، (د. ت).

١٢٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين

- (المتقي الهندي) (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسّسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٢٣. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي (ت: ٧١١هـ) تحقيق: اليازجي وجماعة، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٢٤. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، مركز الثقافة العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
١٢٥. لسانيّات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٦، ٢٠٠٦م.
١٢٦. اللسانيّات الوظيفيّة، مدخل نظري، د. أحمد المتوكّل، دار الكتب الجديدة المتّحدة، ط٢، ٢٠١٠م.
١٢٧. اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زبييلة كريم، ترجمة: د. سعيد البحيري، ط١، ٢٠١١م.
١٢٨. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهّاب، مراجعة: د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، (د. ط)، ١٩٨٧م.
١٢٩. اللغة والمعنى، مقاربات في فلسفة اللغة، مجموعة باحثين، إعداد وتقديم: مخلّق سيّد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٣٠. اللمعة الدمشقيّة، محمد بن جمال الدين مكّي العاملي (الشهيد الأوّل) (ت: ٧٨٦هـ)، تحقيق: الشيخ علي الكوراني، دار الفكر، إيران - قم، مطبعة قدس، ط١، ١٤١١هـ.
١٣١. المبسوط، محمد بن أحمد، السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د. ط)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

١٣٢. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، السّنة المحمّديّة، (د. ط)، ١٩٥٥ م.

١٣٣. مجمع البيان لعلوم القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، (د. ط)، مؤسّسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٣٤. محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٣ م.

١٣٥. المحاورّة مقارنة تداوليّة، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع - الأردن، ط ١، ٢٠١٢ م.

١٣٦. المحصول، فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طه جابر فيّاض العلواني، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٢ هـ.

١٣٧. مختصر المفيد، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٣٨. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١ هـ) تحقيق: أحمد راتب حنوش ومحمد ناجي العمر، مراجعة رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٣٩. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت: ٧٣٢ هـ)، المطبعة الحسينيّة المصريّة، ط ١، (د. ت).

١٤٠. مدخل إلى الدراسة التداوليّة، مبدأ التعاون ونظريّة الملائمة والتأويل، فرانثيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم: يحيى حمدان، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط ١، ٢٠١٤ م.

١٤١. مدخل إلى اللسانيّات التداوليّة، الجيلاني دلاش، ديوان المطبوعات

الجامعيّة، الساحة المركزية بن عنكون، الجزائر، (د. ط)، ١٩٩٢م.

١٤٢. مدخل إلى اللسانيّات، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتب العلميّة،

بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤٣. مذاهب ومصطلحات فلسفيّة، محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي

الغريزي الغرّاوي، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، قم، ط١،

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤٤. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق:

شعيب الأرناؤوط، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة

الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٤٥. مسند الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، جمعه ورتّبه:

الشيخ عزيز الله العطاردي، انتشارات عطارد، أفسس، ط١، ١٣٧٦هـ.

١٤٦. المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، دراسة

معجميّة، د. نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، مكتبة مؤمن قريش،

عمّان - الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

١٤٧. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد

يحياتين، منشورات الاختلاف، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر،

ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٤٨. المضمّر، كاترين كيربرات - أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة

جوزيف شريم، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت - لبنان، ط١،

٢٠٠٨م.

١٤٩. معاني القرآن، الأخفش أبو الحسن المجاشعي (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق:

د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٥٠. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١٤٢٨هـ-١٤٠٧م.
١٥١. معجم الأحاديث الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فخري بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط١٩٨٣، ٢م.
١٥٢. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط١٩٩٥، ٢م.
١٥٣. معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٥٤. معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، تصحيح وتعليق: د. ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٥٥. معجم تحليل الخطاب، مجموعة باحثين، بإشراف: باتريك شارودو، دومينيك مانغو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة - تونس، (د. ط)، ٢٠٠٨م.
١٥٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٥٧. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في «شروح التلخيص» للخطيب القزويني، د. صابر الحباشة، دار صفحات، سورية - دمشق، ط١، ٢٠١١م.
١٥٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن أحمد، جمال الدين بن

- هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
١٥٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن الرازي (فخر الدين الرازي) (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
١٦٠. مفاهيم لسانيات النصّ في دلائل الإعجاز، سمية أبرير، جامعة عنابة، الجزائر، (د. ط)، ٢٠١١.
١٦١. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٦٢. مقاتل الطالبين، علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
١٦٣. المقاربة اللغويّة في الخطاب الصوفي، الفتوحات المكيّة إنموذجاً، د. عقيل عكموش العنبيكي، مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٣م.
١٦٤. مقالات في تحليل الخطاب، تقديم: حمادي صمود، منشورات كليّة الآداب والفنون بجامعة منوبة، منتدى سور الأزيكية، (د. ط)، ٢٠٠٨م.
١٦٥. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
١٦٦. مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكيّ أخطب خوارزم، الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ) تحقيق: محمد السماوي، مهر، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٦٧. مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٦٨. المقنع، محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، (د. ط)، ١٤١٥هـ.

١٦٩. الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة: د. قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د. ط)، ١٨٩٨م.

١٧٠. الملهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، دار الأسرة للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٥هـ.

١٧١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٧٢. المنتخب في جمع المراثي والخطب، فخر الدين الطريحي النجفي (ت: ١٠٨٥هـ)، ضبطه وصحّحه: نضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٧٤. منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، دراسة في المبادئ التداولية، محمود طلحة، منشورات مخبر، مطبعة بن سالم الأغواط، ط١، ٢٠١٣م.

١٧٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد تحقیقات باقر العلوم - منظمة الإعلام الإسلامي، مطبعة أسوة، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٧٦. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر

الحلواني (ت:ق: الخامس)، مؤسّسة الإمام المهدي، قم، (د. ط)، ١٤٠٨هـ.

١٧٧. النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرقية، المغرب، بيروت - لبنان، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

١٧٨. نظرية الأفعال الكلامية العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستن، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرقية - المغرب، ط ٢، ٢٠٠٨م.

١٧٩. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب السيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، (د. ط)، ١٩٩٤م.

١٨٠. النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ٣، ١٩٨٧م.

١٨١. نظرية التلويح الحوارية، د. هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٣م.

١٨٢. نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب نموذجاً، دراسة تحليلية، د. محمد عبد الرحمن جابري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

١٨٣. نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.

١٨٤. النظرية اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو

- جورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط ٢٠١٢، ١م.

١٨٥. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية - السعودية للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٨٦. نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧م.

١٨٧. نهاية الأحكام، الحسن بن يوسف العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٠هـ.

١٨٨. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٧هـ.

١٨٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، قدم له: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٩٠. وفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٩١. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

١٩٢. الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، أطروحة تقدّم بها الطالب عايد جدّوع حنّون إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة البصرة، قسم اللغة العربية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٩٣. الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية، قصّة يوسف إنموذجاً، نور الدين خيار، رسالة ماجستير في كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.

١٩٤. السور المكيّة في القرآن الكريم مقارنة تداولية، كاظم فاضل هادي (رسالة ماجستير) جامعة القادسيّة، كلية التربية، ٢٠١٥م.

١٩٥. طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، إدريس سرحان، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة من شعبة اللغة العربية وآدابها، جامعة سيد محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرّاز - فاس، للعام ٢٠٠٠م.

١٩٦. المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيويو، عمّار إحسان عبد الله الخزاعي، رسالة ماجستير، جامعة القادسيّة، كلية التربية، ٢٠١٣م

١٩٧. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (د. ط)، ١٩٨٦م.

١٩٨. المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجاً، ليلى جادة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٩٩. نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة تحليلية في جمالية بنية النصّ، (أطروحة دكتوراه)، حيدر محمود شاكر حبيب، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

ثالثاً: البحوث والدوريات

٢٠٠. الاقتضاء التخاطبي دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام، نور وليد، كلية التربية - جامعة الموصل، تحرير: د. بشرى البستاني، الكتاب الأول ٢٠١٢م.

٢٠١. الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم (بحث مستل)، د. عماد عبد يحيى الحياي، ود. أشواق محمد إسماعيل النجار، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد: ١٥، العدد: ١، كانون الثاني، ٢٠٠٨م.

٢٠٢. الاقتضاء في التداول اللساني، عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، مجلد: ٢٠، ٣١٩٨٩م.

٢٠٣. البعد التداولي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الفكر، العدد الأول، مج ٣٣، ٢٠٠١م.

٢٠٤. في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريف، د. عيد بليغ، مجلة الأفلام، عدد خاص عن التداولية، أيلولتشرين الأول، ٢٠٠٨م.

٢٠٥. مفاهيم لسانيات النصّ في دلائل الإعجاز، سميرة أبرير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر.

٢٠٦. نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب، الجزائر العاصمة، العدد ١٧، جانفي ٢٠٠٦م.

فهرس المحتويات

الإهداء.....	٩
مقدمة المؤسسة.....	١١
مقدمة قسم الرسائل والأطاريح الجامعية.....	٢٧
التمهيد.....	٣٥
المطلب الأول: كلام الإمام الحسين عليه السلام.....	٣٧
أولاً: مفهوم الكلام.....	٣٧
ثانياً: الإمام الحسين عليه السلام.....	٤١
المطلب الثاني: المقاربة التداولية.....	٤٣
أولاً: المقاربة.....	٤٣
ثانياً: التداولية.....	٤٤
أ - المصطلح.....	٤٤
ب - النشأة.....	٤٧
ج - المفهوم.....	٥٣
ثالثاً: التداولية والمتن التراثي، الملفوظ والمكتوب.....	٥٨
مقام التخاطب وأهميته.....	٥٩

الفصل الأول

الاستلزام الحواري:

CONVERSATIONAL IMPLICATURE

- توطئة ٦٣
- المبحث الأول: الاستلزام العام ٧١
- ١ - كلّ ٧٢
- ٢ - جميع ٧٤
- ٣ - أكثر ٧٥
- ٤ - النكرة ٧٧
- المبحث الثاني: الاستلزام الخاص ٨١
- أولاً: قاعدة الكم ٨٢
- ١ - احترام القاعدة ٨٢
- أ - دقة المعادلة الموضوعية ٨٢
- ب - التقييد الرقمي ٨٥
- ج - الالتزام الكمي والموضوعي ٨٥
- ٢ - خرق قاعدة الكم ٨٧
- الخرق المركّب ٨٨
- الخرق المختزل ٩٦

فهرس المحتويات ٣١٧

ثانياً: قاعدة الكيف ٩٩

١- احترام قاعدة الكيف ٩٩

٢- خرق قاعدة الكيف ١٠٢

ثالثاً: قاعدة الملازمة ١١١

١- احترام قاعدة الملازمة: ١١٢

٢- خرق قاعدة الملازمة: ١١٥

رابعاً: قاعدة الطريقة ١٢١

١- احترام قاعدة الطريقة ١٢٢

٢- خرق قاعدة الطريقة ١٢٤

١- التوكيد ١٢٩

٢- التحقير ١٣٠

٣- الاختصاص ١٣٠

الفصل الثاني

متضمنات القول:

LES IMPLICATES

توطئة ١٣٥

المبحث الأول: الافتراض المسبق ١٣٩

المطلب الأول: الافتراض المسبق في بنية التراكم (الخبرية) ١٤٥

- ١ - (ال) التعريف: ١٤٦
- ٢ - أداة الشرط الامتناعي (لو) ١٤٨
- ٣ - ظرف الزمان الماضي ١٥١
- المطلب الثاني: الافتراض المسبق في التراكيب الإنشائية ١٥٤
- ١ - الاستفهام ١٥٥
- ٢ - أسلوب الأمر ١٥٨
- المبحث الثاني: الأقوال المضمرة ١٦٧
- المطلب الأول: مضمورات فضل الإمامة، وصفات الخليفة الشرعي ١٧٣
- أولاً: فضل الإمامة ١٧٣
- ثانياً: صفات الخليفة الشرعي ١٧٩
- المطلب الثاني: عالمية الثورة الحسينية وأبعادها العبادية ١٨٣
- أولاً: عالمية الثورة الحسينية ١٨٣
- ١ - شعار الثورة الحسينية ١٨٣
- أ - البعد العقائدي ١٨٥
- ب - البعد المنهجي ١٨٦
- ٢ - استثمار موسم الحج ١٩٠
- أ - وقت دخوله إلى مكة المكرمة ١٩٠
- ب - وقت خروجه من مكة ١٩٢
- ثانياً: البعد العبادي في أفعال الإمام الحسين عليه السلام وأقواله ١٩٦
- ١ - صلاة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ١٩٦
- ٢ - تلاوة القرآن الكريم ١٩٩

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية :

SPEECH ACT

توطئة	٢٠٩
أولاً: مرحلة التأسيس	٢١٠
المبحث الأول	٢٢١
الأفعال الكلامية المباشرة	٢٢١
المطلب الأول: الأفعال التي يكون فيها اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم	٢٢٣
أولاً: الإيقاعيات	٢٢٣
١ - عقد الزواج	٢٢٤
٢ - الهبة	٢٢٦
٣ - الأمر التوجيهي	٢٢٩
٤ - رفض البيعة إعلان الثورة	٢٣٠
ثانياً: الإخباريات	٢٣٣
١- الإثبات	٢٣٤
٢ - النفي	٢٤١
المطلب الثاني: الأفعال الكلامية التي يكون فيها اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات	٢٤٣
أولاً: الطلبيات	٢٤٣

- ١ - الأمر ٢٤٣
- ٢ - النهي ٢٤٦
- ٣ - الزجر ٢٤٨
- ثانياً: الإلتزاميات ٢٤٩
- ثالثاً: التعبيريات ٢٥١
- ١ - المدح والذم ٢٥٢
- ٢ - التعجب بأسلوب النداء ٢٥٤
- المبحث الثاني ٢٥٧
- الأفعال الكلامية غير المباشرة ٢٥٧
- توطئة ٢٥٧
- المطلب الأول: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الخبر ٢٦١
- أولاً: الأمر ٢٦١
- ثانياً: الدعوة ليعتبه عليه السلام ٢٦٤
- ثالثاً: الدعاء ٢٦٥
- رابعاً: الوعد والوعيد ٢٦٧
- خامساً: الشكوى ٢٦٩
- المطلب الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الإنشاء ٢٧٣
- أولاً: الأمر ٢٧٣
- ١ - الدعاء ٢٧٤
- ٢ - المواساة ٢٧٥
- ثانياً: الاستفهام ٢٧٦
- ١ - التعجب ٢٧٧

فهرس المحتويات	٣٢١
٢- التقرير	٢٨٠
٣- النفي	٢٨٢
الخاتمة	٢٨٥
المصادر والمراجع	٢٩١
أولاً: الكتب	٢٩١
ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية	٣١٣
ثالثاً: البحوث والدوريات	٣١٤
فهرس المحتويات	٣١٥

Chapter two deals with implications. It has two topics preceded by a preface. First, pre-supposition and the second includes implications.

Chapter three studies speech acts in Imam Hussain's (p.b.u.h) speech. It falls into two topics after a preface which contains the substance of speech acts in general. The first topic talks about direct speech acts while the second deals with the indirect speech acts. Finally there is a conclusion in which the main conclusions are mentioned. The study does not claim that the conclusions are decisive rather than showing the efforts done during researching.

Among these conclusions: Imam Hussain (p.b.u.h) speech with its values and treat men to all social classes is not limited to a certain generation or period of time. It is a speech to all generations.

Another conclusion is that breaking the rule of quantity of required speech. That is shown in presenting more news than required in public forums. While breaking the rule by presenting less news than required is shown in the individual dialogues between him and other addresses.

And according to the approach it was concluded from Imam's speech there were pre-suppositions that formed a convincing argumentative ways which he used in his address. His speech also had hidden intended meanings that showed his method in argument and aims of his revolution, besides other conclusions.

Our last call is, praise be to Allah, Lord of the worlds

Abstract

This study titled [Speech of Imam Hussein (p.b.u.h.) pragmatic Approach]aims at studying a linguistic production of great figure with it divine significance, holy secret and supreme glimpse. That figure lights human paths in this life and the Hereafter in away that it became a mortal high example. Here we say all that is represented by Imam Hussein (p.b.u.h.) alony. We can realize that in him alone.

Imam Hussein (p.b.u.h.)emanated from the greatness of prophecy of the holy Prophet Muhammad (may Allah bless him and his pure p rogeny),the greatness of Imam Ali's (p.b.u.h.)manhood and the greatness of Fatima's (p.b.u.h.)virtue. For this he ,definitely became the example of greatness of man and eloquence.Therefore, scholars should have taken him as an everlasting inspiration as he emanated as strong sparkling glow for generations. He will still shine forever beyond earth and heaven as Allah's light is unlimited.

Again this study tries to disclose the way by which language carried the sublime goals ,expressive dialogues and irrefutable evidences against his opponents. So the pragmatic approach was the way to decode such ciphers and that theorists described it as the approach which studies language at the time of its use.

Imam Hussein's (p.b.u.h.) words including reforming elements enabled him to move along generations calling for freedom . The study is of three chapters preceded by a preface and an introduction and is concluded by a conclusion including the main conclusions it attained and finally resources are mentioned.

As for preface, it discusses the idioms of the title scientifically. Meanwhile it talks about the words and discourse of Imam Hussein (p.b.u.h.)to direct or imaginary addresses.

Then the study deals with origin and formation of the concept of (pragmatic approach).Chapter one includes the conversational implicature which falls into two topics: First; preface containing description of general implicature which exalts the concentrated meaning of the words and second;special implicature which clarifies breaking rules of addressing (speech).

Ministry Of Higher Education And Scientific Research

University Of Karbala

College Education for Human Science

Arabic Language Dep.

*Imam Hussein(p.b.u.h.) Speech
(A pragmatic Approach)*

A thesis submitted by :

Emad Talib Musa Jassim

to

*The Council of College of Education For Human Science in the
University of Karbala as a part of requirements to get the M.A.
in Arabic Language and its Art' Language.*

Supervised by:

Adil Natheer Beerri.Prof

1438 A.H.

2017 A.D.